مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 30-54، 2021

Research Article

Open Access

الأمراض والأوبئة وأثرهما على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

ريم محمود راشد

جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/s2j9jg84

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الأزمات الطبيعية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني وكيف أثرت على الجانبين الاقتصادي والديموغرافي، ومعرفة النتائج المترتبة عنها، في محاولة متواضعة لإثراء المكتبة التاريخية بدراسة جديدة حول تأثير الأمراض والأوبئة بمجتمع المغرب الأوسط، تضاف إلى الدراسات السابقة في المجال نفسه. هذا البحث اعتمد المنهج التاريخي الوصفي الذي يسرد الوقائع ويصف الحالات والأحداث التي تعيشها المجتمعات أثناء الأزمات المختلفة، كما استعمل المنهج الاستنتاجي في استخلاص النتائج، حيث أظهرت الدراسة أهمية تاريخ الأزمات والكوارث الطبيعية؛ كالأمراض والأوبئة نظراً لتأثيرها المباشر على السكان، كما بيّنت الخطر الكبير الذي شكلته على حياة الناس في منطقة المغرب الأوسط، خاصة وأنها تعرضت عدة مرات خلال فترات زمنية طويلة لخطر مداهمة هذه الكوارث لها، بسبب النتائج السلبية المترتبة على انتشارها، كما وصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الأسباب المؤدية إلى حدوث مثل هذه الأزمات اختلفت بين أسباب بشرية وأخرى طبيعية ترتبط بتقلبات المناخ.

الكلمات المفتاحية: الأزمات، الأمراض، النتائج، الأوبئة، الأسباب، الكوارث.

Diseases and Epidemics and Their Impact on the Zayyanid Society in Central Morocco during the Seventh Century AH / Thirteenth Century AD

Reem Mahmoud Rashid

Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This study aims to know the natural crises that the countries of the Middle Maghreb witnessed in the Zianian era and how they affected the economic and demographic aspects, and to know its consequences, in a modest attempt to enrich the historical library with a new study on the impact of diseases and epidemics on the society of the Middle Maghreb, to be added to previous studies in the same field. This research adopted the descriptive historical method that lists the facts and describes the situations and events experienced by societies experience during the various crises, and also used the deductive approach drawing the various crises, also the deductive method was used to draw conclusions. Where the study showed the importance of the history of crises and natural disasters, such as diseases and epidemics due to their direct impact on the population, and also showed the great danger they pose to the lives of people in the Central Maghreb region, especially, over long periods of time it has been exposed several times to the risk of these disasters raiding it, due to the negative consequences of their spread, and the study also reached to a conclusion that the causes that lead to the occurrence of such crises varied between human and natural causes related to climate fluctuations.

Keywords: Crises, diseases, consequences, epidemics, causes, disasters.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

عرف المغرب الأوسط – على غرار كل الأقاليم المغربية عبر فترات عديدة من عصوره– أزمات وكوارث متعددة، أثرت على المجتمع تأثيراً كبيراً؛ نظراً لما شكلته من خطر حقيقي على حياة السكان واستقرارهم على كافة الأصعدة، وتعتبر أزمة الأمراض والأوبئة أشدها وقعاً على مجتمع المغرب الأوسط؛ لأنها أفرزت واقعاً لامس السكان مباشرة؛ واستصعب عليهم تقبله والتعايش معه.

وفي كثير من الأحيان تتزامن الكوارث الطبيعية وينتج بعضها عن البعض الآخر في أحيانٍ أخرى، فقد تعرضت الدولة الزيانية منذ القرن السابع الهجري لعدة كوارث طبيعية ومناخية الأمر الذي أثّر سلباً على الأحوال الصحية، من تفشي عدة أمراض بسبب التقلبات الجوية، إلى الفقر والمجاعات. وتعتبر الأمراض والأوبئة من أخطر العوارض وأشد البلايا التي تهدد حياة الإنسان في أي وقت من الزمن، وقد عاشها المجتمع الزياني كغيره من المجتمعات، وشكلت نتائجها خطراً حقيقياً على حياة السكان على كافة المستويات.

ويرد لفظ الأوبئة باستمرار عند ذكر أي مرض فتاك، سواء كان طاعوناً أو حمى وبائية أو أي مرض وبائي يتميز بالانتشار الواسع، ويحصد أعداداً كبيرة من الضحايا. هذا الاعتقاد ساهم بشكل كبير في انتشار الأمراض وفتكها بالعامة، مُخلفة خسائر كبيرة في الأرواح، كما أنها هزّت الجوانب الاقتصادية السياسية بقوة.

وعرفت حضارة المغرب الأوسط نكبات عديدة، من فتن وحروب وأزمات طبيعية. في هذه الدراسة نسلط الضوء على كارثة الأمراض والأوبئة التي شكلت تهديداً خطيراً مس حياة السكان في هذه الفترة التاريخية، فما هي الأمراض والأوبئة التي عرفها المغرب الأوسط في هذه الفترة؟ وما مدى تأثيرها على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية؟ وما التدابير المتخذة لمواجهة مثل هذه الكوارث؟

يعد مجال الدراسة في موضوع تاريخ الكوارث والأزمات الطبيعية وتأثيرها على حياة الإنسان من المواضيع البحثية المتجددة، في هذا الإطار يتناول البحث بالدراسة الأمراض والأوبئة وأثرهما

على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرنين(7-8هـ/13-14م)، إذْ كان المغرب الأوسط أكثر عرضة للأزمات والكوارث خلال هذه الفترة.

المبحث الأول/ المفهوم والدلالة

1. الأمراض:

عّرف أهل الطب المرض على أنه اختلال في التوازن الطبيعي يجب إصلاحه، وهذا هو أساس الطب الغربي(العقلاني) الذي بدأ مع أبقراط، والذي يعتمد على علاج الأمزجة؛ فالمرض هو الاضطراب الوظيفي المتطور، وهو ليس حالة ثابتة، وإنما حالة حركة متطورة تطوراً غير طبيعي في جسم الإنسان وهذا التطور قد يأخذ فترة طويلة أو قصيرة، ولكنه ينتهي دائماً بنتيجة قد تكون إمّا الشفاء التام أو الوفاة أو تقف في مرحلة وسط تعمل على إعداد الجسم لظروف جديدة.(رحاب 2014، ص175.)

2. الأوبئة:

أ. مفهوم الوباء في اللغة والعلم:

الوباء هو كل مرض عام(ويمد ويقصر) وجمع الممدود أوْبئةُ، وجمع المقصور أوْبَاءُ وقد وَبئت الأَرْضُ تَوْبَأُ فهي مَوْبُوءَةُ إذا كَثُرَ مَرَضُهَا، وكذلك وُبئَتْ تَوْبأُ وَبَاءةً فهي وِبَئةُ، وأَوْبَأَتْ أيضاً فهي مُوبِئَةُ واسْتَوْبَأْتُ الأَرْضَ، وجدتها وَبِيئَةً (ابن منظور، د.ت، ج1، ص189-190).

وبحسب ابن منظور(د.ت، ج9، ص280) يطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف فيقال: احذر القَرَفَ في غنمك. وقيل: القَرَفُ هو العدوى. ويسمى كذلك بالمرض الوافد؛ لأنه يصيب الإنسان عن طريق الهواء، أو المرض العام؛ لأنه يشمل عدداً كبيراً من الناس (بو حجرة، 2015، ص51).

ورد مفهوم الوباء في كثير من المصنفات العربية، إذ ذكر الأنطاكي (1995، ص333) أن الوباء يكون مرتبطاً بالهواء المتعفن، بل يضيف مؤكداً أنه: "تغير الهواء إلى الفساد"، وهو عند ابن الخطيب(2015، ص65)، "مرض حاد، حار السبب، سُمِّيٌّ المادة، يتصل بالروح بدءاً بواسطة

الهواء ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل رطوباته إلى السمية، وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين". وقد اعتاد الناس على إطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم، خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه فإذا كان الهواء فاسداً عمّ المرضُ أهلَ ذلك المواضع أو عمّ أكثرهم (مزدور 2009، ص20، بوحجرة، 2015، ص51). أمّا لفظ الموتان فنجده عند ابن خلدون(2005 ج2، ص110)، والذي يعني الوباء وذلك لأنّ الوباء يمثل الموت بحدوث هذا المرض المفاجئ للإنسان والحيوان على حد سواء. وقد اصطلح على الأوبئة أيضاً اسم(الأمراض الوافدة)؛ لأنها قادمة على الناس من بعد مع الهواء، ليست من جهة مطعوم ولا مشروب ولا عرض نفساني وشبه ذلك.(مزدور، 2009، ص20). أما طبيّاً فهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان وهناك من يعرفه بأنه مادة سُمّيّة تحدث وَرَماً قاتلاً.(بو حجرة، 2015، ص53).

لقد وقع خلط في استخدام مصطلحَي الوباء والطاعون دون التفريق بينهما، مما يصعب معرفة نوع المرض أو الوباء لأي فترة زمنية يحدث فيها، فكان الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً، أي أن الوباء قد يشمل أمراضاً عديدة من بينها الطاعون (مزدور، 2009، ص21)، فأغلب المفاهيم العلمية في تفسير مصطلح الوباء لا تتعارض فيما بينها، وتتفق على أنه مرض عام ناتج عن تلوث بيئي بسبب فساد الهواء، نتيجة تحلل لمواد عضوية من جراء كثرة موت الحيوانات مثلاً، أو بسبب التغيرات المناخية التي تأتي عادة بنواقل مرضية وبائية ومن بين كل الأوبئة التي اجتاحت المجتمعات عبر التاريخ فإن الطاعون يظل الوباء الأكثر فتكاً بالبشر.

لقد تناول المؤرخون دراسة الأمراض الوبائية بشكل دقيق، كونها تصف جملة من العوارض التي تحدث للدولة في أزمنة مختلفة غالباً ما يأتي حدوثها بعد المجاعات، فقد ذكر ابن خلدون(2005، ج2، ص110) أن الوباء يأتي ملازماً للمجاعة، ويمثل عارضاً يصيب الدولة في آخر عمرها، ويعجل بزوالها. ويذكر أن كثرة العمران وما يصاحبه من فساد الهواء أحد أسباب الأوبئة. والمهم في تلك الدراسات أنها تحدد لنا زمن حدوث الوباء، باعتبار أن المؤرخ مَعْنِيٌّ بتدوين الأحداث التي تمر بها الدول والمجتمعات بشكل عام؛ لكون التاريخ وعاء العلوم. ويُشار هنا إلى صعوبة تحديد جغرافية الأوبئة فبعضها محلية تصيب بلاد المغرب الأوسط أو إحدى حواضره، فلا

خلاف فيها، وبعضها الآخر عامة تصيب بلاد المغرب كله، بل العالم بأسره، كما هو الحال بالنسبة لوباء سنة 749هـ/1348م الذي تفشى في بلاد المغرب مخلفاً الكثير من الضحايا، وقد عرف المجتمع التلمساني العديد من الأمراض الوبائية خلال العهد الزياني، والتي انتشرت بين سكانه، نذكر منها: مرض الجذري، والطاعون، والجذام الذي يأتي على رأس الأوبئة المنتشرة في المغرب الأوسط.(مزدور، 2009، ص137، 138). وكلها أمراض تنتقل بالعدوى (محمود، وحلاق 1995، ص289)، ومنها كذلك: أمراض المعدة، ومرض البلعوم (الحنجرة) الذي ينجم عنه التهاب الحلق وتورمه فترتفع درجة حرارة المريض، ومرض الذبحة الصدرية، وكذلك مرض القرع الذي كان منتشراً بين الأطفال والنساء، وداء الافرنج (الزهري)، وهو كثير الانتشار في بلاد المغرب ويشار إلى أن هذا المرض قد جاء مع اليهود المطرودين من إسبانيا(الوزان، 1983، ج1، ص83، 84). وكذلك مرض الدماس، الذي توفي به أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان، صاحب تلمسان سنة 703هـ/1303م (ابن خلدون، 2000، ص128)، (يحيى بن خلدون، 1903، ج1، ص119–121). بعض هذه الأمراض تظهر أعراضها على سطح البدن، وهي أمراض تحدث لأسباب داخلية مثال ذلك ما يظهر على البدن من أعراض مرض الجدري والحصبة والجذام، وهو من الأمراض الخطيرة التي واجهتها الدولة باللجوء إلى عزل المصابين خارج المدن في حارات خاصة بهم(بو لقطيب، 2002، ص56.(

ومن أشد الأزمات الصحية التي مرت بها بلاد المغرب الأوسط كانت الطواعين التي تفاجئ السكان من حين لآخر، ويولد انتشارها فزعاً ورعباً، حتى إن بعض المصادر المعاصرة كثيراً ما تُهمل الحديث عن الأوبئة الأخرى، كالحمى بأنواعها، والجذام والجذري والزهري وغيرهم ولا تتحدث إلا عن الطاعون؛ نظراً لكونه أشد الجوائح الطبيعية فناء للبشرية وفتكاً بها، فهو مرض قتّال، يعم بسهولة مناطق واسعة، ويخلف فيها خسائر فادحة (السعداوي، 1995، ص119) (فيلالي، 2002، ص251)، فكان الوباء بحسب حسن الوزان (1983، ج1، ص85) يأتي على رأس كل عشرِ سنوات، أو خمسة عشر، أو خمسةٍ وعشرين سنة. وأكد ذلك أحمد السعداوي (1995، ص124) الذي أحصى إلى نهاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي حوالي عشرة طواعين، بمعدل طاعون كل عَشْرٍ أو عشرين سنة، بعض هذه الطواعين كان محلياً وأقل فتكاً، وبعضها الآخر كان شديد الفتك بالناس، وكان الوضع يتفاقم في المدن؛ لأنها تمثل بيئة خصبة لانتشار الأوبئة، خاصة المدن الكثيرة العمران، نتيجة فساد الهواء بسبب كثرة البنايات وهذه

المدن غالباً ما كانت معروفة بحركتها التجارية النشطة (الهلالي، 2002، ص186). وقد اجتاح الطاعون بلاد المغرب الأوسط سنة 750هـ/1349م بواسطة السفن القادمة إليه من الشام أو مصر أو إيطاليا(السعداوي، 1995، ص121).

المبحث الثاني/ أسباب حدوث الأوبئة

اختلفت الأمراض التي انتشرت في بلاد المغرب الأوسط، وباختلافها اختلفت الأسباب المؤدية لها فقد تضافرت عدة أسباب ساعدت على ظهورها، وقد رصدت لنا المصنفات العلمية جملة من العوامل المتداخلة وراء تكرار حدوث الأوبئة، يمكن تلخيصها في الآتي:

1. العوامل الطبيعية:

للمناخ تأثير كبير على النشاط الحضاري للأمم، إذ ارتبطت التقلبات المناخية التي كانت تمر بها بلاد المغرب في كثير من الأحيان بانتشار الأوبئة، فلا تقتصر الانعكاسات السلبية لتغييرات المناخ على حدوث الجفاف والفيضانات فقط، وإنما تسببت في حدوث الأوبئة الفتاكة التي هددت حياة الإنسان في كثير من العصور، وجعلته دائماً عرضة لهذه الأمراض المفاجئة (مزدور، 2009، ص119، 120) فمناخ البحر المتوسط يوصف عادة بكثرة وقوع الأمراض والأوبئة (بردويل، 1993، ص67)، وقد ساهمت الرياح الشرقية التي تعرضت لها بلاد المغرب الأوسط في سنة 679هـ/1280م والتي دامت ستة أشهر متوالية إلى تفشي الأوبئة والأمراض الكثيرة (ابن أبي زرع، 1972، ص102)، كما إن اضطرابات فصول السنة وتبدلها قد يسبب الأمراض، ويكون تأثير تغير الفصول على طبيعة الهواء، مما يؤثر سلباً في الحيوان والنبات وحتى الإنسان على حد سواء (الأنطاكي، 1995، ص333)، ويشير الوزان (1983 ص79) إلى مناخ المغرب موضحاً أن ميقات بدء فصول السنة وانتهائها قد يؤدي إلى بعض الاضطرابات المناخية التي تحدث، فتؤدي إلى حدوث المجاعات والفقر، ثم إلى انتشار الأمراض الوبائية التي تصيب أكثر الناس، ولا ينجو منها إلا القليل. ومن المتغيرات المناخية التي تسبب حدوث المجاعات وتؤدي إلى الأمراض والأوبئة السيول والفيضانات، التي لا يغيب عن بالنا ما تحدثه من إتلاف للمحاصيل، ومنع للحرث والبذر، وإحداث أضرار بالأشجار المثمرة، فمثل هذه الفيضانات والسيول تحدث أضراراً اقتصادية مختلفة، إذ تسببت فيضانات سنة 653هـ/1255م في ارتفاع الأسعار، فبلغ ثمن سطل الشعير

ثلاثة دنانير، والحطب ديناراً للرطل من شدة تلك السنة (البيذق، 1971، ص53)، كما تسبب السيل الجارف الذي ضرب تلمسان أثناء حصارها من قِبل بني مرين سنة 758هـ/1356م في إلحاق أضرار جسيمة باقتصاد المدينة (النميري، 1990، ص258، 259) وفي سنة 763هـ/1362م هبت ريح عاصف أعقبتها رعود وأمطار شديدة تمخضت عنها أوبئة فتاكة (البياض، 2008 ص58) كما كانت الأمطار الغزيرة خاصة تلك التي تعقب فترات الجفاف، أو تأتي في غير موعدها. تُهيئ البيئة لظهور بعض الأمراض والأوبئة يقول حسن الوزان (1983، ص79) "في بعض السنين ينزل المطر في شهري يوليو وأغسطس، فيفسد الجو كثيراً، وتنشأ عنه حمى حادة تشتد على أكثر الناس، ولا ينجو منها إلا القليل."

2. حدوث المجاعات:

تقع الأمراض وتحدث الأوبئة نتيجة ظهور المجاعات، والتي من نتائجها السيئة ارتفاع أسعار المواد الغذائية الضرورية؛ بسبب الاحتكار وغلاء الزرع وفقدانه في بعض السنوات، كذلك تقلص التبادل التجاري، مما يؤثر على المستوى المعيشي، ويؤدي إلى تفشي المجاعات بين الناس كما أن بعض السياسات المتبعة من قبل السلطات والمتمثلة في فرض الضرائب الباهظة على المزارعين تؤدي إلى تدهور الأوضاع الزراعية، هذا من جانب، ومن جانب آخر يؤدي تعرض البلاد إلى الحروب وحدوث الفتن والأزمات السياسية إلى حدوث المجاعات والأوبئة (ابن خلدون 2005، ص109، 110)، (السعداوي، 1995، ص126)، فقد أدى الحصار الطويل الذي تعرضت له تلمسان والذي قاده السلطان يوسف بن يعقوب المريني (698-707هـ/1298-1307م)، إلى إصابة سكان المدينة بمجاعة شديدة يصفها ابن الأحمر(1991، ص61) بقوله: "وهو في ذلك يشدد عليهم الحصر، ويقول لأواصلنّه عليهم حتى أقتلهم جوعاً"، وكانت النتيجة حدوث مجاعة عظيمة في تلمسان، مست العامة والخاصة، فنقص الغذاء وانعدامه تحت مختلف الظروف يكون باعثاً أساسياً في حصول المجاعات التي تفضي بالتالي إلى حدوث الأمراض والأوبئة. ولكن في بعض الأحيان قد تحدث المجاعات ولا تتبعها الأوبئة، كالمجاعة التي ضربت مدينة تلمسان جرّاء الحصار سنة (698-707هـ/1298-1307م)، (ابن خلدون، 1903، ج1 ص121)، (التنسي، 2011، ص130-132)، كما سجلت بعض الدراسات حدوث بعض الأوبئة في سنوات الرخاء، وهذا ما حصل خلال فترة حكم أبي العباس أحمد العاقل فرغم الرخاء

الاقتصادي الذي عرفته دولة بني زيان في عهده، فإن ذلك لم يمنع من ظهور الأوبئة، كما أكدت بعض الدراسات الطبية أن الطاعون لم يكن متوطناً بأرض المغرب الأوسط، بل دخله إما عن طريق السفن التجارية الواردة إليه من موانئ أوروبا أو المشرق، وإما بواسطة القوارض التي تتحول من السفن إلى الرصيف، أو عن طريق البحارة المصابين؛ لذلك يُرجح أن يكون الوباء قد انتقل إلى المغرب الأوسط من أوروبا التي ظهر بها الوباء سنة 760هـ/1359م، أي قبل ظهوره بالمغرب الأوسط بفترة قصيرة(فيلالي، 2002، ج1 ص253)، (السعداوي، 1995، ص128).

3. تلوث الهواء:

صلاح الهواء وفساده يشكل عاملاً رئيساً ومسؤولاً عن حدوث الأمراض وانتقالها كأوبئة بين أفراد المجتمع؛ وذلك لأنه ينتقل بدون حدود بين المدن، ولكون الناس جميعهم يشتركون في استنشاقه، فإذا كان فاسداً ستنتقل العدوى فيما بينهم (مزدور، 2009، ص118)، (بو حجرة 2015، ص51). ويحدث فساد الهواء بفعل الرطوبة والحرارة الزائدتيْن وكثرة التعفن (الأنطاكي 1995، ص333)، ومخالطة الهواء لأبخرة فاسدة متعفنة، الصاعدة من الأرض، أو بسبب تعفن الحيوانات بعد موتها، فيتغير الهواء ويتعفن، مما يسبب الأمراض الوبائية التي تتنقل عبر الهواء (بولقطيب، 2002، ص33). وذكر ابن خلدون (2005، ج2، ص110) أن "الوباء سببه في الغالب فساد الهواء؛ لكثرة العمران لما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة، وإذا فسد الهواء –وهو غذاء الروح– فيسري الفساد إلى مزاجه، فإن كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعين"، ويقول الشقوري: "الوباء سببه فساد مبثوث في الهواء المتنفس فيه؛ لذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء وهو من آكد الأشياء، ولا يعرف الهواء والحاجة إليه الكثير من الناس، وإنما يعرفه من يعتريه أمر يضيق نفسه من تعب شديد، أو مرض في آلات التنفس، ثم إن هذا الفساد يقع في الأبدان ويؤثر فيها تأثيراً عظيماً حسبما شوهد منه" (الشقوري، 1851، ص2).

ويبدو أن بعض مدن المغرب الأوسط وعلى رأسها تلمسان كانت تعاني من انعدام شروط النظافة، فقد كانت الطرقات تعج بالأوساخ وجيف الحيوانات، كما أن قيام بعض الحرفيين بأعمال داخل المدن كان يؤدي إلى تنجس الطرقات، ومثال ذلك ما كان يفعله الخرازون بمدينة تلمسان حيث كانوا يبسطون جلود البقر في طريق المارة فيؤذونهم بذلك (العقباني، 1967، ص67).

4. العوامل البشرية:

بعض الأسباب البشرية تتسبب في انتشار الأمراض والأوبئة أو تزيد من تفاقمها، كالحروب والاضطرابات السياسية، فمثل هذه الظروف لا تساعد على الاهتمام بالأراضي الزراعية وتحسين الاقتصاد؛ مما يؤدي إلى تدهوره، فضلاً عن كون الحروب تتسبب بمقتل عدد كبير من الناس ومنها الحصار الذي يضرب على المدن ويمتد لفترات طويلة مسبباً نفاذ الأقوات، ولجوء الناس إلى أكل كل ما يسد جوعهم، وهو ما يتحول في نهاية الأمر إلى مجاعات وأوبئة وفناء (أبو زيد، سيد 1993، ص218) وسبق أن أشرنا في هذا السياق إلى الحصار المريني الطويل على تلمسان (698-706هـ/1298-1307م)، والذي تسبب في حدوث مجاعة عظيمة في المدينة اضطر الناس فيها لأكل كل ما تقع عليه أيديهم (ابن الأحمر، 2001، ص69) "وأكلوا الجيف والقطط والفئران وأشلاء الموتى" (ابن خلدون، 2000، ج7، ص128) وأطلق المرينيون أيديهم في المدينة حتى بلغ عدد القتلى من أهل تلمسان قتلاً وجوعاً وتشريداً زهاء مائة وعشرين ألف نسمة (فيلالي 2002، ص257). ومنها كذلك الضرائب والجبايات التي فرضتها الدولة الزيانية على التجار وجباية إتاوات ضخمة من السكان، إضافة إلى الجزية التي فرضتها على أهل الذمة، إذ تعتبر الضرائب المجحفة من أهم المسببات لحدوث المجاعات والأوبئة؛ وهي عند ابن خلدون (2000 ج7، ص691، 692) من الأسباب التي تؤدّي إلى اختلال العمران وضعف الدولة، وبالتالي إلى اضمحلالها؛ وقد تأثر الفلاحون بالمكوس والضرائب المفروضة عليهم، مما أدى إلى تراجع النشاط الزراعي، وبالتالي إلى تراجع السلع والبضائع التي يتم نقلها من الأرياف والبوادي إلى الحواضر والمدن، وارتفاع أثمانها، وهو ما يؤدي في نهاية الأمر إلى حدوث المجاعات التي عادة ما تكون مقدمة لانتشار الأمراض الوبائية (كربخال، 1989، ج2، ص301)، (مزدور، 2009، ص74-90). وهناك من يعد أن التبادل التجاري من العوامل الأساسية لحدوث الأوبئة والأمراض. (بولقطيب، 2002، ص51).

المبحث الثالث/ نماذج من الأطباء والصيادلة بتلمسان:

لقد توافد العديد من الأطباء على العاصمة الزيانية تلمسان، إما بدعوة من ملوكها وسلاطينها أو تحت تأثير الرغبة في العمل، ولكن سقوط الأندلس شجع الكثير منهم على الاستقرار بها (العرباوي، 2014، ص45)، فتمكنوا من الانصهار في المجتمع والمساهمة في بناء صرحه

الحضاري. وقد عرفت تلمسان عبر تاريخها الإسلامي العديد من الأسماء في عالم الطب، للذين مارسوا هذه المهنة إما في القصور أو البيمارستانات أو بين عامة الناس، وقد تركوا الكثير من المصنفات في التأليف وصناعة الأدوية ووصف الأمراض وعلاجها، خاصة مع التشجيع الذي لقيه الأطباء من طرف خاصة المجتمع التلمساني وعامتهم، حيث اهتم ملوك وسلاطين وأمراء تلمسان ببناء المستشفيات وتشجيع الأطباء والعلماء على التأليف ومعالجة الأمراض (العرباوي، 2014 ص45)؛ فعلم الطب يقوم أساساً على التجربة والمعاينة الحسية والاستقراء(ابن الخطيب، 2015 ص72)، ويبحث في بدن الإنسان لضمان حفظ الصحة وإزالة المرض (ابن خلدون، 2005، ج2 ص308)؛ ولهذا يجب أن يكون من يتولى هذه المهمة إنساناً عارفاً بأصول المهنة. وقد برع أطباء المغرب الأوسط الذين استمدوا علومهم على يد أبرع أطباء العرب المسلمين كأطباء المشرق والأندلس، وكان لهم باع في هذا المجال (السائح، 1986، ص229-231)، نذكر منهم:

1. أبو عبد الله محمد بن علي التلاليسي(ت767هـ/1365م): طبيب جراح، وأديب وشاعر من أهل تلمسان، برع في الطب، وتعرض للسجن مع كثيرين على يد السلطان المريني يوسف بن يعقوب أثناء حصاره الطويل لتلمسان(698-706هـ/1298-1306م)؛ اتخذه السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1358-1388م) بعد ذلك طبيباً خاصاً به، فضلاً عن كونه شاعراً مميزاً برع في نظم الشعر، له قصائد في المديح والوصف والرثاء وموشحات جيدة (نويهض 1980، ص63)، (فيلالي، 2002، ص249).

2. محمد بن علي بن فشوش (866هـ/1461م): طبيب تلمساني ومدرس للطب، كان يُدرس العلوم الطبية بتلمسان، يقول عنه الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل (ت920هـ/1514م) والذي زار مدينة تلمسان قصد الأخذ عن أطبائها وعلمائها يقول: "ولقينا بها- تلمسان- جماعة أخرى من الفضلاء والأدباء والأطباء، منهم محمد بن علي بن فشوش، أحد أطباء تلمسان في المزاولة والدربة، وسمعت من فوائدهم، وحضرت دروس بعضهم، ونقلت عنهم أشياء وأجازوني" (الظاهري، د.ت، ص42)، (فيلالي، 2002، ص249).

3. محمد بن أحمد بن سعيد العقباني(ت871هـ/1467م): ولد بتلمسان، وأخذ عن مشائخها وكانت له مشاركة في الأدب، من أهم مؤلفاته كتاب(تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر)، تطرق فيه إلى مشكلة الأخلاق في الطب، كادعاء البعض علم الطب ومعرفة

الأدوية، وهو على غير هذه الحال، فيجرب في أجسام البشر دون علم، مما يتسبب في إتلاف بعض الأعضاء الحساسة كالسمع والبصر، أو ربما يأتي على نفوس بريئة (العقباني، 1967 ص83).

4. محمد بن يوسف بن عمر السنوسي (ت895هـ/1489م): من علماء تلمسان، درس علوماً مختلفة من بينها العلوم الطبية، وجعل معارفه مكملة لبعضها البعض، إذ ربط بين الدين والطب وهو ما ظهر في مصنفه الموسوم بـ(شرح حديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء)، الذي استعان فيه بالأحاديث النبوية في المجال الطبي، والتزم بتوجيهاتها في الامتهان به (فيلالي 2002، ص250)، (سعد الله، 1998، ج1، ص113)، وقد وضح في كتابه هذا أهمية الحمية وتأثير الأغذية المختلفة والأشربة والهضم على جسم الإنسان، وكيفية الحفاظ على المعدة والعناية بها باعتبارها بيت الداء (دخان، 2011، ص134) وله مؤلف آخر في الطب موسوم بـ(مجربات في الطب) (الزركلي، 2002، ج7، ص154) جمع فيه ما جربه من الفوائد والعلاجات والأدعية المستجابة، وله مصنف (فضل مهنة الطب)، (دخان، 2011، ص135).

5. موشه بن صمويل الأندلسي (كان حياً سنة 866هـ/1461م): المعروف بابن الأشقر اليهودي، يعد من أشهر الأطباء وأمهرهم حذقاً في ميدان الطب، لازم السلطان الزياني محمد بن أبي ثابت؛ وقد أخذ الطب عن أبيه، واشتهر بهذه الصنعة في الأندلس، ثم انتقل إلى تلمسان حيث زاول بها مهنة الطب وتدريس علومه، فتوافد عليه الكثير من حواضر وأقطار مختلفة طلباً لهذا العلم، وقد درس عليه الرحالة المصري عبد الباسط بن خليل وأجازه فقال عنه: "لم أسمع بذميٍ ولا رأيت كمثله في مهارته في العلم". أخذ شهرة كبيرة في مدينة تلمسان، وذاع صيته خارجها انتهت إليه الرياسة في الطب، وصار الطبيب الخاص للبلاط الزياني، والمقرب من أمرائه (الظاهري، د.ت، ص41، 42).

6. إبراهيم بن أحمد التلمساني المعروف بالثغري: طبيب وصيدلاني، عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ألف معجماً صغيراً في الطب رتبه على حروف المعجم (فيلالي 2002، ص249)،(سعد الله، 1998، ص111)، وهو عبارة عن قائمة بأسماء الأعشاب الطبية التي تداوى بها سكان الدولة الزيانية، كما يحوي معلومات عن الأدوية شائعة الاستعمال في

عصره، مع أبرز منافعها وله تأليف آخر سماه(الأدوية ومنافعها) قسمه إلى أبواب، وصنف الأدوية كأدوية العيون وأدوية الأسنان وغيرها (سعد الله، 1998، ص112).

إضافة إلى هؤلاء الأطباء نذكر أبو الفصل محمد المشذالي البجائي (ت866هـ/ 1462م)، نبغ في علوم شتى، منها الطب؛ أخذ الكثير من العلوم على يد علماء تلمسان ومشائخها: فأخذ عن ابن مرزوق الحفيد، وعن أبي الفضل بن الإمام، ودرس الطب على محمد بن علي بن فشوش السالف الذكر ورغم براعته في علوم الفقه والتوحيد والحديث إلا إن الكثيرين كانوا يقصدونه لطلب الدواء (السخاوي، 1992، ص180- 184)، (فيلالي، 2002، ص250).

المبحث الرابع/ نتائج انتشار الأمراض والأوبئة:

تصور لنا العديد من المصادر التاريخية خطورة الأمراض الوبائية والنتائج المترتبة عنها، فقد تعددت الآثار الناتجة عنها في المجتمع الزياني لتلحق أضراراً كبيرة شملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وقد أثارت الأمراض الوبائية اهتمام الجغرافيين والرحالة، وجعلت أصحاب هذه المؤلفات يصفون بعض المخلفات السلبية لها على الأوضاع العامة للبلدان التي طالتها .

1. النتائج السياسية:

أسفر توالي الأمراض والأوبئة على بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة إلى تفاقم وظهور العديد من المشاكل، فقد وضعت هذه الأزمة بصمتها اللافتة على الأوضاع السياسية للدولة الزيانية بالمغرب الأوسط: فاضطربت الأحوال الأمنية، وزاد عدم الاستقرار السياسي بالدولة الزيانية بفعل الصراع على السلطة بين فروع الأسرة الحاكمة، مما جعل الدولة عاجزة عن الدفاع على حدودها الخارجية، وفتح الباب أمام الطامعين في الحكم من جيرانها الحفصيين والمرينيين للسيطرة عليها، فقد تسببت الحرب العنيفة بين أبو حمو موسى الثاني وابن عمه أبي زيان بن سعيد في الفترة الممتدة ما بين سنتي 762-783هـ/ 1360-1381م إلى انقسام الدولة الزيانية إلى شطرين، مما سهل الأمر على السلطان المريني عبد العزيز احتلال تلمسان سنة 772هـ/1317م، كما تعرضت تلمسان لحصار طويل فرضه عليها أبو يعقوب يوسف المريني سنة 698هـ/1239م، وهو العام نفسه الذي اشتدت فيه المجاعة بالمغرب الأوسط (بلعربي، 2009، ص25).

2. النتائج الاقتصادية:

تسببت الأزمات الطبيعية التي تعرضت لها بلاد المغرب الأوسط في إلحاق أضرار كبيرة بالجانب الاقتصادي بمختلف قطاعاته: الزراعية، والصناعية، والتجارية، والحيوانية، مما أثّر سلباً على النمو الاقتصادي، فمن الانعكاسات الاقتصادية التي تخلفها أنه كلما حدثت المجاعات أو انتشرت الأمراض الوبائية يُلاحظ ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية، خاصة الحبوب؛ وذلك لأهميتها لدى السكان واستهلاكها الواسع بينهم، حيث تعتبر مادة أساسية للغذاء (جسوس، 2002 ص61)، كذلك ندرة المواد الغذائية، بسبب زيادة الطلب وضعف القدرة الشرائية للسكان، نتيجة القحط ونقص الأراضي المحروثة والمزروعة، وقلة اليد العاملة بفعل موت العديد من السكان جراء هذه الجوائح (الهلالي، 2002، ص177، 178)، مما يترتب عنه نقص في الإنتاج، فقلما نجد كارثة من الكوارث الطبيعية لا تقترن بالغلاء، فتارة يكون الغلاء سبباً لتفشي الأوبئة، وتارة أخرى يكون نتيجة لها (البياض، 2008، ص100)، فلا تكاد تمر هذه الأزمات إلا وتنص المصادر على غلاء الأسعار بشكل كبير، فأثناء حدوث وباء سنة 764هـ/ 1363م قفزت الأسعار بسرعة إلى مستويات قياسية، عبر عنها التنسي بقوله:- "... بلغ فيها الرطل من الملح دينارين، وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم، وذكر بعضهم أن الدجاجة بلغت ثمانية دنانير ذهباً..."(التنسي، 2011، ص132) ويصف ابن خلدون (2000، ج7، ص128) هذه الوقائع قائلاً: "... أن ثمن البقرة الواحدة ستون مثقالاً، والضأن سبعة مثاقيل ونصفاً...، ومن الخس بعشرين درهماً، ومن اللفت بخمسة عشر درهماً...، والفقوس بأربعين درهماً، والخيار بثلاثة أثمان الدينار، والبطيخ بثلاثين درهماً، والحبة من التين والأجاص بدرهمين، واستهلك الناس أموالهم...، وضاقت أحوالهم."

وبالمقابل فإن تدهور حالة حيوانات النقل والماشية ونفوق الكثير منها بسبب الجوع قد يؤدي إلى شل النشاط الرعوي وإلحاق خسائر كبيرة بالثروة الحيوانية، مما يُضعف الاقتصاد ويصل به إلى حالة من التدهور؛ كما شهدت أسعار اللحوم ارتفاعاً بمختلف أنواعها؛ وذلك راجع لموت العديد من الحيوانات في هذه الفترات (مزدور، 2009، ص191-197، 224).

ومن الآثار الاقتصادية التي خلفتها الكوارث الطبيعية كذلك انخفاض أسعار العقارات وذلك لاهتمام الناس بتوفير الغذاء في هذه الأوقات، نتيجة ارتفاع أسعار السلع الغذائية (جسوس 2002، ص62)، ومنها أيضاً انخفاض قيمة العملة، فعلى سبيل المثال كان الدينار الزياني يتراوح وزنه في

هذه الفترات ما بين 4.48 غرام و4.58 جرام، أما الدرهم فقُدِّر وزنه بـ1.5 جرام(مزدور، 2009، ص202-204).

3. النتائج الاجتماعية:

كان للأزمات الطبيعية كالأمراض والأوبئة والتي تعرضت لها بلاد المغرب الأوسط في هذه الفترة أثرٌ مباشرٌ في حدوث خلل كبير في التوازن السكاني، وشكلت خطراً كبيراً على حياة السكان؛ نظراً لما تخلفه من وفيات كثيرة جعلت عددهم يتناقص، إذ فتكت بهم لتكرارها، وكان الحصار الذي يفرض على المدن بسبب الحروب والنزاعات يزيد من ارتفاع الخسائر البشرية، وإن كان يصعب تقديم أرقام دقيقة عن عددهم؛ بسبب غياب الإحصائيات التي تساعد في تقدم البحث التاريخي، فالمصادر تصف الخسائر البشرية بعبارات مثل: " لقد هلكت أمم لا تُحصى" (ابن عذارى، 1985، ص326)، أو "كان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس" (ابن أبي زرع ص277)، (الناصري، 1997، ج2، 264) وغيرها من العبارات التي تركت أثرها على تقييم الباحثين لنتائج بعض الأوبئة، ولكن بالرغم من ذلك فهي تعطينا حقيقة ثابتة، وهي أن هذه الكارثة من شدتها قد أودت بحياة أعداد كبيرة من السكان (بلعربي، 2009، ص24)، كما شهدت بلاد المغرب الأوسط تحركات بشرية منها الاختيارية ومنها الاضطرارية؛ هرباً من الموت بفعل الأوبئة والمجاعات، فبسبب الوباء والغلاء سنة 635هـ/1237م توفي الكثير من الناس وخلت الأمصار من أهلها (الناصري، 1997، ج2، 264) فقد جرت العادة عند ظهور الوباء أن يغادر الأشخاص الأصحاء -بشكل فردي أو جماعي- البلد الذي ظهر به؛ خوفاً من العدوى، الأمر الذي كان يؤثر على التوزيع السكاني (بولقطيب، 2002، ص52)، وأدى توالي الأزمات والآفات إلى حدوث نقص في السكان بسبب الفرار والهجرة.

يُلاحظ أن الوباء ليس له نفس الوقع على كل الفئات الاجتماعية، فهو أكثر فتكاً في الفقراء والضعفاء (ابن الخطيب، 2015، ص77)، حيث كان هؤلاء الأكثر عرضة للوفاة، ولكن هذا لا يعني أن الفئة ميسورة الحال كانت بمنأى عن هذه الكارثة، فقد حصد وباء سنة 846هـ/1443م والذي وُصف بـ(الطاعون الجارف)، والمعروف عند أهل المغرب بـ(وباء عزونة) كثيراً من أرواح

الأسياد، وجمعاً من كبار العلماء والأعيان (الناصري، 1997، ج4، ص101). ومما ساعد على ارتفاع عدد الوفيات بهذا الشكل سوء التغذية، والأمراض الوبائية التي كانت تفاجئ السكان من حين إلى آخر، وقلة النظافة والوعي الصحي بين أوساط العامة من الناس خاصة الطبقة الفقيرة منهم. كما أدت الأمراض والأوبئة إلى خلق وضع صحي متدهور، تسبب في تحولات جذرية في نمط الحياة: فقد أدى إلى زعزعة العلاقات الاجتماعية، وإحداث شرخ كبير بين فئات المجتمع، وربما تسبب في التفريق بين أفراد الأسرة الواحدة، فقد أفتى الفقهاء بالتفريق بين الأزواج إذا أُصيب أحدهما بمرض الجذام مثلًا، وحجتهم في ذلك أنه مرض ذو رائحة لا تطاق (مزدور، 2009، ص224).

كشفت الكوارث الطبيعية المتلاحقة التي شهدها المغرب الأوسط ردود فعل متباينة، عبر عنها الإنسان في المغرب بأشكال مختلفة في إطار سعيه للحد من خطورة هذه الكوارث، فتارة تظهر في شكل ممارسات استسلاميه، همها الإنسحاب من واقع المعاناة بالفرار والهجرة بعيداً عن مناطق الوباء، وتارة أخرى تتخذ صور عدوانية، كامتهان البعض لحرفة السرقة والنهب وقطع الطرق (البياض، 2008، ص78)، وهذه الظاهرة تزداد ويستفحل أمرها في أوقات الضيق والشدة الناجمة عن هذه الكوارث (بلعربي، 2009، ص25)، فقد أشار لها ابن قنفذ (1965، ص105) الذي اضطر للإقامة في تلمسان لمدة شهر بسبب انعدام الأمن في الطرقات جراء المجاعة التي ضربت البلاد سنة 776هـ/1374م، كما كانت مجاعة سنة 688هـ/1289م سبباً في ظهور قُطاع الطرق واللصوص بمدينة تلمسان، فأصبحت الطرق غير آمنة، يذكر العبدري (2007، ص25) في رحلته لها أنه وجد طريقها منقطعاً مخوفاً يسلكه الناس بحذر، ولا يسلم منه أحد .

يمكن القول إن هذه الأزمات والكوارث قد أثرت على القيم الأخلاقية للإنسان، فاستفحلت ظاهرة السلب والنهب (بلعربي، 2009، ص24) ، وانتفى بسببها التعايش داخل المجتمع في مراحل حرجة استُهدفت فيها مصادر عيش الإنسان، سواء المنقولة أو الثابتة (البياض، 2008، ص79).

4. النتائج العلمية والثقافية:

يؤثر انتشار الأمراض الوبائية بشكل سلبي على النشاط العلمي والثقافي لأي بلد، فموت العلماء أو الهجرة التي تصاحب المرض والوباء يؤثر سلباً على سير الحياة الثقافية، كتعطيل الدروس العلمية، وهجرة بعض المؤدبين والمعلمين، وهلاك بعض التلاميذ والصبية (مزدور، 2009، ص243). فأثناء وباء الطاعون الذي ضرب بلاد المغرب الأوسط بين سنة 749-750هـ/1348-1349م توفي عدد كبير من العلماء والفقهاء، مما كان له انعكاس سلبي على الحياة العلمية، وصفها ابن خلدون (2005، ج2، ص360) بقوله: "كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب؛ لتناقص العمران فيه، وانقطاع سند التعليم". ويُذكر أن هذا الوباء تسبب في وفاة عدد من صلحاء وفقهاء المغرب الأوسط، من بينهم والد ابن قنفذ، الخطيب حسن بن علي (ابن قنفذ 1983، ص354)، ومنهم شيوخ ابن خلدون ووالديه، وقد وصف ابن خلدون (2000، ج7 ص533)، حالته النفسية عقب هذا الوباء بقوله: "خرجت معهم أول سنة 753هـ وكنت منطوياً على الرحلة من أفريقية؛ لما أصابني من الاسيتحاش لذهاب أشياخي وعطلتي عن طلب العلم."

وعلى صعيد آخر قد تخلق مثل هذه الأزمات والكوارث اهتماماً كبيراً لدى العلماء تتضح نتائجه من خلال ما تنتجه هذه الفئة من نتاجات علمية حول تلك الأحداث، خاصة حول الطاعون الجارف لسنة 749هـ/1348م، فقد ألف حسن بن علي الخطيب (749هـ/1348م) كتاباً حول الطاعون أسماه (المسنون في أحكام الطاعون)، (ابن قنفذ، 1983، ص356،355)، كما ألف أحمد بن يحيى بن أبي بكر المشهور بابن أبي حجلة (776هـ/1375م) كتاباً حول الطاعون الموسوم بـ(الطب المسنون في دفع الطاعون)(نويهض، 1980، ص364، 365).

المبحث الخامس/ تدابير وطرق مواجهة الأمراض والأوبئة:

أثّرت الكوارث الطبيعية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط تأثيراً واضحاً على المجتمع الزياني وشكلت تهديداً حقيقياً للسلطة، فبالإضافة إلى الاضطرابات المصاحبة عادة لها فهي تضع السلطة في واجهة الأحداث، في الوقت الذي ينتظر فيه الأهالي تدخلها للتقليل من وقعها والتخفيف من نتائجها (بولقطيب، 2002، ص69) فما هي الإجراءات التي اتخذتها الدولة الزيانية لتجنب مخاطرها والحد من انتشارها والتخفيف من وطأتها؟

كان الدور السلطوي في المغرب الأوسط إزاء مختلف الأمراض والأوبئة يكتنفه الكثير من الغموض، فالمصادر التي أرخت للمغرب الأوسط لم تبين لنا مدى اهتمام السلطة بشؤون الصحة ولا الإجراءات التي اتخذتها إزاءها، فلا شك أنها لا تختلف كثيراً عن الجهود التي بذلتها أوقات المجاعة خصوصاً ما إذا كانت هذه الأوبئة كنتيجة عنها فالأمر سواء (مزدور، 2009، ص155).

وكانت السلطة الزيانية قد اتخذت عدة إجراءات احترازية منها: ادخار الطعام في أوقات الرخاء، ففي هذا الإطار دأب حكام وسكان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط على إنشاء مخازن للغلال (الأهراء) لتخزين المؤن والأطعمة القابلة للتخزين؛ للتخفيف من حدة الكوارث الطبيعية (مزدور، 2009، ص146) فقد أدى القحط الشديد الذي شهدته بلاد المغرب على مدى سنوات عدة إلى ارتفاع الأسعار مما جعل الدولة تفتح المخازن وتبيع الحبوب بأثمان زهيدة، حيث أمر السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م) بفتح مخازن الطعام وبيعه للناس بعد تخفيض سعره أثناء المجاعة الكبرى التي وقعت سنة 776هـ/1374م، كما تصدق بنصف جبايته لفقراء تلمسان، وقسم عليهم الأرزاق بالعدل، وضم الفقراء والمحتاجين في بيمارستانات، يأتيهم رزقهم بشكل يومي حتى انقضت المجاعة (ابن خلدون، 1903، ج2 ص575، 576).

وقد تميز سكان المغرب الأوسط خلال الأزمات الطبيعية والكوارث بالتضامن الاجتماعي وإغاثة المحتاجين والفقراء، وكان في مقدمة هؤلاء الفقهاء والمتصوفة والأغنياء، ومن بين الذين أسهموا في التخفيف من وطأة هذه الأزمات أبو العباس أحمد بن مرزوق الذي كانت له مطامير من القمح والزيت والفحم، فتحها أمام الفقراء والمحتاجين، وكان يتصدق بها طوال يومه(فيلالي 2002، ص255)، وهناك من يشير إلى أن السلطة قد اتخذت إجراءات وقائية عند حدوث الوباء كأن تمنع الناس من الدخول إلى المدينة الموبوءة أو الخروج منها، كوسيلة لاحتوائه والحد من انتشاره في مناطق أخرى (بو راس، 2008، ص115).

يُشار إلى أن أطباء المغرب تمكّنوا من وضع وصفات طبية لمعالجة الكثير من الأمراض فالأساس في العلاج لديهم هو اصلاح الهواء، وذلك باستعمال الطيوب الباردة والرياحين والفواكه؛ كما اتبعوا في أوقات الأمراض الوبائية وسائل صحية وحمية غذائية خاصة للمرضى والأصحاء

معاً، وذلك بأكل الأغذية المعتدلة المائلة إلى البرودة والجافة، كالعدس والفول والبقوليات والفواكه الباردة الجافة، في مقابل ذلك منع الأطباء في زمن الوباء أكل اللحوم والحلويات والألبان بجميع أنواعها، والمرق وجميع الفواكه الرطبة.(ابن الخطيب، 2015، ص66)،(الأنطاكي، 1995 ص333)، فالوقاية هي أساس العلاج، وتبدأ الوقاية بالنظافة والمحافظة على صحة البيئة من التلوث؛ لذلك اتخذ أطباء المغرب الإسلامي من الطب الوقائي قاعدة أساسية لحفظ صحة الناس واتباع نظام غذائي يلائم فصول السنة قبل وقوع الأمراض (ابن الخطيب، 2015، ص66) (الأنطاكي، 1995، ص333).

كانت الدولة الزيانية مركزاً لتلاقي الكفاءات الطبية، خاصة بعد التوافد الذي حدث عقب سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م، حيث كانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان، واستقبل سلاطين بنو زيان الأطباء والعلماء من كل الأقطار لتدريس العلوم الطبية للطلبة، وخصصوا أماكن يعمل بها الصيادلة لصناعة الأدوية والأدهنة والأشربة، كما وجدت بعض الدكاكين التي يملكها الأطباء في سوق العطارين، تباع فيها المواد المتعلقة بالعطارة والطب، والتي يهيئها الأطباء والحكماء في منازلهم، وتُوصف وتُباع للمرضى مقابل وصفة طبية (الوزان، 1983، ج1 ص242، 243)، (فيلالي، 2002، ص248).

وكان العلاج الطبي يتم تحت إشراف أطباء البيمارستانات، ورغم قلة المعلومات التاريخية حول هذه المؤسسة الصحية التي شيدت في بلاد المغرب الأوسط، إلا إن هذه البلاد وبلا شك قد تأثرت هي الأخرى بما كان يجري في ما جاورها من البلاد الإسلامية الأخرى من تشييد لهذه المؤسسات، حيث أشار يحيى بن خلدون (1903، ج2، ص576)، إلى وجود بيمارستانات بتلمسان في فترة حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1388م)، فقد وُجد عدة أنواع من البيمارستانات: منها ما يتم بناؤه في المدن من أجل تقديم الرعاية الصحية لعامة الناس، ومنها ما يتم تشييده داخل بلاط السلطان ويختار لها أحسن الأطباء وأوثقهم، وكانت تحت تصرف ورعاية الدولة الزيانية من حيث إدارتها والإنفاق عليها(يخلف 2016، ص80، 81)، إضافة إلى ما يردها من الأحباس الموقوفة عليها (النميري، 1990، ص170).

ورغم انعدام الوثائق التي تبين سير العمل في البيمارستان التلمساني وتوضيح هيئة الموظفين الذين يعملون به إلا أنه يمكن استخلاص ذلك من خلال إشارات أكدت على وجود موظفين

للمستشفى إلى جانب الأطباء والحكماء، منهم الكتاب والحراس والطباخون وغيرهم، يتقاضى كل واحد منهم أجراً شهرياً (الوزان، 1983، ج1، ص229)، ولعل أشهر بيمارستان ببلاد المغرب الأوسط وُجد في مدينة المنصورة التي بناها أبو يعقوب المريني عندما كان محاصِراً لمدينة تلمسان سنة 702هـ/1302م (شاوش، 2001، ج1، ص71) وكان العلاج فيه مجاناً، ويبقى به المريض حتى يتماثل للشفاء (الوزان، ج1، ص228)، (السبتي، وفرحات، 1994، ص116)، غير أن بيمارستانات الدولة الزيانية عانت مشاكل داخلية في أوقات الحروب والحصار وأثناء الفتن السياسية، بحيث بقيت محرومة تقريباً من وسائل العمل، لكن مع هذا يعد البيمارستان مدرسة لتلقي كافة العلوم الطبية العلمية والنظرية، وهذا ناتج عن اهتمام سلاطين بني زيان وعنايتهم بالطب والصيدلة، إلى جانب عنايتهم بالعلوم الأخرى (فيلالي، 2002، ص248)، (زيتون، 1988 ص401).

وإلى جانب الدور الصحي الذي قامت به البيمارستانات من العناية بالمرضى كان لها دور آخر تجلى في أوقات الأزمات، فقد تحولت إلى ملاجئ للفقراء والمساكين الذين تجمعهم الدولة حتى يسهل عليها توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم، وقد سبق أن أشرنا إلى قيام السلطان أبو حمو موسى الثاني بذلك أثناء المجاعة التي وقعت سنة 776هـ/ 1374م (ابن خلدون، 1903 ج2، ص576).

لم يقتصر الاهتمام بصحة المجتمع على الأطباء المجازين في ممارسة الطب، بل كان للطب الشعبي دور في تقديم العلاج اللازم للوقاية من الأمراض والأوبئة؛ هذا النوع من التطبيب كان يمارسه العشابون بدون دراسة، ولا يستند إلى علم، وإنما اكتسبوا خبرتهم فيه من ممارسة الاستطباب بناء على التجربة التي توارثوها، ولا نعلم مدى نجاعة الأدوية والوصفات الطبية التي وضعوها، وهذا النوع من المعالجة ينتشر في البوادي أكثر من المدن (ابن خلدون، 2001، ج1 ص651)، وما ساعدهم في نجاح ممارستهم للطب الشعبي هو توفر النباتات الطبية في كل البلاد تقريباً؛ لذلك عملوا على الاستفادة منها في الإمكانات الطبية الطبيعية.

ومن التدابير التي نصح بها الأطباء مرضى الطاعون والأمراض الوبائية الأخرى تجنب ممارسة الرياضة والاستحمام وكل ما يجهد بدن المريض؛ لأن عليهم السكون والهدوء حتى لا تهيج الأخلاط فأبدان هؤلاء المرضى تحتوي على فضلات رديئة تثيرها الرياضة والاستحمام، وهو ما

يشكل خطراً على جسم المريض (مزدور، 2009، ص173)، من جهة أخرى ساهم أهل العلم في بلاد المغرب الأوسط بدور كبير في مواجهة الأزمات، فقد وقف الفقهاء والقضاة في وجه التجار ومنعوهم من احتكار السلع زمن الأوبئة والكوارث، وكانوا يحثونهم على إخراج المواد الغذائية المخزنة لديهم وبيعها في الأسواق بأسعار تناسب الجميع لسد حاجة السكان، كما أنهم شددوا العقاب على التجار الذين تبين أنهم امتنعوا عن إخراج السلع المدخرة لديهم لبيعها، وفي بعض الأحيان كان يتم وضع التسعيرة لهم إذا تجاوزوا حدودهم في البيع، وكان الغلاء فاحشاً (العقباني 1967، ص127-135).

الخاتمة

تسعى المجتمعات البشرية إلى تحقيق بيئة صحية خالية من الأمراض والأوبئة للاستقرار فيها ويعتمد تحقيق هذه الغاية على كاهل السلطة التي تدير شؤون هذه المجتمعات، ومن خلال العرض السابق يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

1. أن ظهور الأمراض والأوبئة التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط الزياني كالطواعين والجذام وغيرهما راجع لعدة أسباب، منها: الظروف المناخية التي لم تتغير كثيراً عبر فترات طويلة من العصور التاريخية ظروف لم يكن للإنسان قدرة على مواجهتها، كما تحدث نتيجة الحروب والفتن التي خلفت وراءها الخراب والدمار والجوع، يُضاف إلى ذلك عدم الاهتمام بالنظافة، وافتقار السكان للثقافة الصحية أثناء انتشار الأمراض والأوبئة، وعدم توفر الأدوية الناجعة لمواجهتها، مما أضطر السكان إلى التداوي بالأعشاب للتخفيف من حدة الأمراض ومنع انتشارها، لذلك كان من أبرز نصائح الأطباء للوقاية من الأمراض وتفادي حدوث الأوبئة الحفاظ على بيئة المنزل وكذلك بيئة المجتمع نظيفة، وعدم تكديس القمامة وتركها في الأماكن العامة.

2. مرت بلاد المغرب الأوسط بالكثير من الكوارث والأزمات الطبيعية، والعديد من الأوقات الصعبة كتعرضها لانتشار الأمراض والأوبئة، مما شكل خطراً حقيقاً على حياة السكان، خاصة وأنها تعرضت عدة مرات لهذه الكوارث ولفترات زمنية طويلة تمتد لسنوات عدة، فكانت الأمراض والأوبئة تنتشر في مختلف أرجاء البلاد أو في مناطق محددة، ومن النتائج السلبية المترتبة عليها ارتفاع الأسعار، وهجرة الأهالي وموت أعداد كبيرة منهم.

3. شكلت الأمراض والأوبئة خطراً كبيراً على مجتمع المغرب الأوسط فكانت سبباً في تدهور الوضع الصحي للسكان وكانت نتائج انتشارها سيئة على عامة الناس، مما خلف آثاراً على البنية الاقتصادية في قطاعاتها المختلفة، وأدت إلى انتشار ظواهر اجتماعية سيئة، كاحتراف السرقة السطو على المارة، وكثرت الوفيات والهجرة، حيث حصدت أرواح الكثيرين منهم، ورغم كثرة الأسباب المؤدية لحدوث الأمراض إلا إن الإنسان يعد هو المسؤول الأول عنها.

4. يتضح من خلال الدراسة أهمية تاريخ الأزمات والكوارث الطبيعية من أجل معرفة طرق وسبل التعامل معها خاصة وأن لها تأثير مباشر على حياة الناس، حيث تعتبر أزمة انتشار الأمراض والأوبئة أحد أبرز مظاهر الأزمات الطبيعية التي تعرضت لها منطقة المغرب الأوسط وخلفت آثاراً عميقة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

5. تبين من خلال الدراسة ظهور روح التضامن والتكافل الاجتماعي في أوقات الشدائد والمحن بين أبناء المغرب الأوسط، إلى جانب بروز دور الفقهاء والمتصوفة، ومساهمتهم في العمل الخيري والتخفيف من وطأة الأزمات وشدة المحن.

6. برغم اهتمام سلاطين بني زيان بالطب وتدريسه للطلبة إلا أن الكثير من المرضى في المغرب الأوسط اعتمدوا على العلاج بالطب الشعبي، الذي كان واقعاً حتمياً وضرورياً؛ كونه موروثاً اجتماعياً قديماً توارثته الأجيال.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن أبي زرع، علي الفاسي. (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة الورقية.

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف. (1991). روضة النسرين في دولة بني مرين. تحقيق. عبد الوهاب منصور. الرباط: المطبعة الملكية.

ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله. (2015). مقنعة السائل عن المرض الهائل تحقيق. حياة قارة، الرباط: مطبعة الكرامة.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (2005). المقدمة. تحقيق. عبد السلام الشدادي، الدار البيضاء: منشورات المركز الوطني للبحث العلمي والتقني.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (2000). تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر.

ابن خلدون، يحيى بن محمد. (1903). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. الجزائر: مطبعة فوناطا الشرقية.

ابن عذاري، محمد بن أحمد المراكشي. (1985). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن قنفذ، أحمد بن علي الخطيب. (1965). أنس الفقير وعز الحقير. الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي.

ابن قنفذ، أحمد بن علي الخطيب. (1983). الوفيات. ط4. تحقيق. عادل نويهض. بيروت: دار الآفاق الجديدة.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

الأنطاكي، داود بن عمر. (1995). بغية المحتاج في المجرب من العلاج. بيروت: دار الفكر.

أبو زيد، سعيد سيد. (1993). المجاعات والأوبئة وأثرها في الأندلس "عصر بني أمية". مجلة كلية الآداب، العدد الخامس عشر، مصر: جامعة المنوفية، ص218.

بردويل، فرنان.(1993). المتوسط والعالم المتوسطي. ترجمة. مروان أبي سمرا، بيروت: دار المنتخب العربي.

بلعربي، خالد. (2009). المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698-845هـ/1299-1442م). دورية كان التاريخية. العدد الرابع، ص25.

بو حجرة، عثمان. (2015). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830 "مقاربة اجتماعية". رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية جامعة وهران: الجزائر.

بو راس، رفيق. (2008). الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ/908-972م). رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة قسنطينة: الجزائر.

بولقطيب، الحسين. (2002). جوائح وأوبئة المغرب في العهد الموحدي. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

البياض، عبد الهادي. (2008). الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6-8هـ/12-14م). بيروت، دار الطليعة.

البيدق، أبي بكر علي الصنهاجي. (1971). أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين الرباط: دار المنصور للطباعة.

التنسي، محمد بن عبد الله. (2011). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان. تحقيق. محمود آغا بوعياد، الجزائر: موفم للنشر.

جسوس، عز الدين. (2002، أكتوبر). الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجديدة: الجمعية المغربية للبحث العلمي.

حربي، عباس محمود؛ حسان، حلاق. (1995). العلوم عند العرب أصولها وملامحها الحضارية بيروت: دار النهضة العربية.

الزركلي، خير الدين. (2002). الأعلام. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.

دخان، عبد العزيز الصغير. (2011). الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف. الجزائر: دار كردادة للنشر والتوزيع.

زيتون، محمد محمد. (1988). القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية. القاهرة: دار المنار.

السائح، الحسن. (1986). الحضارة الإسلامية في المغرب. ط2. الدار البيضاء: دار الثقافة.

السعداوي، أحمد. (2015). المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 8-9هـ/14-15م، مجلةIBLA ، تونس، ج58، ع175، ص119، 121.

السبتي، عبد الأحد. وفرحات، حليمة. (1994). المدينة في العصر الوسيط: قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي. بيروت: المركز الثقافي العربي.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن. (1992). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع بيروت: دار الجيل.

سعد الله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

شاوش، الحاج محمد بن رمضان. (2011). باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

الشقوري، أبي عبد الله محمد بن علي اللخمي. (1851). نصيحة في الوباء. مخطوط رقم 5067/8، مدريد: مكتبة الإسكوريال.

الظاهري، عبد الباسط بن خليل. (د.ت). رحلة عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس (866-871هـ/1462-1467م). تحقيق. عمر عبد السلام التدمري طرابلس- لبنان: الجامعة اللبنانية.

العبدري، محمد البلنسي. (2007). الرحلة المغربية. الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات.

العرباوي، عمر. (د.ت). هجرة الأطباء العرب واليهود إلى تلمسان: قراءة في الخصوصية التاريخية والاجتماعية للممارسة الطبية في المجتمع التلمساني. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الثاني، المجلد الخامس، الجزائر: جامعة جيلالي ليابس، ص45.

العقباني، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم. (1967). تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق. علي الشنوفي، دمشق: منشورات معهد الدراسات الشرقية.

فيلالي، عبد العزيز. (2002). تلمسان في العهد الزياني. الجزائر: موفم للنشر.

كربخال، مارمول. (1989). إفريقيا. ترجمة. محمد حجي وآخرون، الرباط: دار نشر المعرفة.

مختار، رحاب. (2014). الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد الخامس عشر ص175.

مزدور، سمية. (2009). المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(588-927هـ/1192-1520م). رسالة الماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة منتوري-قسنطينة: الجزائر.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد. (1997). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق. جعفر الناصري محمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب.

النميري، ابن الحاج. (1990). فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

نويهض، عادل. (1980). معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر. ط2 بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

الهلالي، محمد ياسر. (2002). أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط. ضمن الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجديدة: الجمعية المغربية للبحث العلمي.

الوزان، حسن بن محمد. (1983). وصف إفريقيا، ط2. ترجمة. محمد حجي، محمد الأخضر بيروت: دار الغرب الإسلامي.

يخلف، إيمان. (2016). المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن 2هـ إلى غاية القرن 8هـ/8-14م. رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة 8 ماي 1945: الجزائر.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 102-117، 2021

Research Article

Open Access

اتجاهات التغير في كميات الأمطار بشمال شرقي ليبيا خلال الفترة من 1961-2010 م

جمعة أرحومة جمعة الجالي
قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة طبرق– طبرق

Doi: https://doi.org/10.54172/8xb88p28

المســـتخلص: يهدف هذا البحث للتعرف على اتجاهات التغير في معدلات الأمطار السنوية سواء بالزيادة أو النقصان ومعرفة قيم انحرافاتها عن خط الاتجاه العام في منطقة شمال شرقي ليبيا خلال الفترة الممتدة من (1961 – 2010). اعتمد البحث على طريقتي خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية. وتبين أن اتجاهات التغير في معدلات الأمطار السنوية خلال فترة الدراسة اتجهت نحو النقصان في محطات طبرق، شحات، وبنينا، في حين اتجهت نحو الزيادة في محطتي درنة وأجدابيا، مما يشير إلى انخفاض كميات الأمطار في أغلب أجزاء منطقة الدراسة مع اختلاف مقدار التغير بينها. كما بين تحليل المتوسطات المتحركة الثلاثية وجود تذبذب عشوائي في معدل الأمطار السنوي بين ارتفاع وانخفاض عن المعدل العام، وأظهر هذا التفاوت فترات زمنية جافة وأخرى رطبة متفاوتة في الطول وفي مقدار ارتفاعها أو انخفاضها عن خط الاتجاه العام.

الكلمات المفتاحية: معدلات الأمطار، اتجاهات التغير، الاتجاه العام، المتوسطات المتحركة، شمال شرقي ليبيا.

Trends of Change in Rainfall Amounts in Northeastern Libya during the Period 1961-2010

Jumaa Arhumah Jumaa Al-Jali
Department of Geography, Faculty of Arts, Tobruk University – Tobruk

Abstract: This research aims to identify trends of change in annual rainfall rates, whether increasing or decreasing, and to determine the deviations from the general trend line in the northeastern region of Libya during the period from 1961 to 2010. The research relies on two methods: the general trend line method and the triple moving averages method. It was found that the trends of change in annual rainfall rates during the study period tended towards a decrease in the stations of Tobruk, Shahhat, and Benghazi, while they tended towards an increase in the stations of Derna and Ajdabiya. This indicates a decrease in rainfall amounts in most parts of the study area with varying degrees of change between them. Analysis of the triple moving averages revealed random fluctuations in the annual rainfall rate between periods of increase and decrease compared to the overall average. This variation showed intermittent dry and wet periods of varying duration and magnitude in relation to the general trend line.

Keywords: Rainfall rates, trends of change, general trend, moving averages, northeastern Libya.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

غير خفي على الأذهان أن تذبذب الأمطار قد أصبح أحد أهم مجالات البحث التي تلقى اهتماماً واسعاً من قبل الباحثين والهيئات المهتمة بالمناخ والبيئة; لما له من آثار بليغة على النظم البيئية الطبيعية والبشرية على حدٍ سواء، وعلى حياة الإنسان وأنشطته المختلفة. يعد التذبذب في كميات الأمطار بالزيادة أو النقصان من أهم السمات المناخية للأقاليم شبه الرطبة وشبه الجافة والجافة – ومن ضمنها ليبيا – حيث يؤدي إلى تكرار حدوث فترات الجفاف وتدهور البيئة الطبيعية الهشة، ومن ثم فإن انتظام سقوط الأمطار يتوقف عليه نجاح العديد من مظاهر النشاط البشري كتوفير مياه الشرب وتنمية الموارد الزراعية والرعوية. ومهما كان نوع التغير وقيمته في معدلات الأمطار السنوية; فلابد أن يكون لها تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا على السكان وأنشطتهم التنموية المختلفة(مشتهي، 2013: 378)، حيث إن إقليم الدراسة تنعدم فيه مصادر المياه السطحية ومن ثم فإن للأمطار دور رئيس في تغذية المياه الجوفية وتحسين جودتها، وتعد أيضآ من أهم مقومات التنمية. ومن جهة أخرى نجد أن الأمطار في المنطقة تتركز في فترات محدودة ومتقطعة من موسم سقوطها، وفي ظل ارتفاع الحرارة وزيادة معدلات التبخر تبعاً لذلك تكون القيمة الفعلية للمطر محدودة جداً.

لمعرفة تغيرات الأمطار وخصائصها لفترة زمنية معينة; فيجب أن لا يتم التركيز على المعدلات الشهرية والسنوية لكمياتها فحسب، بل لابد من تحديد أعلى وأقل هذه المعدلات على طول فترة الدراسة حتى لا يتم تجاهل التذبذبات التي قد تحدث من سنة إلى أخرى، ومن ثم تحديد فترات الرطوبة والجفاف (بن علي، 2007: 136). وبما أن الأمطار في منطقة الدراسة تتصف بالتذبذب الكبير في كمياتها الشهرية والسنوية زمانيًا ومكانيًا; جاء هذا البحث لمناقشة وتحليل معدلات التغير في كميات الأمطار واتجاهها العام في منطقة شمال شرقي ليبيا، ويمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1. ما طبيعة التغير في الاتجاه العام للأمطار في منطقة الدراسة من حيث الزيادة والنقصان؟
2. ما مقادير انحرافات معدلات الأمطار السنوية عن الاتجاه العام للأمطار بالمنطقة؟

أهــداف البحــث

يهدف هذا البحث إلى:

1. التعرف على التغيرات السنوية في معدلات الأمطار وتحديد اتجاهاتها.
2. معرفة مقادير انحرافات معدلات الأمطار السنوية عن خط الاتجاه العام وتحديد فترات الجفاف والرطوبة.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع التغيرات المناخية وخاصة الأمطار باهتمام واسع لدى الكثير من العلماء والباحثين والمنظمات الدولية المهتمة بالدراسات المناخية لما لها تأثيرات واسعة على حياة الإنسان وأنشطته. حيث تناولت العديد من الدراسات موضوع تغيرات الأمطار واتجاهاتها على المستوى المحلي والإقليمي، ومن أهمها ما يلي:

تطرق عبد العزيز طريح شرف (1958) إلى دراسة مشكلة الأمطار في، حيث أشار إلى العلاقة بين أنواع الهواء المداري والقطبي وأثره الواضح في مناخ السواحل الليبية، موضحًا إن أغلب الأمطار في ليبيا تعد في من النوع الإعصاري وأنها تأتي مع المنخفضات الجوية المتكونة على البحر المتوسط أو التي تعبره من الغرب إلى الشرق، و لاحظ أيضًا التباين الواضح بين كميات الأمطار التي تسقط في الشهر الواحد من سنة لأخرى، وإن أمطار الساحل في تناقص مستمر بمعدل يبلغ (0.7 ملم) كل عام، كما أكد أنه على الرغم من قلَّة الأمطار في ليبيا إلاَّ أنها كافية لصنع مستقبل اقتصادي مستقر لو استغلت على الوجه الأكمل وخصوصًا في المناطق الساحلية. وقام يوسف محمد زكري (1998) بدراسة عن الأمطار والتبخر في ليبيا حيث قسم المنطقة إلى عشر مناطق مناخية حسب التوزيع الجغرافي للمعدلات السنوية للأمطار، ومن نتائج هذه الدراسة أن المعدل السنوي للأمطار وصل إلى حوالي (500 ملم) في المنطقة الأولى بينما لم يتعدى 5 ملم في المنطقة العاشرة الأقل مطرًا، مؤكداً أن اتجاه تغير الأمطار في منطقة الجبل الأخضر يتجه نحو الزيادة. وأوصت الدراسة بضرورة تغطية البلاد بشبكة من محطات الأرصاد المناخية مختلفة الأغراض. بينما تحدث محسن بن علي (2007) في دراسته عن خصائص الأمطار في منطقة الجبل الأخضر خلال 40 سنة معتمدًا على المنهج الوصفي والتحليلي، وقد كشفت نتائج دراسته عن وجود تباين مكاني وزماني لمعدلات سقوط الأمطار السنوية بالمنطقة، وأن الاتجاه العام لكمياتها يشير إلى الزيادة في شرق المنطقة وغربها فقط بينما يتصف بالنقصان في

بقية الأجزاء، وأشار أيضا إلى أن أعلى معدل سنوي للأمطار سجل في محطة شحات وتتناقص كمياتها بالاتجاه جنوبا. و تطرق محمود سعد إبراهيم (2010) إلى دراسة اتجاهات التغير في كميات الأمطار وأثرها في التصحر في شرق الجبل الأخضر كونها أحد الأسباب الطبيعية للتصحر في المنطقة، حيث اعتمد الباحث على تحليل السلاسل الزمنية واستنتج أن الاتجاه العام للأمطار يتجه إلى التناقص في كل من محطة شحات، القيقب، القبة، ومرتوبة، في حين أنه أتجه إلى أعلى في كل من الفتائح، أم الرزم ومرتوبة، بالإضافة إلى وجود فترات عشوائية من الجفاف والرطوبة. في حين تناول البشير الطاهر محمد (2015) طبيعة التغير في كميات الأمطار بمنطقة سهل الجفارة خلال الفترة من 1970– 2005. وأثره في حدوث ظاهرة التصحر، مستنتجاً إن التغير في كميات الأمطار لأغلب محطات أرصاد المنطقة يتجه نحو النقصان ولكن بدرجات متفاوتة، وهذا التغير انعكس سلباً على نوعية وكثافة الغطاء النباتي و أدى إلى حدوث فترات جفاف متعاقبة ومن ثم ظهور حالات لتصحر بالمنطقة. أما على المستوى الإقليمي فقد قامت ايملي محمد حمادة (2017) بدراسة حول اتجاهات التغير في كمية المطر في المغرب بهدف رصد مقدار الزيادة والنقصان في كميات المطر في المغرب وتحديد الاتجاه العام لتغير الأمطار، معتمدة في دراستها على سجلات لكميات المطر في المغرب بصفةٍ عامة، وقد بينت نتائج هذه الدراسة أن خط اتجاه تغير الأمطار يشير إلى التناقص الحاد في كمية المطر في فصل الخريف و يتصف بالثبات النسبي في فصل الشتاء ، أما التغير السنوي فإن معدل التغير قد اتجه إلى التناقص منذ الأربعينيات، مع زيادة ملحوظة خلال الثمانينيات من القرن العشرين والعِقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

منطقة الدراسة

تتمثل منطقة الدراسة في الجزء الشمالي الشرقي من ليبيا الممتد فلكيًا بين دائرتي عرض 30 ´ 30° و 56 ´ 32° شمالًا و بين خطي طول 30 ´ 19°و 30 ´ 24° شرقًا ، وبذلك فهي تشمل محطات الأرصاد الجوية في كل من طبرق ، درنة، شحات، بنينا، وأجدابيا، شكل (1).

مناخيًا تتأثر المنطقة باختلاف الضغط الجوي وتمركزاته على البحر المتوسط شمالًا والصحراء الكبرى جنوبًا بالإضافة إلى الكتل الهوائية غير المتجانسة، كما تتعرض المنطقة للمنخفضات الجوية التي تعبر البحر المتوسط من الغرب إلى الشرق خلال فصل الشتاء وأوائل

فصل الربيع (إبراهيم، 2010: 8). وتتباين الأمطار وفاعليتها في منطقة الدراسة مكانيًا وزمانيًا نتيجةً لتأثرها ببعض العوامل الجغرافية المحلية كالموقع الجغرافي والتضاريس وشكل الساحل، فهي تغزر في الأماكن التي تتأثر بمرور المنخفضات الجوية أكثر من غيرها(نوح، 2009: 5-6). وعادةً ما تكون كميات الأمطار غزيرة في شمال المنطقة نظرًا لقربها من الساحل من جهة و ارتفاعها عن سطح البحر من جهة أخرى وتقل معدلاتها تدريجيًا بالاتجاه جنوبًا وشرقًا، وفي كلا الاتجاهين السابقين تزداد درجة الحرارة حيث يتراوح متوسطها السنوي بين 16.6°م في شحات وترتفع إلى 20.8°م في أجدابيا، ومن ثم تزداد معدلات التبخر وخصوصًا في فصل الصيف مما يؤدي إلى انخفاض القيمة الفعلية للتساقط ومن ثم زيادة الجفاف.

شكل (1) منطقة الدراسة

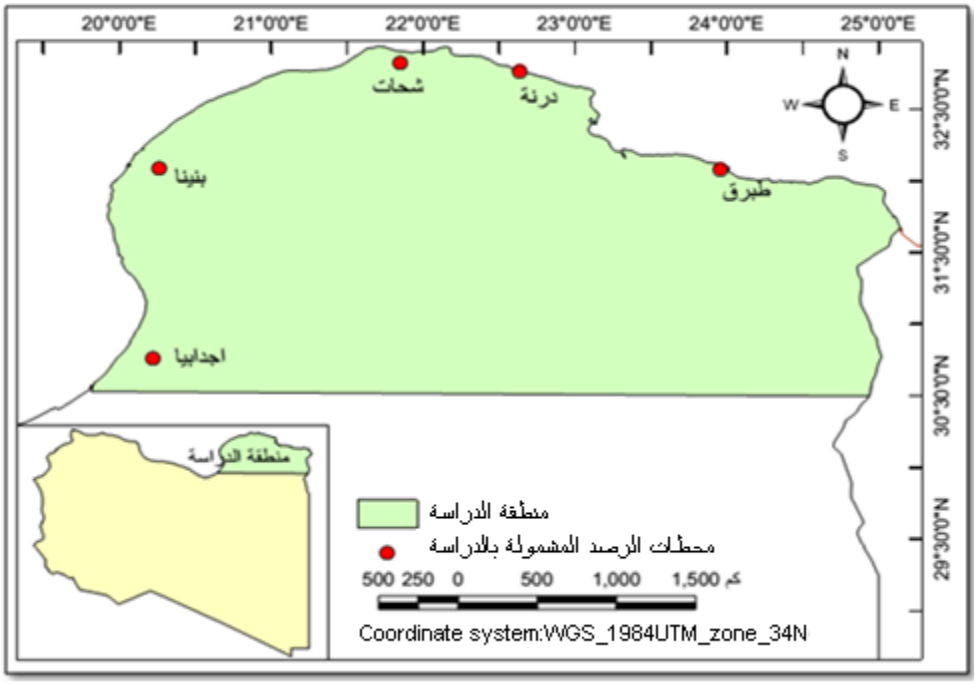

المصدر: إعداد الباحث باستخدام (ArcMap10.2).

مصادر البيانات

نظرًا للنقص الملحوظ في البيانات المناخية وتوقف العديد من محطات الرصد وخصوصاً في مناطق جنوب الجبل الأخضر; فقد اعتمدت هذه الدراسة في جمع بياناتها على كميات الأمطار المسجلة والمعتمدة من المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية لعدد خمس (5) محطات رئيسية للرصد الجوي والموضحة في خريطة الموقع. حيث تم الاعتماد على بيانات كميات الأمطار

الساقطة لفترة 50 سنة (من سنة 1961 إلى سنة 2010) باستثناء محطة طبرق التي بدأ الرصد بها ابتداءً من سنة 1986، جدول رقم (1).

جدول (1) محطات الأرصاد الجوية في منطقة الدراسة

التسلسل	المحطة	رقم المحطة	الموقع الفلكي		الارتفاع بالمتر	البعد عن البحر (كم)	فترة الرصد
			دائرة العرض ش	خط الطول ق			
1	شحات	62056	32° 49´	21° 51´	621	9	2010 -1961
2	بنينا	62053	32° 05´	20° 16´	129	22	2010 -1961
3	درنة	62059	32° 47´	22° 35´	26	0.25	2010 -1961
4	طبرق*	62062	32° 06´	23° 56´	50	0.7	2009 -1986
5	أجدابيا	62055	30° 43´	20° 10´	7	21	2010 -1961

المصدر: المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ والتغيرات المناخية، طرابلس.

* بداية الرصد في محطة طبرق سنة 1986

منهجية الدراسة

لمعرفة أهم التغيرات التي طرأت على كميات الأمطار السنوية في الفترة الزمنية المحددة وتحديد اتجاهاتها بالنسبة لخط الاتجاه العام; تم استخدام طريقتين هما:

أ. خط الاتجاه العام: استخدمت هذه الطريقة لمعرفة ما إذا كان الاتجاه العام للأمطار في كل محطة من المحطات المشمولة بالدراسة يتصف بالتحرك الصاعد أو الهابط. ولكي يتبين لنا وجود اتجاه عام للأمطار فقد تم تقسيم بيانات الأمطار السنوية للفترة الزمنية الكلية لكل محطة إلى فترتين متساويتين و تم حساب متوسط كل مجموعة والمقارنة بينهما لتحديد مقدار الزيادة واتجاهها.وبتمثيلها بيانيًا وُضعت قيمة كل متوسط مقابل السنة الوسطى لكل مجموعة، وتم رسم خط مستقيم بينهما ليمثل الاتجاه العام للأمطار(الصالح والسرياني، 1976: 138).

ب. طريقة المتوسطات المتحركة الثلاثية: تم استخدام المتوسطات المتحركة لتقليل التقلبات العشوائية غير المنتظمة، وكذلك لتحديد ما إذ كان التغير في كمية الأمطار وانحرافها عن خط الاتجاه العام عشوائيًا أم يسير بطريقة منتظمة(مسعود، 2015: 113)، وتم حساب ذلك عن طريق جمع قيم ثلاث سنوات متتالية ومتداخلة واستخراج متوسطها ووضع قيمة كل متوسط أمام السنة الوسطى.

المعدلات الفصلية والسنوية للأمطار:

معدلات الأمطار في منطقة الدراسة متفاوتة مكانيًا نظرًا لاختلاف العوامل الجغرافية المحلية المؤثرة في سقوط الأمطار، فهي عادة ما تغزر في الشمال والشمال الشرقي من منطقة الدراسة، كما هو الحال في شحات وتقل تدريجيًا بالاتجاه جنوبًا وشرقًا كنتيجة للابتعاد التدريجي عن المؤثرات البحرية وانخفاض منسوب الأرض ووقوع هذه الأجزاء في منطقة ظل المطر بالإضافة إلى شكل الساحل وتعرجاته كما في طبرق وأجدابيا. ويبدأ موسم سقوط الأمطار الفعلي في المنطقة في منتصف فصل الخريف ويستمر حتى فصل الربيع. كما هو مبين في الجدول (2) تحظي منطقة شحات ومحيطها بأعلى معدل للأمطار في ليبيا وخاصة في فصل الشتاء الذي يصل فيه المعدل إلى حوالي (327.6 ملم)، وينخفض هذا المعدل إلى النصف تقريبًا في كل من بنينا ودرنة ليصل إلى (173.2 ملم) و (156.1 ملم) على التوالي ويواصل هذا المعدل انخفاضه ليصل إلى (121.7 ملم) في طبرق و(103.1 ملم) في أجدابيا. أما في فصلي الخريف والربيع فتقل فيهما الأمطار إلى أقل من النصف في المنطقة ككل، بينما يعد فصل الصيف هو أكثر فصول السنة جفافًا، حيث لا يزيد فيه المتوسط الفصلي في شحات عن (1.3 ملم) تقريبًا ويصل إلى الصفر في طبرق.

جدول (2)المعدلات الفصلية والسنوية للأمطار بمنطقة الدراسة (ملم)

الفصل / المحطة	الشتاء	الربيع	الصيف	الخريف	المتوسط السنوي
شحات	327.6	98.7	4.0	129.6	559.9
بنينا	173.2	36.3	0.5	57.4	267.4
درنة	156.1	37.3	2.7	70.4	266.5
طبرق	121.7	21.9	0.0	34.7	178.3
أجدابيا	103.1	16.6	0.1	29.0	148.8
معدل المنطقة	176.3	42.2	1.5	64.2	284.2

المصدر: إعداد الباحث اعتمادً علي بيانات المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ. والتغيرات المناخية، طرابلس.

النتائج والمناقشة

الاتجاه العام للأمطار في منطقة الدراسة:

يعطي الاتجاه العام للأمطار انطباعاً عن الصورة الكلية لاتجاه الأمطار وتحديد ما يمكن أن يكون عليه وضع الأمطار في السنوات المقبلة، ومن ثم فهو يمثل طريقة للتوقعات المستقبلية لمعدلات الأمطار على المدى القريب في المناطق الجافة وشبة الجافة التي تتصف أمطارها بالطابع العشوائي وكثرة تغير كمياتها من سنة لأخرى (إبراهيم، 2010: 14).

من خلال الجدول رقم (3) نلاحظ أن مقدار الزيادة في المعدل العام لكميات الأمطار السنوية في درنة قد ارتفع من (251.9 ملم) في الفترة الأولى إلى (271.5 ملم) في الفترة الثانية بمقدار زيادة و صل إلى (19.6 ملم). وفي أجدابيا ارتفع هذا المعدل من (146.6 ملم) في المجموعة الأولى إلى (160.3 ملم) في الفترة الثانية بمقدار زيادة وصل إلى (13.6 ملم). بينما في بنينا انخفض هذا المعدل من (274.6 ملم) في المجموعة الأولى إلى (256.9 ملم) في الفترة الثانية بمقدار انخفاض وصل إلى (17.7 ملم)، كما انخفض ذات المعدل أيضا في شحات من (574.1 ملم) في الفترة الأولى إلى (534 ملم) في الفترة الثانية بأعلى قيمة تغير هابط تقدر بنحو (39.6 ملم)، وفي طبرق فقد انخفض متوسط الأمطار السنوي بقيمة (34.6 ملم) حيث انخفض من (191 ملم) في الفترة الأولى إلى (156.4 ملم) في الفترة الثانية.

وقد اتضح أن النسبة الأكبر لتغيرات الأمطار السنوية كانت تتجه نحو النقصان، ويلاحظ من خلال خط الاتجاه العام أنه أتجه هابطاً في ثلاث محطات هي طبرق، شحات، بنينا، بينما يأخذ اتجاهاً صاعدًا في محطتي درنة وأجدابيا، مما يدل على أن انخفاض كميات الأمطار هو الطابع المميز على أغلب أجزاء المنطقة، ومقدار هذه التغيرات سواء بالزيادة أو النقصان كان مرتفعاً نسبياً في بعض محطات الدراسة وضئيلًا في أخرى، وذلك لاختلاف العوامل المؤثرة في سقوط الأمطار في كل منها. الأمر الذي أدى إلى تدهور بيئة المراعي الطبيعية وانخفاض المساحات الزراعية بالإضافة إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية وتدهور نوعيتها في ظل السحب المفرط لها، ومن ثم فشل بعض المشاريع التنموية.

جدول رقم (3) الاتجاه العام لكميات الأمطار السنوية في محطات منطقة الدراسة

المحطات	عدد السنوات	كمية الأمطار في الفترة الأولى			كمية الأمطار في الفترة الثانية			الفرق بين المتوسطين	الاتجاه العام للتغير
		المدة الزمنية	المجموع (ملم)	المتوسط (ملم)	المدة الزمنية	المجموع (ملم)	المتوسط (ملم)		
طبرق	24	1997-1986	2291.5	191	2009-1998	1877.3	156.4	34.6 -	نقصان
درنة	50	1985-1961	6298	251.9	2010-1986	6787.9	271.5	19.6	زيادة
شحات	50	1985-1961	14352.7	574.1	2010-1986	13362.3	534.5	39.6 -	نقصان
بنينا	50	1985-1961	6865.9	274.6	2010-1986	6423.3	256.9	17.7-	نقصان
أجدابيا	50	1985-1961	3665.8	146.6	2010-1986	4008.5	160.3	13.6	زيادة

المصدر: إعداد الباحث اعتمادً علي بيانات المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ والتغيرات المناخية، طرابلس.

تغيرات الأمطار السنوية و انحرافاتها عن خط الاتجاه العام

تغيرات الأمطار هي قيمة الزيادة أو النقصان في معدلاتها عن خط الاتجاه العام والذي يمثل سلسلة زمنية محسوبة لمعدلات الأمطار السنوية طيلة الفترة الزمنية المعتمدة في هذه الدراسة والبالغة 50 سنة. وعلى الرغم من التفاوت الكمي للأمطار من سنة لأخرى ووجود قيم متطرفة مرتفعة أو منخفضة; إلا أن هناك اتجاه واحد عام للأمطار يتصف بالهبوط أو الصعود المستمر في كل محطة من محطات منطقة الدراسة.

وباعتبار السنوات التي ترتفع فيها كميات الأمطار عن المتوسط العام سنوات رطبة، بينما التي تقل فيها عن هذا المعدل سنوات جافة (نوح، 2009: 10)، فقد أدى تذبذب كميات الأمطار في فترات زمنية متقطعة تتجه للهبوط تارةً وللصعود تارةً أخرى إلى خلق فترات جافة وأخرى رطبة تبعًا لانحراف معدلاتها السنوية عن المعدل العام. ولتقليل حدة التغيرات والتقلبات العشوائية للأمطار ولمعرفة ما إذ كانت هذه التغيرات الزمنية من سنة إلى أخرى و انحرافاتها عن خط الاتجاه العام عشوائية أو تتبع أسلوبًا منتظمًا وبيان فترات الرطوبة والجفاف; تم استخدام طريقة المتوسطات المتحركة الثلاثية. ومن خلال تحليل المتوسطات المتحركة الثلاثية للمحطات قيد الدراسة ومقارنتها بخط الاتجاه العام تبين أن معدل الأمطار السنوي قد تذبذب بين ارتفاع وانخفاض عن المعدل العام خلال الفترة الزمنية المشمولة بالدراسة في عدة فترات زمنية غير منتظمة ومتفاوتة في الطول وفي مقدار زيادة أو انخفاض كمية الأمطار عن الاتجاه العام.

فترات الرطوبة والجفاف:

مرَّت على منطقة شحات خلال المجال الزمني للدراسة ثمان (8) فترات رطبة مقابل ثمان (8) فترات جافة متباينة الطول. فقد كانت البداية بفترة رطبة سنة 1962 ولمدة سنة واحدة بمتوسط (678.6 ملم)، ثم تلتها الفترة الثانية ولمدة خمس سنوات امتدت من سنة 1965 إلى سنة 1969 وحضت هذه الفترة بأعلى معدل وصل إلى (701.2 ملم)، أما الفترة الثالثة الرطبة فامتدت من سنة 1977 إلى سنة 1978، والرابعة كانت سنة 1982، في حين استمرت الفترة الخامسة على مدى ست سنوات متتالية من سنة 1987 إلى سنة 1992، بينما الفترة السادسة والسابعة فكان طول كل منها سنة واحدة فقط هي 1995 و 1997 وبزيادة قليلة عن خط الاتجاه العام بمتوسط (552.9 ملم) و (574.5 ملم) على التوالي، في حين امتدت الفترة الأخيرة من سنة 2002 الي 2004. ومن جهة أخرى تمثلت أولى فترات الجفاف في الفترة من 1963 إلى 1964، واستمرت ثاني فترات الجفاف على مدى سبع سنوات متتالية من سنة 1970 إلى سنة 1976 انخفض فيها متوسط الأمطار إلى (448.7 ملم)، أما الفترة الجافة الثالثة فكانت لمدة ثلاث سنوات بين عامي1979 و1981، والفترة الرابعة امتدت بين عامي 1983 و1986 وتعد من أشد الفترات جفافًا في شحات، حيث وصل فيها متوسط الأمطار إلى أدنى مستوياته بقيمة (448.2 ملم) سنة 1985، ثم مرت بعد ذلك فترتين جافتين قصيرتين سنة 1993 و1996 وبفارق قليل عن خط الاتجاه العام لينخفض بعدها معدل الأمطار مكونًا فترة جفاف سابعة بين عامي 1998 و2001 ، أما أخر الفترات الجافة فاستمرت لمدة ثلاث سنوات من سنة 2007 إلى سنة 2009. ومن خلال ما سبق يمكن القول إن منطقة شحات قد مرت عليها عشرون سنة رطبة وخمس وعشرون سنة جافة غير متواصلة، في حين أن ثلاث سنوات كانت قيم المتوسطات المتحركة للأمطار فيها مساوية لخط الاتجاه العام كما هو واضح في الشكل رقم (2).

وبالنظر إلى شكل رقم (3) نلاحظ أن سلسلة المتوسطات المتحركة في درنة بدأت بفترة رطبة امتدت من سنة 1962 إلى سنة 1964 وبمعدل أمطار سنوي متناقص، ثم استمر هذا المعدل في التناقص حتى وصل لمستوى أدنى من المعدل العام مكونًا فترة جافة قصيرة نسبيًا استمرت سنتين، ثم تعرضت المنطقة لفترة رطبة ثانية لمدة ثلاث سنوات بين عامي 1967 و1969، لينخفض بعدها معدل الأمطار مرة أخرى ليصل إلى (201.2 ملم) مما أدى إلى تكون فترة جافة ثانية طويلة نسبيًا استمرت لمدة سبع سنوات متتالية بين عامي 1970 إلى 1976، أما الفترة الرطبة الثالثة فكان معدل الأمطار فيها قريب جدًا من خط الاتجاه العام ولمدة قصيرة لم

تتعدى سنتين سرعان ما يتجه بعدها المعدل نحو الهبوط السريع مرة أخرى إلى أدني مستوياته ليصل (189.2 ملم) سنة 1981 وقد امتدت هذه الفترة الجافة من سنة 1980 إلى سنة 1983، ثم تأتي فترة رطبة تعد الأطول في المنطقة خلال فترة الدراسة استمرت على مدى أربع عشرة سنة بدأت في سنة 1984 وانتهت في سنة 1997، كما حضت هذه الفترة بأعلى معدل أمطار في منطقة درنة والذي بلغ (354.5 ملم) سنة 1995، ثم تأتي بعد ذلك أطول فترات الجفاف والتي امتدت على طول ثمان سنوات بدأت بسنة 1999 وانتهت بسنة 2006 ، وبعد ذلك اتجه المعدل للارتفاع الطفيف مكونًا فترة رطبة قصيرة جدًا استمرت سنة واحدة فقط ليهبط بعدها مره أخرى ليكون أخر فترات الجفاف في هذه السلسلة. يتضح مما سبق أن منطقة درنة شهدت خمس فترات رطبة استمرت على مدى ثلاث وعشرون سنة متقطعة بصورة عشوائية وبمعدلات أمطار متذبذبة أيضًا، مقابل ذلك مرت عليها خمس فترات رطبة مختلفة الأطوال وعلى مدى ثلاث وعشرون سنة، في حين كانت هناك فترتان تساوى فيهما معدل الأمطار مع خط الاتجاه العام سنتي 1979 و 1998.

شكل (2) خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية في شحات

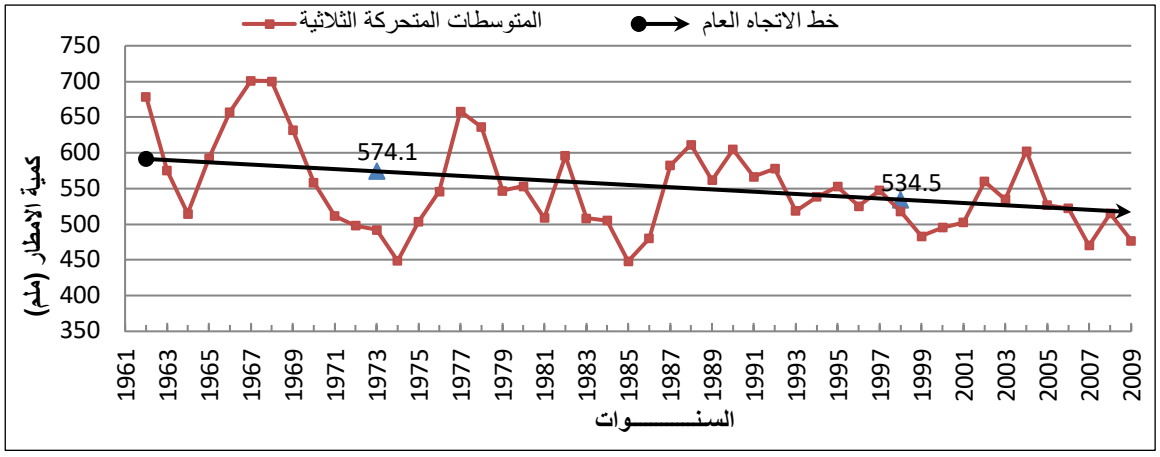

شكل (3) خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية في درنة

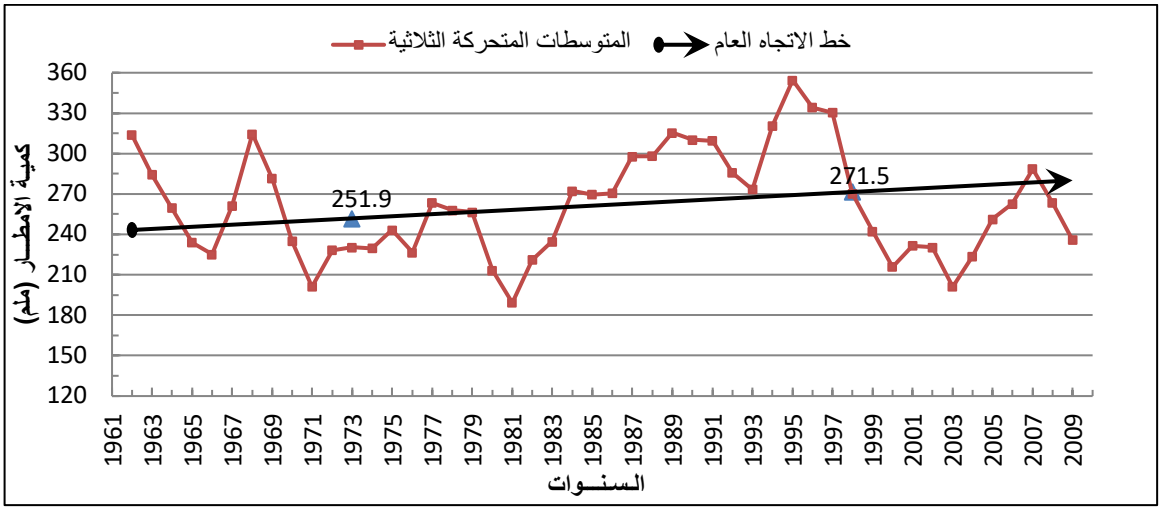

هذا وقد سُجلت في بنينا عدة تغيرات في معدلات الأمطار أدت إلى حدوث ست فترات جافة مقابل خمس فترات رطبة فقط، شكل (4). حيث كانت البداية بفترة جافة استمرت لمدة أربع سنوات بدأت سنة 1963 وانتهت سنة 1966 وانخفض فيها معدل الأمطار إلى (216.6 ملم)، أما الفترة الجافة الثانية فاستمرت على مدى ست سنوات من سنة 1972 إلى سنة 1977، وكذلك استمرت الفترة الثالثة لمدة ست سنوات امتدت بين سنتي 1985 و1990، وبعد مرور ثمان سنوات حدثت فترة جفاف أخرى لمدة أربع سنوات من سنة 1999 إلى سنة 2002، وبمعدل أمطار انخفض إلى حوالي (211.9 ملم) ، أما فترة الجفاف الخامسة فكانت قصيرة ولمدة سنة واحدة فقط ، وبعد سنة أخرى حدثت فترة الجفاف السادسة والأخيرة في السلسلة سنتي 2008 و2009 وتعد هذه الفترة هي الأكثر جفافًا; حيث هبطت قيمة المتوسطات المتحركة فيها إلى (194.4 ملم). أما الفترات الرطبة فقد دامت الأولى خمس سنوات من 1967 إلى 1971 وكانت زيادة معدل الأمطار عن خط الاتجاه العام في هذه الفترة قليلة، في حين دامت الفترة الرطبة الثانية لسبع سنوات بين سنتي (1978 –1984) كما أن هذه الفترة حظيت بأعلى متوسط للأمطار بقيمة (353 ملم) سنة 1979، أما أطول فترة رطوبة شهدتها منطقة بنينا فقد استمرت على مدى ثمان سنوات متتالية من 1991 إلى 1998، بينما كانت الفترة الرطبة الرابعة قصيرة نسبيًا حيث امتدت بين سنتي 2003 و2005، وبعد مرور سنة واحدة جافة حدثت فترة رطبة خامسة قصيرة جدًا ولمدة سنة واحدة فقط.

شكل (4) خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية في بنينا

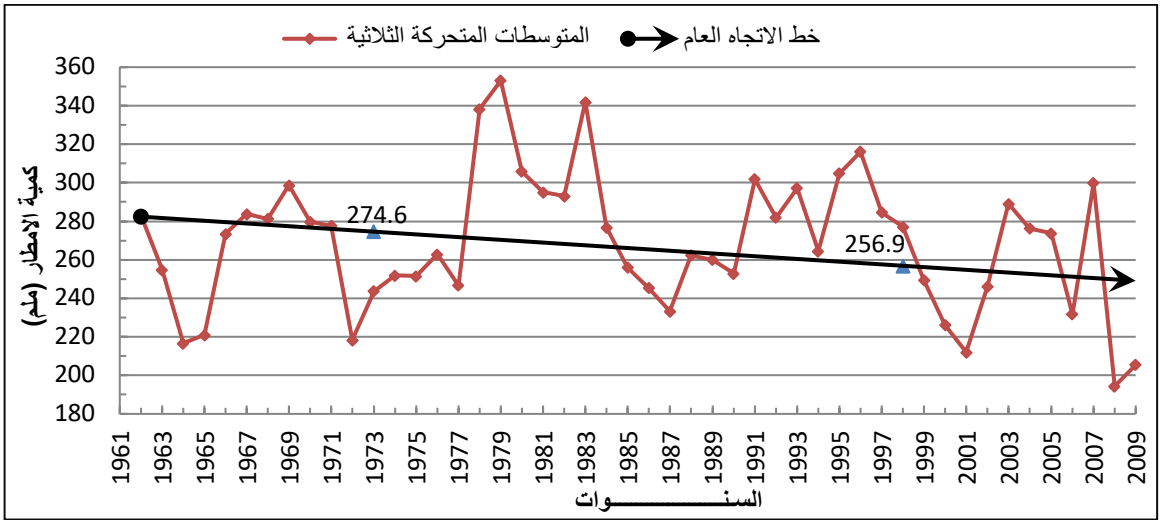

وفي طبرق كانت أعلى قيمة للمتوسطات المتحركة الثلاثية حوالي (227.6 ملم) سنة 1987 وهي بذلك تمثل أول فترات الرطوبة ولمدة سنة واحدة فقط، وبعد ذلك بدأت المتوسطات السنوية في التذبذب العشوائي متجهةً لأسفل، وفي سنة 1993 تمثلت الفترة الرطبة الثانية و لمدة سنة واحدة فقط، أما الثالثة فقد امتدت لمدة سنتين (1997– 1998)، في حين كانت فترة الرطوبة الأخيرة طويلة نسبيًا حيث دامت حوالي خمس سنوات من سنة 2004 إلى سنة 2008. هذا وقد مثلت الفترة من سنة 1988 إلى 1991 أولى فترات الجفاف في طبرق، في حين دامت الفترة الثانية لسنتين (1995 – 1995)، أما فترة الجفاف الثالثة والأخيرة فقد كانت الأطول وأشد جفافًا حيث امتدت على مدى خمس سنوات متتالية (1999 – 2003) ووصلت قيمة المتوسطات المتحركة فيها مستوى متدني بلغ حوالي (132.9 ملم). مما سبق نلاحظ أن فترات الجفاف في طبرق دامت حوالي أحدى عشر سنة غير متتالية، في حين دامت الفترات الرطبة حوالي تسع سنوات فقط، أما سنتي 1992 و 1996 فقد تساوت فيهما قيم المتوسطات المتحركة مع خط الاتجاه العام، شكل (5).

شكل (5) خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية في طبرق

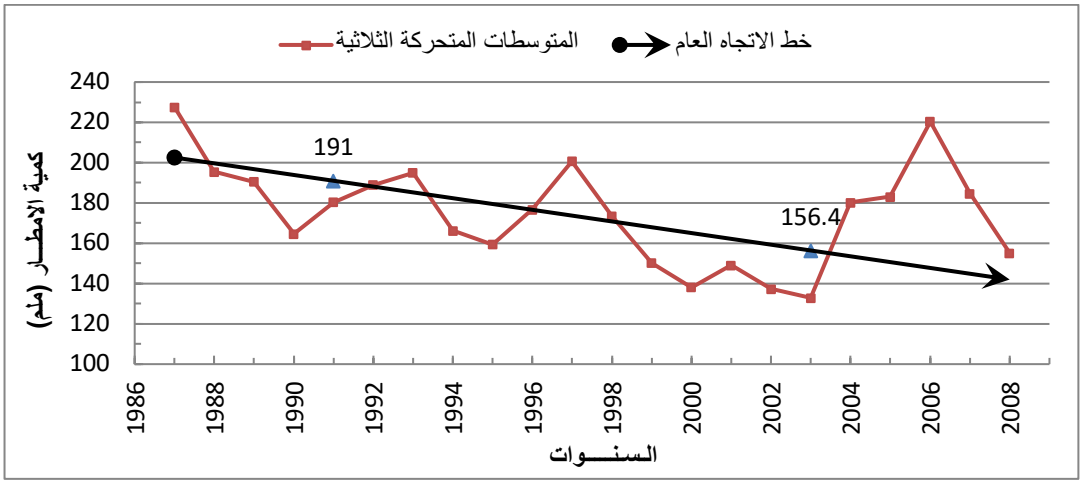

أما في أجدابيا فإن المتوسط السنوي للأمطار يتسم بالانخفاض النسبي ولكنه يتجه تدريجيًا وببطء إلى أعلى رغم التذبذب العشوائي ، وقد شهدت هذه المنطقة سبع فترات رطبة مقابل سبع فترات جافة كذلك مختلفة الأطوال ومتفاوتة في المعدلات السنوية. فبداية السلسلة كانت رطبة قصيرة ولمدة سنة واحدة فقط، وامتدت الفترة الرطبة الثانية لمدة أربع سنوات من (1974 إلى 1977)، وبعد مرور سنتين أرتفع متوسط الأمطار مرة أخرى ليصل إلى (206.5 ملم) مكونًا فترة رطبة ثالثة دامت لثمان سنوات متتالية (1980 – 1987)، ثم تلت ذلك ثلاث فترات رطبة متقاربة تفصل كل فترة عن الأخرى سنة واحدة فقط; حيث امتدت الرابعة من سنة 1990 إلى 1995 ودامت الخامسة سنتين في حين امتدت الفترة السادسة من سنة 2000 إلى 2003 وكانت هي الفترة الأعلى رطوبة، فقد وصلت قيمة المتوسطات المتحركة فيها إلى (233.6 ملم) سنة 2002، أما الفترة السابعة والأخيرة فقد كانت قصيرة وتمثلت في سنة 2007. أما الفترات الجافة فقد دامت أولها عشر سنوات متتالية امتدت من سنة 1964 إلى سنة 1973 وانخفضت فيها قيمة المتوسطات إلى (112.1 ملم) سنة 1971، أما الفترتان الثانية والثالثة فقد استمرت كل منهما سنتين امتدت من (1978– 1979) و (1988 – 1989) على التوالي، بينما الفترتان الرابعة والخامسة فلم تتجاوز كل منهما السنة الواحدة كما ان قيمة المتوسطات المتحركة فيهما قريبة جدًا من خط الاتجاه العام، هذا وامتدت الفترتين الأخيرتين بين سنتي (2004 – 2006) و (2008 – 2009) على التوالي، وتعد الأخيرة من أشد فترات الجفاف التي شهدتها المنطقة خلال فترة الدراسة; نظرًا لزيادة الفارق بين المعدل العام والمتوسطات المتحركة في هذه الفترة.

شكل (6) خط الاتجاه العام والمتوسطات المتحركة الثلاثية في أجدابيا

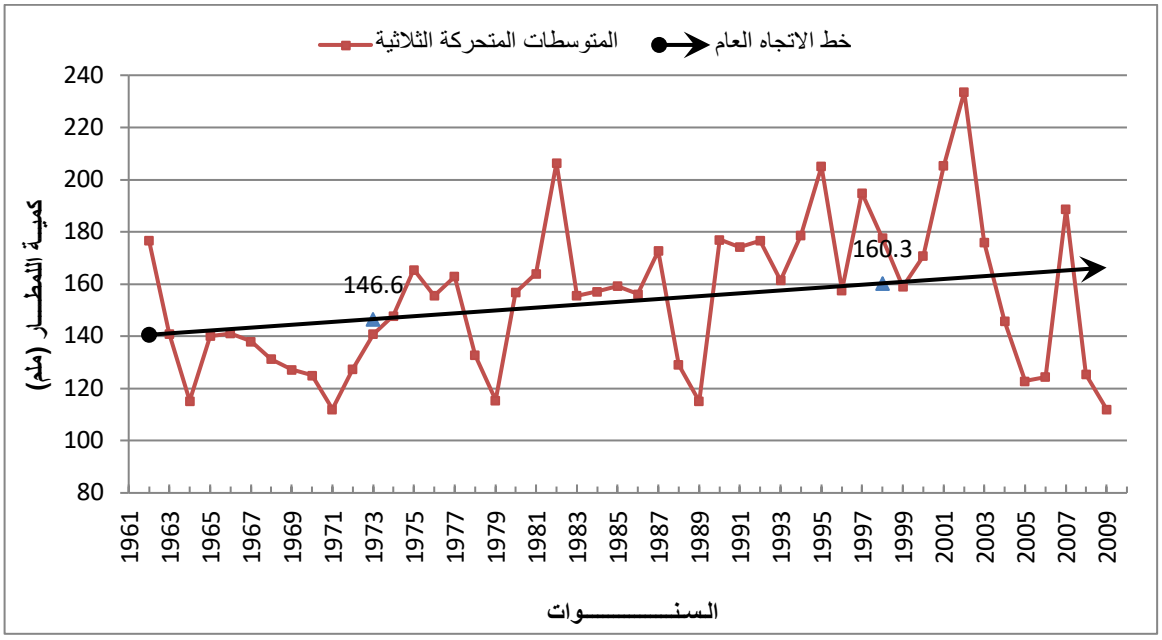

الخاتمـــــــة

تناول هذا البحث اتجاهات التغير في معدلات الأمطار السنوية خلال الفترة من 1961-2010 م وحددت قيم انحرافاتها عن خط الاتجاه العام وتحديد فترات الجفاف والرطوبة، وذلك بالاعتماد على طريقة المتوسط النصفي و خط الاتجاه العام بالإضافة إلى طريقة المتوسطات المتحركة الثلاثية. استنتجت الدراسة أن اتجاهات التغُّير في معدلات الأمطار السنوية خلال فترة الدراسة اتجهت نحو النقصان في محطات طبرق، شحات، وبنينا، في حين اتجهت نحو الزيادة في محطتي درنة وأجدابيا. كما اتضح من خلال تحليل المتوسطات المتحركة الثلاثية ومقارنتها بخط الاتجاه العام للأمطار أن هناك تذبذب عشوائيًا بين ارتفاع وانخفاض في معدل الأمطار السنوي عن المعدل العام خلال الفترة الزمنية المشمولة بالدراسة في عدة فترات زمنية متفاوتة في الطول وفي مقدار زيادة أو انخفاض كمية الأمطار عن هذا المعدل. وقد نجم عن هذه التغيرات إلى حدوث فترات رطبة وأخرى جافة على مدى سنوات متفرقة ومتفاوتة الطول، حيث شهدت منطقة شحات ثمان فترات رطبة مقابل ثمان فترات، أما درنة فقد مرَّت عليها خمس فترات رطبة مقابل

خمس فترات رطبة، في حين شهدت بنينا عدة تغيرات في معدلات الأمطار أدت إلى حدوث ست فترات جافة مقابل خمس فترات رطبة، وسُجلت في طبرق أربع فترات رطبة وثلاث فترات جافة، أما أجدابيا فقد شهدت مرور سبع فترات رطبة مقابل سبع فترات جافة. وقد لوحظ أن هناك انخفاضاً في معدل كميات الأمطار السنوية في أغلب أجزاء منطقة الدراسة مع وجود اختلاف في مقدار التغير من محطة إلى أخرى.

المراجـــــع

إبراهيم، محمود سعد (2010) اتجاهات التغير في كميات الأمطار وأثرها في التصحر في شرق الجبل الأخضر، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، العدد10، (البيضاء: جامعة عمر المختار).

بن علي، محسن (2007) خصائص الأمطار في منطقة الجبل الأخضر– دراسة في الجغرافية المناخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بنغازي: قسم الجغرافيا، جامعة قار يونس).

حمادة، ايملي محمد (2017) اتجاهات التغير في كمية المطر في المغرب خلال أحد عشر عِقداً (1901–2010)،المؤتمر الجغرافي الدولي الأول للموارد المائية في الوطن العربي بين المعوقات وآفاق التنمية، (المنوفية:مركز البحوث الجغرافية والكارتوغرافية، جامعة المنوفية).

زكري، يوسف محمد (1998) الأمطار والتبخر في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة (الزاوية: قسم الجغرافيا، جامعة السابع من ابريل).

شرف، عبد العزيز طريح (1958) مشكلة الأمطار في ليبيا، مجلة كلية الآداب والتربية، المجلد الأول، (بنغازي: الجامعة الليبية).

الصالح، ناصر عبد الله، ولسرياني، محمد محمود (1979) الجغرافية الكمية والإحصائية–أسس وتطبيقات، (جدة: دار الفنون للنشر).

مسعود، البشير الطاهر محمد (2015) الاتجاه العام لمعدلات الأمطار ودوره في حدوث ظاهرة التصحر بمنطقة سهل الجفارة، المجلة الجامعة، المجلد 2، العدد 17، (الزاوية: جامعة الزاوية).

مشتهى، عبد العظيم قدورة (2013) اتجاه التغير في كميات الأمطار في الضفة الغربية بين عامي 2008 – 1997–دراسة تطبيقية لحالة في جغرافية المناخ) مجلة جامعة الأزهر، العدد 1 (غزة: جامعة الأزهر).

المركز الوطني الليبي للأرصاد الجوية، إدارة المناخ والتغيرات المناخية، طرابلس.

نوح، سعيد إدريس (2009) تغيرات الأمطار في محطة شحات، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، العدد 6 (البيضاء: جامعة عمر المختار).

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 118-142، 2021

Research Article Open Access

تحليل محتوى كتاب العلوم للصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا في ضوء معايير دراسة التوجهات الدولية للرياضيات والعلوم (TIMSS- 2015)

سعيد فتوح عطا
كلية التربية، قسم معلم فصل، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/6ddb9z94

المستخلص: هدفت الدراسة الحالية إلى تحليل المحتوى لكتاب علوم الصف الرابع الأساسي بليبيا في ضوء معايير (TIMSS- 2015)، استخدم الباحث المنهج الوصفي من خلال أسلوب تحليل المحتوى، وتكوّن مجتمع وعينة الدراسة من كل موضوعات كتاب تلميذ الصف الرابع الأساسي بليبيا بجزأيه (الأول والثاني)؛ لتحقيق ذلك استخدم الباحث أداة لتحليل المحتوى تبعًا لمعايير (TIMSS- 2015). وتوصلت الدراسة إلى ما يلي: فيما يخص علم الأحياء: حل أولاً مجال خصائص المخلوقات الحية وتصنيفها وعملياتها الحيوية (54.12%)، يليه مجال الخلية ووظائفها (32.94%)، بينما لم يحصل كل من مجالي الإنسان وصحته، ودورات حياة الكائنات والتكاثر والوراثة، على أي تكرارات. وفيما يخص علم الفيزياء: حل أولاً مجال مصادر وتأثيرات الطاقة (39.55%)، يليه مجال تصنيف وخصائص المواد (38.43%)، بينما لم تحصل مجالات الصوت، والكهرباء والمغناطيسية، والقوى والحركة على أي تكرارات. وفيما يخص علم الأرض: حل أولاً مجال تركيب الأرض وخصائصها الطبيعية (76.32%)، يليه مجال الأرض والنظام الشمسي (14.47%)، بينما حصل مجال الأرض: دوراتها، عملياتها، تاريخها (9.21%). وفيما يخص العلوم ككل: حل أولاً علم الفيزياء (52.14%)، يليه علم الأحياء بواقع (33.07%)، بينما حل علم الأرض ثالثًا (14.79%). وأوصت الدراسة بضرورة إجراء مراجعة لمحتوى كُتب العلوم بليبيا، بحيث تراعي معايير (TIMSS- 2015).

الكلمات المفتاحية: تحليل المحتوى، كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا، معايير دراسة التوجهات الدولية للرياضيات والعلوم TIMSS.

Analysis of The Content of The Fourth-Grade Science Textbook in Basic Education in Libya in Light of The Trends in International Mathematics And Science Study (TIMSS-2015)

Said Fatouh Atta
Faculty of Education, Classroom Teacher, Department Omar Al-Mukhtar University

Abstract:
The current study aims to analyze the content of the fourth-grade science textbook in basic education in Libya based on the standards of the Trends in International Mathematics and Science Study (TIMSS) 2015. The researcher used the descriptive method through content analysis. The study population and sample included all lessons of the fourth-grade student textbook in basic education in Libya, including both parts (first and second). The researcher used a content analysis tool according to the TIMSS-2015 standards prepared by "Ehsan Hameed Abdul" in his study (Abdul, 2016). The results of the current study showed that the domain "characteristics and classification of living organisms and their vital processes" ranked first with (92) occurrences and a percentage of (54.12%), followed by the domain "energy sources and their effects" with (106) occurrences and a percentage of (39.55%), and the domain "Earth's composition and its physical properties" with (58) occurrences and a percentage of (76.32%). The study also reached a set of recommendations, the most important of which is the necessity to review the content of science textbooks in Libya to include the standards of the Trends in International Mathematics and Science Study (TIMSS).

Keywords: Content analysis, fourth-grade science textbook in basic education in Libya, Trends in International Mathematics and Science Study (TIMSS).

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

يشهد العصر الحالي كثيرًا من التطورات في كافة المجالات الحياتية وبالأخص في مجال العلم والتقنية. وألقت هذه التطورات على عاتق التربية- باعتبارها الأداة التي ارتضاها المجتمع في تنشئة أفراده وتشكيل شخصياتهم- مسؤوليات جسامًا في إعداد أجيال من الناشئة تستطيع مواكبة هذه التطورات؛ بل وتستطيع استشراف آفاق مستقبل أكثر تطوراً.

ولم تكن المناهج- ومنها مناهج العلوم- بمنأى عن هذه التطورات، كيف وهي- أي المناهج- تُمثِّل حجر الزاوية للعملية التعليمية التعلمية التي تستند إليه لتحقيق المنشود من أهدافها.

فقد شهد ميدان المناهج خلال ما مضى من عقود، كثيرًا من عمليات التطوير والإصلاح. ونتيجة لما يشهده العالم اليوم من تقدم متسارع في مجالات العلم والتقنية، فقد نالت مناهج العلوم حظها الوافر من حركات التطوير والإصلاح؛ بهدف مسايرة هذا التطور، وتلبية الحاجات المستجدة للمجتمع وأفراده.

ورغم التقدم التقني الذي طال كل مجالات العملية التربوية إلا أن الكتاب المدرسي ما زال له مكانته الخاصة في هذه العملية باعتباره الأداة الرئيسة لتنفيذ المنهج المدرسي.

ويسرد ماكفري McCaffrey دواعي أهمية الكتاب المدرسي فيما يلي (نقلاً عن: طعيمة، 2004: 79):

1. الكتاب المدرسي وسيلة اقتصادية حيث لا يحتاج إلى معدات أو أجهزة.

2. الكتاب المدرسي وسيلة ناجعة لعرض الحقائق والمفاهيم والمبادئ والتعميمات في مجال أي موضوع دراسي.

3.يمكن أن يتكامل الكتاب المدرسي مع وسائل وأساليب التعلم والتعليم الأخرى بسهولة وبشكل ناجع؛ فهو-الكتاب المدرسي- لا يتعارض مع الأساليب الأخرى، بل قد يكون متكاملاً معها ومكملاً لها.

4. الكتاب المدرسي أداة مرنة يمكن استخدامها داخل وخارج الصف الدراسي، كذلك في التعلم فرديًا وجماعيًا، كما يمكن استخدامه في أي وقت دون قيود.

5.يمكن بسهولة مسايرة التغيرات السريعة التي تجد على المعرفة من خلال الكتب المدرسية حيث يسهل تعديلها بما يتمشى مع هذه التغيرات.

وتمثِّل مقررات العلوم والرياضيات الدعامة الرئيسة والأساس المتين الذي تعتمد عليه الأمم اعتمادًا كبيرًا في تطورها العلمي، وتقدمها التقني، ولهذا السبب ظهرت حركات عدة لإصلاح مناهج العلوم، لتواكب التطور العلمي والتقني، وتحقق رغبات المتعلمين وحاجاتهم، وتعدّهم للتعامل مع متطلبات الحياة، وما يتعلق بها من تحديات ومشكلات (الباز، 2005).

وقد أكدت هذه الحركات الإصلاحية على ضرورة استخدام المعايير العالمية في تطوير المناهج الدراسية؛ إذ تُعد هذه المعايير من الركائز الأساسية لضمان جودة العملية التربوية في ميدان تدريس العلوم، فهي تقدم ما يجب أن يعرفه المتعلم وما يكون قادرًا على أدائه، وجودة تدريس العلوم وبرامجه، وجودة الكتب الدراسية في تقديم الخبرات العلمية والعملية (الطناوي، 2005).

ويُعد مشروع (TIMSS- 2015)(Trends in International Mathematics and Science Study) من أعمق الدراسات وأكثرها شيوعًا في مجال العلوم والرياضيات حيث بدأت في عام 1995 وتعقد كل أربع سنوات، وتركِّز على قياس مستوى المتعلمين المشاركين في العلوم والرياضيات، وإعطاء مؤشرات نتائجهم، ومقارنتهم بأقرانهم في الدول الأخرى، وبناءً على تلك المؤشرات والنتائج تتعرف الدول على مواطن حاجة أبنائها للتقدم، وتعمل على تحقيقه، ويقوم على تنفيذ هذه الدراسة الهيئة العالمية لتقويم التحصيل التربوي (The International Association for Evaluation of Education Achievement) (IEA) (Martin et al, 2012).

إن الغاية العظمى من تعليم TIMSS هي أن يستخدم المتعلمون التفكير العلمي في اتخاذ القرارات المناسبة بشأن ما يواجههم من مشكلات وتطبيق المعارف في المواقف الحياتية. إن لمشروع TIMSS أهميته الكبيرة في تقديم بيانات شاملة عن المفاهيم والمواقف التي تعلمها المتعلمون في مادتي علوم ورياضيات الصفين الرابع والثامن من التعليم الأساسي والاستفادة من تجارب الدول المتقدمة في تدريس العلوم والرياضيات (خطاطبة، 2017/ 2018: 3).

مشكلة الدراسة

انطلاقًا من أهمية الكتب المدرسية باعتبارها ترجمة وظيفية للمنهج، وأحد الوسائل الرئيسة التي يعول عليها كل من المعلم والمتعلم في عمليتي التعلم والتعليم لتحقيق أهداف المنهج للفرد والمجتمع؛ فإنه من الضروري ألا تكون هذه المناهج بمنأى عما يحدث من حركات إصلاح تربوي في المناهج على الصعيد العالمي وخصوصًا في الحلقة الأولى من التعليم الأساسي والتي تُعد أساس تشكيل شخصية المتعلم، وأن تخضع هذه المناهج لعمليات تحديث مستمرة، ومن ذلك أن تُركِّز هذه المناهج على معايير (TIMSS– 2015)؛ وهي من الدراسات الرائدة في ميدان تقويم العلوم التي تحدد معايير دولية يتم من خلالها بناء اختبارات لهذه المرحلة ليتم الحكم على أداء المتعلمين وتحديد مستوى كل بلد وفق نتائجهم، وتحدد معايير للصفين الرابع والثامن، وبما أن هذه المعايير هي معايير محتوى، ونظرًا لندرة الدراسات في هذا المجال من ناحية، وعدمها على الفئة المستهدفة من الكُتب– في حدود علم الباحث– التي أجريت في مجال تقويم كتب العلوم في ليبيا في ضوء معايير (TIMSS– 2015) للصف الرابع الأساسي في العلوم وعلى ذلك فقد تحددت مشكلة الدراسة الحالية فيما يلي من تساؤل:

ما درجة تحقق معايير دراسة التوجهات الدولية للعلوم (TIMSS– 2015) في محتوى (موضوعات) كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا؟

أهداف الدراسة

تستهدف الدراسة الحالية التعرف على ما يلي:

1. تحديد معايير (TIMSS– 2015) التي ينبغي أن تتوفر في كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا في موضوعات (الأحياء، علم الأرض، الفيزياء).
2. الكشف عن درجة تضمين محتوى كتاب علوم الصف الرابع الأساسي بليبيا لمعايير (TIMSS– 2015) لبُعد المحتوى المعرفي في موضوعات (الأحياء، الفيزياء، علم الأرض).

أهمية الدراسة

تستمد الدراسة الحالية أهميتها من النقاط التالية:

1.أهمية عملية تحليل الكتاب المدرسي؛ لتحديد نقاط القوة التي يمكن تعزيزها، وتحديد نقاط

الضعف التي يمكن معالجتها بما يحقق الأهداف التربوية التي وضعت من أجلها.

2.تناولها لكتاب العلوم المدرسي؛ الذي ما زال يحظى بالاهتمام البالغ لاختصاصي التربية العلمية نظرًا لكونه يساهم بالقدر الأعظم من المعلومات التي يستقبلها المتعلمون (Chiappetta et al, 1991) ، ويشير واقع المدرسة العربية أيضًا، إلى أن كتاب العلوم المدرسي ما يزال هو المحدد الأساس لمناهج العلوم، ويرى فيه كل من المتعلم والمعلم مستودع المعرفة التي تنقلها المدرسة (فضل، 1998).

3.تناولها عملية التحليل لمحتوى كتاب علوم الصف الرابع الأساسي بليبيا في ضوء معايير (TIMSS– 2015) وهي تُعد من أوائل الدراسات التي تهتم بمضمون محتوى كتاب علوم هذا الصف.

4.قد تساعد مطوري كتب العلوم في تصميم كتاب العلوم واختيار المحتوى العلمي الذي يواكب متغيرات القرن (21) إضافة إلى تنظيم هذا المحتوى.

5.قد تساعد مشرفي ومعلمي العلوم على معرفة جوانب الضعف والقصور في كتاب علوم الصف الرابع والعمل على معالجتها.

6.ليس هناك – في حدود علم الباحث– دراسات محلية هدفت بشكل خاص إلى تحليل محتوى كتب العلوم المدرسية، للوقوف على درجة تناولها لمعايير (TIMSS– 2015) .

7.قد تكون هذه الدراسة محفزة لدراسات أخرى تتناول كتب العلوم لمراحل مختلفة محليًا وفي دول أخرى.

تحديد المفاهيم إجرائيًا

– **تحليل المحتوى:** ذلك الأسلوب البحثي الذي اتبعه الباحث في تحليل الكتاب عينة الدراسة معتمدًا الفكرة كوحدة للتحليل.

– **المحتوى:** مجموعة المعلومات (حقائق، ومفاهيم، ومبادئ وتعميمات، وقواعد وقوانين، ونظريات)، والمهارات، والقيم والاتجاهات التي تشكل بنية المادة العلمية للكتاب موضع الدراسة والتي تهدف إلى تحقيق الأهداف التربوية المنشودة من تدريس هذا الكتاب.

– **كتاب العلوم:** كتاب العلوم المقرر على تلاميذ الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا.

- **التعليم الأساسي:** الصفوف التسعة الأولى من التعليم من الصف الأول وحتى التاسع.

- **المعايير:** عدد من الشروط والأحكام الموضوعة علميًا والمأخوذة من (TIMSS- 2015) والتي سوف تتم عملية التحليل لمحتوى الكتاب موضع الدراسة في ضوئها من أجل إصدار حكم على درجة مراعاة الكتاب لها.

- **(TIMSS- 2015)**: دراسة عالمية دورية تُجرى بإشراف الهيئة الدولية للتقييم والتحصيل التربوي (TEA)، وهي تُجرى على مستوى الدول كل أربع سنوات لدراسة التوجهات الدولية في العلوم والرياضيات ، والتي سوف تتم عملية التحليل لمحتوى الكتاب موضع الدراسة في ضوء متطلباتها.

حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة الحالية على ما يلي من محددات:

1.عملية التحليل لمحتوى كتاب علوم الصف الرابع الأساسي بليبيا بجزأيه الأول والثاني من حيث درجة تضمنه (TIMSS- 2015).

جدول (1): بيانات محتوى الكتاب موضع الدراسة

الصف	الجزء	الطبعة	الموضوع	عدد الصفحات المحللة
الرابع	الأول	2019 /2018	**الموضوع أ: الدورات**	2
			1- المادة	10
			2- الحالات الثلاث للمادة	16
			3- الماء وتغيرات الحالة	10
			4- دورة الماء	6
			5- الماء مورد ثمين	18
			الموضوع ب: الأجهزة	2
			6- الهواء والجهاز التنفسي	17
	الثاني	2019 /2018	الموضوع2: الأجهزة	3
			7- الجهاز الدوري	17
			الموضوع ج: الطاقة	2
			8- الطاقة	6

الصف	الجزء	الطبعة	الموضوع	عدد الصفحات المحللة
			9- الضوء	16
			10- الحرارة	18
المجموع				143

2.اقتصر التحليل على الكتاب المدرسي، دون التعرض لكراسة النشاط العملي أو دليل المعلم.

3. اعتمدت الدراسة قائمة "إحسان حميد عبد" في دراسته (عبد، 2016) والخاصة ببُعد المحتوى فقط، ولم تتطرق إلى بُعد العمليات المعرفية الذي رأى الباحث أنه يحتاج لدراسة مستقلة.

4.أُجريت الدراسة خلال العام الدراسي 2019/ 2020.

الإطار النظري

أهداف عملية التحليل لمحتوى الكتب المدرسية

يسرد (طعيمة، 2004: 81) أبرز الأهداف لعملية تحليل الكتب المدرسية فيما يلي:

1.الكشف عن نقاط قوة الكتب المدرسية وكذلك نقاط الضعف فيها.

2.تعاون العلماء والمفكرين مع معلمي ومديري المدارس وغيرهم، من أجل تطوير الكتب المدرسية.

3.مساعدة معدي الكتب المدرسية في إعداد كتب جديدة، وذلك بالإشارة إلى ما يجب تضمينه وما ينبغي تجنبه.

4.تقديم المواد المساعدة في عملية مراجعة البرامج الدراسية ككل، وفي إعداد المعلمين والإداريين وفي اختيار الكتب المدرسية.

ويرى الباحث أن إجراء هذه الدراسة يمكن أن يساهم مساهمة فعالة في تحقيق معظم هذه الأهداف.

ما هو اختبار TIMSS؟

تعرض "عنود العنزي" لماهية الاختبار الدولي TIMSS فتقول: هو رمز مختصر من الحرف الأول لكل كلمة من: (Trends of International Mathematics and Science Studies)، وهو مشروع عالمي، ويعد أحد أبرز المشاريع الجديدة في تعليم الرياضيات والعلوم، حيث يعتمد هذا المشروع في أساسه على تنمية مهارات الاستقصاء واتخاذ القرارات وحل المشكلات، من خلال تطبيق المعارف والمهارات العلمية في مواقف حياتية مشابهة لما يمر به المتعلمون، وقد تم اقراره عام 1995، وتزايد اهتمام الدول المشاركة في هذه الدراسة إلى أن وصل في 2015 إلى (57) دولة أساسية، يُقام تحت رعاية الهيئة العالمية للتقويم والتحصيل التربوي IEA والتي تعني اختصار لمصطلح (International Association for Evaluation of Educational Achievement)، والتي تقدم دراسا تستهدف قياس مستوى التقدم في التحصيل الدراسي في أغلب المواد الدراسية، والتي أبرزها TIMSS. ويقتصر اختبار TIMSS على مادتي رياضيات وعلوم الصفين الرابع والثامن فقط من التعليم الأساسي، ويتم إعادة تطبيق هذا الاختبار مرة كل أربع سنوات، بحيث يعطي فرص للدول المشاركة لتطوير مناهجها ونظامها التعليمي في ضوء نتائج الاختبار (www. Learning. Otb. com).

وتتبلور أهمية TIMSS في كونها تسهل إجراءات إصلاح أنظمة التعليم في الدول المشاركة، والتي تُبنى على التقويم الموضوعي؛ حيث أنها توفر قاعدة واسعة للبيانات والتي قد تساهم في اتخاذ قرارات تعليمية لصائبة بالاطلاع على الواقع في دول أخرى، وتتسم هذه الدراسة بمرونتها مما يسهل عملية تطوير برامج التعليم الدول في ضوء نتائج مشاركتها في تلك الدراسة، حيث تُجرى كل أربع سنوات منذ عام 1995 ومنذ ذلك الحين والدول العربية المشاركة في تلك الدول في ازدياد رغبة من تلك الدول في مواكبة الدول المتقدمة في مجال التعليم (الغامدي، 2012: 63).

وتهدف دراسة (TIMSS) كما أوضح (Martin and Other, 2013: 98) إلى:

1.بناء قاعدة بيانات متكاملة حول واقع تعليم العلوم والرياضيات في مختلف دول العالم.

2.إتاحة الفرصة للدول المشاركة للتعرف على مستوى التعليم لديها من خلال مقارنته بالدول الأخرى.

3.تسهم من خلال الدراسات المختلفة التي تجريها الهيئة الدولية للتقييم والتحصيل التربوي في تقويم وتطوير المناهج موضع الدراسة.

4.تنمي الخبرات الأكاديمية والمهنية للمعلمين من خلال اطلاعهم على تجارب الدول الأخرى في هذا المجال.

5.تحفز تلك الدراسة مختلف الدول على إعادة النظر في مناهجها الدراسية بصورة مستمرة.

وقد تم بناء المعايير في هذه الدراسة (TIMSS– 2015) في ضوء متطلبات تلك الدراسة لمادة العلوم في التعليم الابتدائي حيث قسمت المعايير إلى بعدين رئيسيين هما: بُعد محتوى العلوم (الموضوعات)، ويضم مجالات ثلاثة هي: الأحياء، والفيزياء، وعلوم الأرض، وبُعد العمليات المعرفية ويضم: المعرفة، التطبيق، والاستدلال (TIMSS and PRILS, 2015: 15).

الدراسات السابقة

بالإضافة لما ورد من دراسات سابقة في مقدمة الدراسة ومشكلتها سنورد فيما يأتي بعض الدراسات المتصلة بالدراسة الحالية فيما يلي:

استهدفت دراسة (دهمان، 2014) تحليل المحتوى لكتب العلوم للصفوف 5– 8 من التعليم الأساسي بفلسطين في ضوء متطلبات TIMSS، وكان من نتائج الدراسة وجود ضعف في تحقق هذه المعايير في الكتب عينة الدراسة لمجال محتوى العلوم.

واستهدفت دراسة (الحصان، 2015) استقصاء درجة تحقق (TIMSS 2015) في كتب العلوم المطورة من الصفوف من الأول إلى الرابع الابتدائي في السعودية. تكون مجتمع وعينة

الدراسة من كل كتب العلوم المطورة للفصلين الدراسيين الأول والثاني، وكراسات النشاط للصفوف موضع الدراسة في العام الدراسي 2014. ولتحقيق الهدف من الدراسة فقد استخدم منهجًا تحليليًا من خلال تصميم بطاقة تحليل للكتب موضع الدراسة، وتقنينها، حيث تكونت البطاقة من أبعاد ثلاثة، وهي بُعد المحتوى (الحياة، والطبيعية، وعلوم الأرض)، وبُعد العمليات المعرفية وبُعد الاستقصاء العلمي. وللإجابة عن أسئلة الدراسة تم استخدام التكرارات والمتوسطات الحسابية. وقد خلصت النتائج إلى إعداد قائمة بمتطلبات (TIMSS– 2015) التي ينبغي تضمينها في محتوى مقررات علوم هذه المرحلة، كما توصلت الدراسة إلى تدني درجة مراعاة محتوى مقررات علوم هذه المرحلة لمتطلبات مجال موضوعات العلوم، حيث حصلت هذه المتطلبات على متوسط بلغ (2.71)، كما كانت نسب تضمين متطلبات صحة الإنسان، إيجاد الحلول، تحليل وتفسير البيانات على مستوى جميع الصفوف ضعيفة وبنسب متدنية. وكان من أهم توصيات الدراسة ضرورة إجراء مراجعة لمقررات العلوم المطورة بهذه المرحلة، بحيث يتم تضمين متطلبات مجال موضوعات العلوم في محتوى هذه المقررات.

واستهدفت دراسة (عبد، 2016) تقويم المحتوى لكتاب مبادئ العلوم للصف الرابع من التعليم الابتدائي في العراق وفق معايير (TIMSS)، حيث تم بناء قائمة بهذه المعايير التي ينبغي توافرها في الكتاب موضع الدراسة، وتألفت بصيغتها النهائية من بعدين وهما: البُعد الخاص بمحتوى العلوم ويشمل: علم الأحياء وضم مجالات ستة ضمت (30) معيارًا، وعلم الفيزياء وضم مجالات ستة أيضًا ضمت (28) معيارًا، وعلم الأرض حيث ضم مجالات ثلاثة ضمت (11) معيارًا، و بُع العمليات المعرفية. وبلغ عدد الصفحات المحللة (138) صفحة بعد أن استثنيت (مقدمة الكتاب وعناوين الفصول)، واعتمدت الفكرة أداةً للتحليل، وقد أظهرت نتائج الدراسة:

–فيما يخص الأحياء: حل أولاً مجال (الإنسان وصحته) بنسبة (30.99%) يليه مجال (دورة حياة الكائنات والتكاثر والوراثة) بنسبة (29.82%) بينما لم يحصل مجال (تفاعل المخلوقات الحية مع البيئة) على أي نسبة.

–فيما يخص الفيزياء: حل أولاً مجال (القوى والحركة) بالمرتبة الأولى بنسبة (45.2%) يليه مجال (مصادر الطاقة وتأثيراتها) بنسبة (23.28%) بينما لم يحصل كل من مجال (الضوء) و(الصوت) على أي نسبة.

–فيما يخص علم الأرض: حل مجال (الأرض والنظام الشمسي) بالمرتبة الأولى بنسبة (63.82%) يليه مجال (تركيب الأرض وخصائصها الطبيعية) بنسبة (31.91%) بينما لم يحصل مجال (الأرض، دوراتها، عملياتها، تاريخها) سوى على نسبة (4.25%).

–فيما يخص العلوم مجتمعة: تفوقت متطلبات علم الأحياء على متطلبات علمي الفيزياء والأرض؛ فقد حقق علم الأحياء أعلى نسبة (58.76%) يليه علم الفيزياء بنسبة (25.08%) بينما حل علم الأرض ثالثًا بنسبة (16.15%).

واستهدفت دراسة (الخطيب، 2017) التعرف على درجة تضمين (TIMSS– 2015) في محتوى كتاب العلوم للصف الثامن الأساسي في الأردن، وتكون مجتمع الدراسة وعينتها من كتاب العلوم المطور بجزأيه للصف الثامن الأساسي في الأردن المطبق للعام الدراسي 2016/ 2017. ولتحقيق الهدف من الدراسة فقد استخدم منهجًا وصفيًا تحليليًا، من خلال بناء قائمة بمتطلبات (TIMSS– 2015) حيث اشتملت على (145) متطلبًا موزعة على ثلاثة أبعاد هي: (الموضوعات، العمليات المعرفية، الاستقصاء العلمي)، وللإجابة عن تساؤلات الدراسة تم استخدام التكرارات والمتوسطات الحسابية، وقد خلصت نتائج الدراسة إلى إعداد قائمة بمتطلبات (TIMSS) التي يجب أن تتوافر في محتوى الكتاب موضع الدراسة، كما توصلت نتائج الدراسة إلى أن نِسب تضمين المتطلبات الخاصة ببُعد الموضوعات كانت على النحو التالي: مجال علم الأحياء حصل على نسبة تبلغ (30%)، في حين حصل علم الكيمياء على (28.6%) وهي نسب عالية، وحصل علم الفيزياء على نسبة مقبولة وتبلغ (28%)، وحصلت أيضًا علوم الأرض على (20.8%) وهي نسبة مطابقة لمتطلبات الهيئة الدولية للتقييم والتحصيل التربوي، ونتيجة لذلك أوصت الدراسة بإجراء مراجعة لمقرر العلوم بصورة دورية، وتضمين متطلبات علم الأحياء بشكل يراعي متطلبات دراسة التوجهات الدولية، وإجراء دراسة للكشف عن درجة تضمين (TIMSS– 2015) للصفوف من الخامس للسابع.

واستهدفت دراسة (خطاطبة، 2017/ 2018) تعرف متطلبات (TIMSS– 2015) التي ينبغي تضمينها في محتوى كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بالأردن بجزأيه، والكشف عن درجة تضمينه لهذه المتطلبات في بُعد الموضوعات (أحياء، فيزياء، علوم أرض وبيئة) باستخدام عملية التحليل، وبُعد العمليات المعرفية (معرفة، تطبيق، استدلال) من وجهة نظر معلمي العلوم؛ ومن أجل تحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث منهجًا وصفيًا تحليليًا. ضم مجتمع الدراسة كتاب العلوم للصف الرابع الأساسي، وكذلك معلمي علوم هذا الصف. وقد استخدم في الدراسة أداتان الأولى قائمة بمتطلبات (TIMSS– 2015)، والثانية استبيان لتعيين وجهة نظر معلمي العلوم في بُعد العمليات المعرفية (معرفة، تطبيق، استدلال). وقد كشفت النتائج في بُعد الموضوعات (أحياء، فيزياء، علوم أرض وبيئة) أن المتطلبات موضع الدراسة توفرت بدرجة متوسطة، كما بينت نتائج الدراسة أيضًا توافر درجة متوسطة لمتطلبات بُعد العمليات المعرفية (معرفة، تطبيق، استدلال) وذلك من وجهة نظر معلمي علوم هذا الصف. وأوصت الدراسة بمراجعة كتاب العلوم المطور للصف الرابع بحيث يراعي متطلبات (TIMSS– 2015).

واستهدفت دراسة (الرويلي، والعنزي، 2018) إجراء عملية التحليل لمقرر العلوم للصف الثاني متوسط في السعودية في ضوء متطلبات (TIMSS– 2015) ، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثان منهجًا وصفيًا من خلال أسلوب تحليل المحتوى، وتكوّن مجتمع وعينة الدراسة من كل دروس كتاب الطالب وكراسة التجارب العملية للصف موضع الدراسة بفصليه (الأول والثاني)؛ ولتحقيق ذلك أعد الباحثان قائمة بمتطلبات (TIMSS– 2015) معتمدين في ذلك على الأبعاد المحددة من قِبل الهيئة الدولية للتقييم والتحصيل التربوي(IEA) ، وأداة تحليل محتوى تبعًا لمتطلبات (TIMSS– 2015)، وكشفت النتائج انخفاض درجة تضمين بُعد المحتوى (أحياء، كيمياء، فيزياء، علم الأرض) في كتاب العلوم موضع الدراسة، وأوصت الدراسة بمراجعة محتوى كتب العلوم حتى تراعي متطلبات (TIMSS– 2015).

من خلال عرض ما سبق من دراسات والتي اهتمت بتحليل كتب العلوم في ضوء معايير (TIMSS– 2015) يتضح ما يلي:

–هدفت هذه الدراسات بشكل أساس إلى التعرف على درجة تضمين محتوى كتب العلوم لمعايير

(TIMSS– 2015)، وهذا ما يعزز الصلة بين الدراسة الحالية وهذه الدراسات.

–تناولت الدراسات السابقة تحليل محتوى كتب العلوم في مراحل تعليمية مختلفة.

–أشارت بعض هذه الدراسات إلى تدني درجة تضمين بعض كتب العلوم لمعايير (TIMSS– 2015).

–أن معظم هذه الدراسات لم تتناول البيئة الليبية؛ إذ يفتقر الأدب التربوي محليًا لدراسات تتناول، بشكل خاص، عماية تحليل المحتوى لكتب العلوم للكشف عن درجة تضمين معايير (TIMSS– 2015). ومن هذا المنطلق أتت هذه الدراسة لتبرز هذا الجانب المهم، ومن ثم تفتح آفاقًا أمام دراسات تحليلية أخرى، تتناول كتب العلوم بجميع فروعها ولجميع المراحل الدراسية ليتسنى الإفادة من هذه الدراسة والدراسات اللاحقة في أي تطوير مستقبلي للمناهج.

منهجية وإجراءات الدراسة

المنهج المستخدم في الدراسة: استخدم الباحث في الدراسة الحالية أسلوب تحليل المحتوى Content Analysis وهو أحد الأساليب البحثية التي شائعة الاستخدام في دراسة مواد الاتصال؛ "ومع تفاوت الأهداف الخاصة بكل دراسة يُستخدم فيها تحليل المحتوى، إلا أن لاستخدامه فيها جميعًا هدفًا أساسيًا، مؤداه تعرف اتجاهات المادة التي يتم دراستها، والوقوف على خصائصها بطريقة علمية منظمة وليس إلى انطباعات ذاتية أو معالجات عشوائية" (طعيمة، 2004: 17).

مجتمع الدراسة وعينتها: كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا يمثل مجتمع الدراسة وهو في ذات الوقت عينتها.

أداة الدراسة: بعد إطلاع الباحث على الأدب التربوي في هذا المجال، وعلى عديد من الدراسات السابقة، والرجوع إلى الموقع الالكتروني الخاص بدراسة التوجهات الدولية للرياضيات والعلوم (TIMSS) www.timss and pirls.be.edu تبنى الباحث في دراسته الحالية قائمة بالمعايير التي ينبغي أن تتوفر في كتاب العلوم للصف الرابع من التعليم الأساسي من إعداد "إحسان حميد عبد" في دراسته (عبد، 2016)– وهي قائمة محكمة– تتألف من بُعدين هما: بُعد محتوى العلوم (الموضوعات) ويضم: علم الأحياء وضم (30) معيارًا موزعة على مجالات ستة،

وعلم الفيزياء وضم (28) معيارًا موزعة على مجالات ستة أيضًا، وعلم الأرض حيث ضم (11) معيارًا موزعة على مجالات ثلاثة، ولم تتطرق الدراسة الحالية إلى البُعد الثاني (العمليات المعرفية).

خطوات التحليل: لغرض تحليل كتاب العلوم موضع الدراسة في ضوء معايير (TIMSS–2015) من أجل الحكم على درجة توافرها في هذا الكتاب. تم اعتماد الفكرة كوحدة تحليل نظرًا لأنها أكثر وحدات التحليل ملائمة لغرض البحث، وكذلك لكونها من الصغر ما يقلل من احتمالية اشتملها لعدة معايير، و من السعة ما يكفي لإعطاء معنى (السلمان وخلف، 1987: 19)، كما اعتمد التكرار وحدة للتعداد، وبعد قراءة محتوى الكتاب موضع الدراسة بصورة متعمقة تم تعيين وتصنيف الأفكار ضمن ما تنتمي إليه من معايير. وافرغت في جداول خاصة وذلك بأن يُعطى تكرارًا لكل فكرة متصلة بأحد معايير الدراسة. بعد الخطوات السابقة فقد قام الباحث بإجراء التحليل، تم قام بإعادته بعد (4) أسابيع، ومن ثم قام بحساب نسبة الاتفاق بين نتائج التحليلين كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (2): نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف في نتائج تحليل المحتوى لكتاب علوم الصف الرابع الأساسي

التحليل	المادة	الحالات الثلاث للمادة	الماء وتغيرات الحالة	دورة الماء	الماء– مورد ثمين	الهواء والجهاز التنفسي	الجهاز الدوري	الطاقة	الضوء	الحرارة	المجموع
الأول	26	39	38	16	71	82	66	33	70	88	529
الثاني	23	37	38	18	68	84	66	31	67	86	518
نقاط الاتفاق	23	37	38	16	68	82	66	31	67	86	514
نقاط الاختلاف	3	2	0	2	3	2	0	2	3	2	19

وباستخدام نقاط الاتفاق والمجموع الكلي للفئات تم استخدام معادلة هولستي Holsti, 1969 المذكورة في (الضبياني، 1998: 181) لحساب ثبات الأداة كما يلي:

معامل الثبات= 2 × مجموع المتفق عليه من الفئات ÷ المجموع الكلي للفئات

معامل الثبات= 2 × 514 ÷ 1047= 0.98

وهو معامل ثبات مرتفع يدلل على ثبات إجراءات التحليل ويُطمئن الباحث لاستخدام أداة تحليل المحتوى. ويُطلق على هذا النوع من الثبات بالاتساق خلال الزمن، بمعنى وصول المُحلل نفسه إلى النتائج نفسها عند تطبيق نفس إجراءات التحليل بعد فترة محدودة من الزمن، مما يؤكد ثبات الأداة.

عرض النتائج ومناقشتها

نص تساؤل الدراسة الحالية على ما يلي:

ما درجة تحقق معايير دراسة التوجهات الدولية للعلوم (TIMSS– 2015) في محتوى (موضوعات) كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي بليبيا؟

قبل عرض النتائج الخاصة بهذا التساؤل رأى الباحث أنه من المفيد أن يعرض لتحليل المحتوى المفاهيمي الفعلي للكتاب موضع الدراسة وهو ما يوضحه جدول (3):

جدول (3): التحليل المفاهيمي الفعلي للكتاب موضع التحليل

نتائج التحليل المفاهيمي لمحتوى (موضوعات) كتاب العلوم للصف التاسع من التعليم الأساسي بليبيا									
الجزء الأول: يضم الموضوعات						**الجزء الثاني: يضم الموضوعات**			
1.المادة	2.الحالات الثلاث للمادة	3.الماء وتغيرات الحالة	4.دورة الماء	5.الماء– مورد ثمين	6.الهواء والجهاز التنفسي	7.الجهاز الدوري	8.الطاقة	9.الضوء	10.الحرارة
–خواص المادة –الكتلة –الحيز والحجم –المادة التي يمكن أن تراها –المادة التي لا يمكن رؤيتها	–الأشكال: الأجسام الصلبة السوائل الغازات –الحجم: الأجسام الصلبة السوائل الغازات	–الماء –التجمد –الانصهار –الغليان –البخر –التكثيف –تغيرات حالات المادة	–دورة الماء والحياة على الأرض	–استخدامات الماء –موارد الماء –تلوث الماء –إلقاء النفايات –سكب النفط –إزالة الغابات –مواردنا المحدودة من الماء –الحفاظ على مورد الماء –تقليل الاستعمال، وإعادة الاستخدام، وإعادة التدوير	–يحيط الهواء بنا جميعًا –كل شيء مخلوط الأكسجين النيتروجين ثاني أكسيد الكربون، وبخار الماء، وغازات أخرى –توازن صحي –الشهيق والزفير –كل نفس تتنفسه –خياشيم الأسماك –قصة التنفس –الجهاز التنفسي في النباتات	–الجهاز الدوري الإنسان القلب الدم والأوعية الدموية من أجزاء إلى كل الدورة الدموية العمل معًا –الجهاز الدوري للنباتات قنوات النقل أوعية الخشب توافق في الأداء	–الشمس –النباتات مصدر للغذاء والحرارة	–انعكاس الضوء –يجرد عابر ليس إلا! –الظلال –أشكال الظلال وأحجامها –تأثيرات الشمس	–تحس بالحرارة عن طريق جلدك –الترمومترات –اكتساب الحرارة وفقدها –التوصيل الحراري –الموصلات والعوازل –التمدد والانكماش الأجسام الصلبة السوائل الغازات –التمدد والانكماش في حياتنا اليومية –الطاقة التي تدفع دورة الماء

وفيما يلي عرض لما توصلت إليه الدراسة الحالية من نتائج:

1.متطلبات علم الأحياء: جاءت نتائج التحليل كما هو موضح في جدول (4).

جدول (4): التكرار والنسبة المئوية لمعايير متطلبات علم الأحياء

	المجال/ المعيار	الموضوعات										مجموع التكرارات (ت)	النسبة المئوية (%)
		1.المادة	2.الحالات الثلاث للمادة	3.الماء وتغيرات الحالة	4.دورة الماء	5.الماء- مورد ثمين	6.الهواء والجهاز التنفسي	7.الجهاز الدوري	8.الطاقة	9.الضوء	10.الحرارة		
أ	**خصائص المخلوقات وتصنيفها..**												
1	الاختلافات بين المخلوقات الحية وغير الحية. تعيين الخصائص المشتركة للمخلوقات الحية	7	0	0	0	0	1	0	0	0	0	8	4.71([1])
2	مقارنة المخلوقات الحية وفقًا لخصائصها السلوكية وصفاتها الطبيعية	0	0	0	0	0	5	0	0	0	0	5	2.94
3	الربط بين وظيفة وتركيب أجزاء النبات	0	0	0	0	0	0	17	0	0	0	17	10
4	مقارنة الخصائص السلوكية والطبيعية لمجموعات من المخلوقات الحية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	تصنيف المخلوقات الحية وفقًا لخصائصها السلوكية وصفاتها الطبيعية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
6	الربط بين وظيفة وتركيب الأجهزة والأعضاء لدى الحيوانات	0	0	0	0	0	18	44	0	0	0	62	36.47
	المجموع	7	0	0	0	0	24	61	0	0	0	92	54.12
ب	**الخلية ووظائفها**												
1	التركيب الخلوي لكل من المخلوقات الحية وحيدة الخلية وعديدة الخلايا	0	0	0	0	0	5	5	0	0	0	10	5.88
2	توضيح وظائف الخلية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	المقارنة بين الخلية الحيوانية والخلية النباتية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	عملية التنفس التي تحدث في المخلوقات الحية	3	0	0	0	0	32	0	0	0	0	35	20.59
5	عملية التمثيل الضوئي	0	0	0	0	0	9	0	2	0	0	11	6.47
		3	0	0	0	0	46	5	2	0	0	56	32.94
ج	**دورات الحياة والتكاثر والوراثة**												
1	تعقب الخطوات العامة في دورة حياة النباتات والحيوانات	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	قيام المخلوقات الحية بالتكاثر مع أبناء جنسها لإنتاج نسلاً مشابهًا لوالديها	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	أنواع التكاثر	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	المقارنة بين التكاثر الجنسي و اللاجنسي	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	طرائق تكاثر مختلف المخلوقات الحية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	المجموع	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0

[1]) النسبة المئوية لكل مجال أو معيار= (تكرار المجال أو المعيار÷ مجموع التكرارات الكلي) × 100(

	المجال/ المعيار	الموضوعات										مجموع	النسبة
د	**تفاعل المخلوقات الحية مع البيئة**												
1	الصلة بين الخصائص السلوكية والطبيعية للمخلوقات الحية مع البيئات التي تعيش فيها	0	0	0	0	0	0	0	0	0	1	1	0.59
2	استجابات الحيوان الجسدية لظروف خارجية	0	0	0	0	0	0	0	1	0	0	1	0.59
3	المجموعات الرئيسة للمخلوقات الحية التي وجدت على الأرض في مختلف العصور الجيولوجية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	المجموع	0	0	0	0	0	0	0	1	0	1	2	1.18
ه	**الأنظمة البيئية**												
1	النباتات تحتاج إلى الشمس لصنع غذائها، في حين أن الحيوانات تأكل النباتات أو الحيوانات الأخرى.	0	0	0	0	0	0	0	4	0	0	4	2.35
2	العلاقات بين المخلوقات الحية في مختلف الأنظمة البيئية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	تأثر البيئة بسلوك الإنسان	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	تأثر الإنسان والبيئة بالأخطار الطبيعية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	تأثير التلوث على الإنسان والمخلوقات الحية و والبيئة	0	0	0	0	9	0	0	0	0	0	9	5.29
6	اقتراح طرائق لمنع أو تقليل التلوث	0	0	0	0	7	0	0	0	0	0	7	4.12
	المجموع	0	0	0	0	16	0	0	4	0	0	20	11.76
و	**الإنسان وصحته**												
1	أهم عادات الإنسان الصحية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	علامات الصحة والمرض	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	مسببات الأمراض المعدية، طرائق العدوى، والوقاية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	مجموعات الغذاء وأهميتها في المحافظة على الصحة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	أهمية الوقاية من الأمراض والإسعافات الأولية والدفاع المدني	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	المجموع	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	المجموع الكلي	10	0	0	0	16	70	66	7	0	1	170	100

يظهر من جدول (4) أن المجال المتعلق بخصائص المخلوقات الحية وتصنيفاتها وعملياتها الحيوية حل أولًا بعدد (92) تكرارًا وبنسبة مئوية (54.12%)، يليه المجال المتعلق بالخلية ووظائفها بعدد (56) تكرارًا وبنسبة مئوية (32.94%)، بينما لم يحصل كل من مجالي دورات حياة المخلوقات الحية والتكاثر والوراثة، والإنسان وصحته على أي تكرارات.

ويظهر من النتائج أن كتاب علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي قد أهمل إلى حد كبير التفاعل بين المخلوقات الحية مع البيئة حيث لم يتضمن الكتاب سوى تكرارين لهذا المجال وبنسبة مئوية (1.18%).

كما أغفل الكتاب تمامًا ما يتعلق بدورات حياة المخلوقات الحية والتكاثر والوراثة وأيضًا ما يتعلق بالإنسان وصحته.

لذا فإن معايير (TIMSS– 2015) لمتطلبات علم الأحياء لم تراعي بشكل فعال في هذا الكتاب، وقد يُعزى ذلك القصور إلى اعتماد الكتاب على معلومات ذُكرت في كتب الصفوف السابقة (الأول وحتى الثالث) وكتب المراحل اللاحقة (الخامس وحتى التاسع) من مبدأ التكامل بين كتب مرحلة التعليم الأساسي.

2.متطلبات علم الفيزياء: جاءت نتائج التحليل كما هو موضح في جدول (5).

جدول (5): التكرار والنسبة المئوية لمعايير متطلبات علم الفيزياء

المجال/ المعيار		الموضوعات										مجموع التكرارات (ت)	النسبة المئوية (%)
		1.المادة	2.الحالات الثلاث للمادة	3.الماء وتغيرات الحالة	4.دورة الماء	5.الماء– مورد ثمين	6.الهواء والجهاز التنفسي	7.الجهاز الدوري	8.الطاقة	9.الضوء	10.الحرارة		
أ	**تصنيف المواد وخصائصها**												
1	حالات المادة والاختلافات بينها	0	21	0	0	0	0	0	0	0	0	21	7.84
2	عمليات التكاثف والتبخر والتجمد والانصهار من خلال تغيرات المادة	0	0	34	10	0	0	0	0	0	9	44	16.42
3	مقارنة المواد من حيث خصائصها الطبيعية	9	16	0	0	0	0	0	0	0	0	25	9.33
4	تغيرات المواد التي تسببها المؤثرات كالتحلل، والصدأ، والحرق، الصدأ، ...وغيرها	0	0	0	0	0	1	0	0	0	0	1	0.37
5	خصائص الماء واستعمالاته	0	0	2	4	6	0	0	0	0	0	12	4.48
6	تصنيف المواد إلى مواد ذائبة وأخرى غير ذائبة في الماء	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
7	التمثيل للمخاليط وكيفية فصلها	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع		9	37	36	14	6	1	0	0	0	0	103	38.43
ب	**مصادر الطاقة وتأثيراتها**												
1	مصادر الطاقة ووصف استخدامات عملية لهذه الطاقة	0	0	0	0	0	0	0	24	5	0	29	10.82
2	ظاهرة الانتقال الحراري وتصنيف المواد وفقًا لقابليتها للتوصيل الحراري	0	0	0	0	0	0	0	0	0	77	77	28.73
3	قانون بقاء الطاقة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع		0	0	0	0	0	0	0	24	5	77	106	39.55

المجال/ المعيار		الموضوعات											النسبة	مجموع
ج	الضوء													
1	المصادر الشائعة للضوء والظواهر الطبيعية المألوفة الضوء	0	0	0	0	0	0	0	0	31	0	31	11.57	31
2	بعض خصائص الضوء	0	0	0	0	0	0	0	0	28	0	28	10.45	28
المجموع		0	0	0	0	0	0	0	0	59	0	59	22.01	59
د	الصوت													
1	مفهوم الصوت	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	خصائص الصوت	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	انتقال الصوت وموجاته	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	اختلافات المواد في نقلها للصوت	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع		0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
ه	الكهرباء والمغناطيسية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
1	أنواع الكهرباء	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	تصنيف المواد لموصلة وعازلة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	دوائر الكهرباء	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	مفهوم المغناطيسية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	المغناطيس وخواصه وأنواعه	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
6	تصنيف المواد وفقًا لانجذابها للمغناطيس	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع		0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
و	القوى والحركة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
1	أنواع القوى المؤثرة على الأجسام	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	مفاهيم: المسافة، السرعة، الكثافة، الضغط	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	علاقة السرعة بالزمن والمسافة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	العلاقة بين الضغط والقوة والمساحة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
5	بعض استخدامات الآلات البسيطة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
6	بعض الظواهر الطبيعية باستخدام اختلافات الكثافة والضغط	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع		0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
المجموع الكلي		9	37	36	14	6	1	0	24	64	77	268	100	

يظهر من جدول (5) أن المجال المتعلق بمصادر وتأثيرات الطاقة قد حل أولاً بعدد (106) تكرارًا وبنسبة مئوية (39.55%)، يليه المجال المتعلق بتصنيف المواد وخصائصها بعدد (103) تكرارًا وبنسبة مئوية (38.43%)، بينما لم تحصل المجالات المتعلقة بالصوت، والكهرباء والمغناطيسية، والقوى والحركة على أي تكرارات.

يظهر من النتائج التركيز على بعض المجالات كمصادر الطاقة وتأثيراتها، وتصنيف المواد وخصائصها، والضوء، والإهمال الواضح لكثير من الموضوعات المهمة في الفيزياء والاعتماد على المعلومات التي ذُكرت في كتب المراحل الأخرى بينما كان لابد للتطرق لها وفقًا لدراسة التوجهات الدولية الخاصة بمجال علم الفيزياء.

لذا يمكن القول بأن معايير (TIMSS– 2015) في مجال متطلبات علم الفيزياء لم تراعى بشكل مناسب في هذا الكتاب.

3.متطلبات علم الأرض: جاءت نتائج التحليل كما هو موضح في جدول (6).

جدول (6): التكرار والنسبة المئوية لمعايير متطلبات علم الأرض

	المجال/ المعيار	الموضوعات										مجموع التكرارات (ت)	النسبة المئوية (%)
		1.المادة	2.الحالات الثلاث للمادة	3.الماء وتغيرات الحالة	4دورة الماء	5.الماء – مورد ثمين	6.الهواء والجهاز التنفسي	7.الجهاز الدوري	8.الطاقة	9.الضوء	10.الحرارة		
أ	**تركيب الأرض وخصائصها الفيزيائية**												
1	تحديد المواد المشكلة لسطح الأرض	0	0	0	0	1	0	0	0	0	0	1	1.32
2	تقديم أدلة على وجود الهواء	0	0	2	0	0	0	0	0	0	0	2	2.63
3	وصف لتضاريس الأرض متجدد لبعض موارد ها، شرح لأهمية استخدام الموارد بمسؤولية	4	0	0	0	45	6	0	0	0	0	55	72.37
	المجموع	4	0	2	0	46	6	0	0	0	0	58	76.32
ب	**الأرض: دوراتها، تاريخها، عملياتها**												
1	وصف لحركة المياه على سطح الأرض	0	0	0	2	0	0	0	0	0	0	2	2.63
2	وصف لتغيرات الطقس	0	0	0	0	0	5	0	0	0	0	5	6.58
3	توضيح لمفهوم الأحفورة	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
4	توضيح لبعض التغيرات على سطح الأرض من خلال بقايا المخلوقات الحية	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	المجموع	0	0	0	2	0	5	0	0	0	0	7	9.21
ج	**الأرض والنظام الشمسي**												
1	وصف للنظام الشمسي	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
2	وصف للقمر ودورانه حول الأرض	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
3	توضيح أكون الشمس هي المصدر الرئيس للضوء والطاقة	0	0	0	0	0	0	0	0	3	5	8	10.53
4	تفسير علة حدوث الليل، والنهار والظل	0	0	0	0	0	0	0	0	0	3	3	3.95
	المجموع	0	0	0	0	0	0	0	0	3	8	11	14.47
	المجموع الكلي	4	0	2	2	46	11	0	0	3	8	76	100

يظهر من جدول (6) أن المجال المتعلق بتركيب الأرض وخصائصها الطبيعية قد حل أولاً بعدد (58) تكرارًا وبنسبة مئوية (76.32%)، يليه المجال المتعلق بالأرض والنظام الشمسي بعدد (11) تكرارًا وبنسبة مئوية (14.47%)، بينما حصل المجال المتعلق بالأرض: دوراتها، عملياتها، تاريخها على (7) تكرارات وبنسبة مئوية (9.21%).

ويظهر من النتائج كذلك إهمال كبير لبعض الموضوعات المهمة لعلم الأرض كتوضيح مفهوم الأحفورة، وتوضيح بعض التغيرات التي طرأت على سطح الأرض من خلال بقايا الكائنات الحية (الأحافير)، ووصف النظام الشمسي، وأيضًا وصف القمر وحركته حول الأرض.

لذا فإن معايير (TIMSS– 2015) في مجال علم الأرض لم تراعى بشكل فعال في هذا الكتاب.

4.العلوم مجتمعة: جاءت لنتائج التحليل كما هو موضح في جدول (7).

جدول (7): التكرار والنسبة المئوية لمعايير العلوم الثلاثة مجتمعة

ت	العلم	الموضوعات										مجموع التكرارات (ت)	النسبة المئوية (%)
		1.المادة	2.الحالات الثلاث للمادة	3.الماء وتغيرات الحالة	4.دورة الماء	5.الماء – مورد ثمين	6.الهواء والجهاز التنفسي	7.الجهاز الدوري	8.الطاقة	9.الضوء	10.الحرارة		
1	الأحياء	10	0	0	0	16	70	66	7	0	1	170	33.07
2	الفيزياء	9	37	36	14	6	1	0	24	64	77	268	52.14
3	علم الأرض	4	0	2	2	46	11	0	0	3	8	76	14.79
	المجموع	23	37	38	16	68	82	66	31	67	86	514	100

يظهر من جدول (7) أن متطلبات علم الفيزياء قد حققت أعلى تكرار بعدد (268) تكرارًا وبنسبة مئوية (52.14%)، يليه علم الأحياء بعدد (170) تكرارًا وبنسبة مئوية (33.07%)، بينما حل علم الأرض ثالثًا بعدد (76) تكرارًا وبنسبة مئوية (14.79%).

ومن خلال النتائج يظهر بوضوح تركيز الكتاب على علم الفيزياء بدرجة كبيرة على حساب العلمين الآخرين وهذا يمثل ضعف في إعداد الكتاب حيث يجب أن يراعى التكافؤ في تناول الكتاب للعلوم الثلاثة، وحتى في مجال علم الفيزياء نفسه هناك تباين كبير في الاهتمام ببعض المجالات وإهمال كامل لمجالات أخرى، وقد يكون الدافع وراء ذلك الاعتقاد بصعوبتها في هذه المرحلة، إلا أن هذا لا يُعد مبررًا حيث تم وضع المعايير الدولية من قِبل متخصصين في مجال النمو العقلي وعلى دراية بمدى ملائمة كل موضوع للمرحلة التي يدرس فيها.

*** تعقيب عام على نتائج عملية التحليل للكتاب موضع الدراسة:**

من العرض السابق لنتائج عملية تحليل المحتوى لكتاب علوم الصف الرابع الأساسي بليبيا يرى الباحث أن الكتاب موضع الدراسة لا يتضمن معايير (TIMSS– 2015) بالكم والكيف المناسب والذي يحقق أهداف هذه الدراسة الدولية، مع أن المادة العلمية المقررة وفرت فرصًا متنوعة كان من الممكن استغلالها على مستوى يُمكِّن المتعلم من استيعابها، ويرجع الباحث سبب ذلك إلى أن واضعي المنهج لم يأخذوا في الاعتبار عند إعداد هذا المنهج المعايير المطروحة في أداة التحليل بالرغم من أن هناك كثير من هذه المعايير ذات أهمية كبيرة بالنسبة

للمتعلم وكان بالإمكان تضمينها في المحتوى، لذا يرى الباحث أن مساهمة هذا الكتاب في إعداد الإنسان العصري المثقف علميًا وتقنيًا والقادر على مواكبة مستحدثات العلم والتقنية تُعد مساهمة محدودة. وجاءت هذه النتيجة متفقة مع نتائج عديد من الدراسات السابقة التي أُجريت في هذا الميدان مثل دراسات: (دهمان، 2014)، (الحصان، 2015) ، (عبد، 2016)، (خطاطبة، 2017/ 2018)، (الرويلي، والعنزي، 2018).

الخاتمة

أولاً- توصيات الدراسة

في ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة مراجعة كتاب العلوم المطور للصف الرابع، بحيث يتضمن جميع المجالات بشكل يراعي معايير (TIMSS- 2015).
- ضرورة تضمين محتوى علوم الصف الرابع من التعليم الأساسي كل هذه المعايير.
- ضرورة عقد ندوات ودورات تدريبية تتناول كيفية إعداد المناهج بصورة عامة ومناهج العلوم على وجه الخصوص وفقًا لمعايير (TIMSS- 2015).
- تحفيز معلمي العلوم على استخدام الكتاب المدرسي كأداة تعليمية تعلمية.

ثانياً- الدراسات المقترحة

-ضرورة إجراء عديد من الدراسات المشابهة في مراحل دراسية أخرى.

المراجع

- الباز، خالد صلاح (2005). تطوير منهج العلوم بالمرحلة الإعدادية بالبحرين في ضوء معايير تعلم العلوم، **المؤتمر العلمي التاسع، الجمعية المصرية للتربية العلمية**، جامعة عين شمس، القاهرة.

- الحصان، أماني محمد (2015). مدى تحقق متطلبات مشروع التوجهات الدولية لدراسة الرياضيات والعلوم (TIMSS 2015) في كتب علوم الصف الأول إلى الرابع الابتدائي في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية، **مجلة جامعة الزرقاء**، المجلد (15)، العدد (1)، 111- 132.

- خطاطبة، محمد إبراهيم (2017/ 2018). تقويم محتوى كتاب العلوم للصف الرابع الأساسي في ضوء متطلبات (TIMSS- 2015) في الأردن، رسالة **ماجستير غير منشورة**، جامعة آل البيت، كلية العلوم التربوية، الأردن.

- الخطيب، عيسى تركي (2017). درجة تضمين متطلبات مشروع التوجهات الدولية لدراسة الرياضيات والعلوم (TIMSS- 2015) في محتوى كتاب العلوم للصف الثامن الأساسي في الأردن، **رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية**، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

- دهمان، مي محمد (2014). تحليل محتوى كتب العلوم للصفوف 5- 8 الأساسي بفلسطين في ضوء متطلبات TIMSS، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة الأزهر، غزة.

- الرويلي، فارس قياض، والعنزي، فياض حامد (2018). تحليل محتوى مقرر العلوم للصف الثاني المتوسط في المملكة العربية السعودية في ضوء متطلبات دراسة التوجهات الدولية للعلوم والرياضيات (TIMSS 2015)، **مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية**، المجلد (6)، العدد (3)، 9- 38.

- السلمان، عبد العالي محمود، وخلف نصار (1987). **مقدمة في منهجية تحليل المحتوى**، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة بغداد.

- الضبياني، صالح (1998). تحليل محتوى كتاب العلوم للصف الثالث المتوسط في ضوء مدخل العلم والتقنية والمجتمع ، **رسالة الخليج العربي** ، العدد (68).

- طعيمة، رشدي أحمد (2004). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية، **سلسلة المراجع في التربية وعلم النفس**، الكتاب التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

- الطناوي، عفت مصطفى (2005). معايير محتوى مناهج العلوم مدخل لتطوير مناهج العلوم بالمرحلة الإعدادية، **المؤتمر العلمي التاسع، الجمعية المصرية للتربية العلمية**، 7/ 2005، القاهرة.

- عبد، إحسان حميد (2016). تقويم محتوى كتاب مبادئ العلوم للصف الرابع الابتدائي وفق معايير دراسة التوجهات الدولية (TIMSS)، **مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية**، جامعة بابل، العدد (26)، 666- 685.

- الغامدي، ماجد شباب (2012). تقويم محتوى كتب العلوم المطورة بالصفوف الدنيا من المرحلة الابتدائية في ضوء معايير مختارة، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة أم القرى.

- فضل، نبيل (1998). مقومات تنمية الثقافة العلمية واتخاذ القرار في تعليم العلوم (دراسة نقدية)، **المجلة التربوية**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، المجد 3، العدد 49، 235- 299.

- Chiappetta, L.; A. Fillman, and H. Sethna. (1991). A Method to Quantify Major Themes of Scientific Literacy in Science Textbooks. **Journal of Research in Science Teaching**, 28 (8): 713- 725.

-Martin, Michael. Mullis, Ina. Foy, Pierre and Stance, Gabriell (2012).TIMSS 2011 International Results in Science, **TIMSS and PIRLS International Study Center**. Boston College, USA.

- Martin, M.O and Mullis, I.S (2013). TIMSS and PIRLS 2011: Relationships Among Reading, Mathematics and Science Achievement at the Fourth Grade Implications for Early Learning. **TIMSS and PIRLS International Study Center**. Boston College,Chest- nut Hill, NA, www.IVSL. com.

- TIMSS and PRILS (2015). **International Study Center**, Lynch School of Education, Boston College, www. Timss and pirls. be.edu.
- www. Learning. Otb. com

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 143-165، 2021

Research Article

Open Access

التأثير البشري على الدولاينز (Dolines) واللاندسكيب الكارستي في سهل بنغازي

هويدي عبد السلام الريشي، أحمد مجمد جعوده

كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة بنغازي

Doi: https://doi.org/10.54172/r82enz97

المســـتخلص: تناقش هذه الورقة الدولاينز **(Dolines)** التي تعد من أهم المظاهر الجيومرفولوجية الكارستية في سهل بنغازي ، وهي سمات سطحية متناثرة في سهل بنغازي ومتركزة على وجه الخصوص في جزئه الشمالي، وتتميز الدولاينز الواقعة تحت مستوى المياه الجوفية بأنها كانت مصادر للمياه بينما تستغل الهوية الجافة البعيدة عن مستوى الماء الجوفي في الزراعة التقليدية نظراً لتربتها الخصبة حيث تزدهر فيها زراعة الخضروات وتنمو فيها اشجار النخيل والزيتون والكروم واللوزيات. وقد أبان التطور العمراني السريع خلال العقد المنصرم عن خطر كبير يهدد المظاهر والملامح الكارستية في منطقة الدراسة ، فتدهور اللاندسكيب الكارستي بل واضمحل نهائياً في بعض الأماكن. تهدف هذه الورقة إلى توثيق مدى الأضرار التي لحقت باللاندسكيب الكارستي وخاصة الدولاينز كما تعرج علي الأخطار التي تهدد مستخدمي الأرض في منطقة الدراسة والتي تعرف بمخاطر الكارست **(KarstHazard)**. كما تناقش الورقة التعدي البشري غير الخاضع للرقابة وخطورة المشكلة الناتجة عن عدم أكتراث الجهات المسئولة في تحمل مسؤلياتها لحماية هذا الإرث الطبيعي والثقافي الفريد. وتنوه الورقة أيضاً إلى انعدام وعدم كفاية التشريعات الحالية المتعلقة بحماية اللاندسكيب الطبيعي.

الكلمات المفتاحية: دولاينز ، اللاندسكيب الكارستى، الكارست، سهل بنغازي، التأثير البشري.

The Human Impact on Dolines and Karst Landscape in Benghazi Plain

Hawidi Abdulsalam Al-Rishi, Ahmed Mohamed Jaouda
Department of Geography, Faculty of Arts, University of Benghazi

Abstract: This paper discusses the dolines, which are among the most important karst geomorphological features in the Benghazi Plain. They are scattered surface features in the Benghazi Plain, concentrated particularly in its northern part. The dolines located below the groundwater level were sources of water, while the dry areas distant from the groundwater level were utilized for traditional agriculture due to their fertile soil. Vegetables thrive in these areas, along with palm, olive, grape, and almond trees. Rapid urban development in the past decade has posed a significant threat to karstic features and landscapes in the study area, leading to the degradation and disappearance of karst landscapes in some places. This paper aims to document the extent of damage inflicted on the karst landscape, especially the dolines. It also addresses the hazards posed to land users in the study area, known as Karst Hazard. Moreover, the paper discusses unregulated human encroachment and the danger resulting from the authorities' neglect of their responsibilities to protect this unique natural and cultural heritage. It also highlights the absence and inadequacy of current legislation related to the protection of natural landscapes.

Keywords: Dolines, karst landscape, karst, Benghazi Plain, human impact.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

الدولاينز (Dolines) هي عبارة عن منخفضات مغلقة تتميز بتصريفها الداخلي، توجد في لاندسكيب الكارست وتعرف الدولاينز في بعض الاحيان بالحفر الغائرة (Sink holes) خاصة من قبل المهندسين وبالتحديد في اميركا الشمالية (Ford and Willams, 2007). ان مصطلح الدولاينز مشتق من كلمة (Dolina) السلوفينية (Slovania) حيث يستخدمها علماء الجيومرفولوجية الاوربيين بشكل رئيسي (Gams and Gabrovec,1999;Gams, 2003) (Sauro,1993) وغالبا ما تكون الدولاينز علي شكل دائري و شبه دائري في المسقط الافقي، ويبلغ قطرها ما بين عشرات الي مئات الامتار وقد يتراوح عرضها من بضعة امتار الي كيلومتر، ويبلغ الارتفاع من ادنى نقطة بها الى الحافة (العمق) من بضعة امتار الى عشرات الامتار على الرغم ان بعضها قد يصل عمقه إلى أكثر من 100 متر ومن حين لأخر إلى 500 متر.

تتراوح جوانبها في الانحدار من بسيط إلى شديد الانحدار إلى عمودي الانحدار. ويأخذ شكلها العام شكل الصحن إلى الشكل المخروطي إلى الأسطواني وغالبًا ما تكون أدنى نقطة لها قريبة من المركز. الدولاينز شائع في التضاريس المكونة من صخور الحجر الجيري الكربوناتية وتنتشر كذلك في الصخور الجيرية الدولوماتية وصخور المتبخرات (Evaporites)، ويوجد بعضها أيضا في الصخور السيليسية (Siliceous rocks) مثل الكوارتز ولطالما اعتبر الدولاينز شكل تشخيصي لأراضي الكارست ولكن يعتبر هذا القول صحيح جزئيا فقط ، ذلك أن الدولاينز تتطور تحت السطح في الشبكة الهيدروجيولوجية حتى في حالة عدم وجود دولاينز على السطح . ويعتبر ظهور الدولاينز ووجودها في منطقة الكارست ليس عشوائيًا بل نتاج العمليات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية والكيميائية والتكتونية التي تسببت في الهبوط والانهيار الجزئي وحتى الانهيار الكلي لسطح الأرض عندما توجد فراغات وكهوف في صخر الأساس ، والمادة الصخرية الغير متصلبة (Beck, 1984).

الأهداف

تهدف هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف التالية .

1. حصر وتوثيق ما تبقي من المظاهر الكارستية (الدولاينز) فى سهل بنغازي وخاصة في

الجزء الشمالي منه قبل اندثارها.

2. توثيق العبث بالدولاينز والكهوف وبقيت المظاهر الكارستية
3. التنبيه والتحذير من تأثير الإنسان على موارد البيئة الطبيعية .
4. التنبيه إلى المخاطر الجيومورفولوجية المتمثلة في استمرارية عمليات الكارست Karstifications علي التوسع العمراني في سهل بنغازي.

المنهجية

1. مراجعة أدبيات ومساهمات المؤتمرات حول الكارست والإنسان الذي عقد بمدينة لجو بلجانا – سلوفينيا والمؤتمرات اللاحقة مع اعطاء اهتمام خاص للبحوث التي أجريت حول التأثير البشري على الدولاينز Dolines واللاندسكيب الكارستي .
2. استخدام صور فضائية من (Google Earth) في سنوات مختلفة ومتباعدة 2000 – 2020حسب المتوفر وذلك للمقارنة وللتوضيح .
3. مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الكارست على وجه العموم في سهل بنغازي بصفة عامة ومناطق بنينه وبوهادي والكويفية وبودزيرة وبوعطني– الليثي بوهادي بصفة خاصة ولعل أهمها:

أ- Desio, 1939

ب-(Kosa, A. – Csernavolgyi Laszla 1983)

1. Kosa, A. (1977) -3

ج- Guerre (1980).

د- McBurney, C. B. M. and Hey, R. W. (1955)

ه- Abdelmalak et al.,2007

و- Radinja (1978)

ز- جودة حسنين جودة (1973)، عودة (1984)

الدراسة الحقلية التي أقيمت في شهور يونيو ويوليو واغسطس 2020م .

منطقة الدراسة

تعد منطقة الدراسة جزء من سهل بنغازي وخاصة ركنه الشمالي. ويقع سهل بنغازي في الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة برقة الممتدة فيما بين خليج البمبة في الشرق وخليج سرت في الغرب. وفلكياً بين خطى طول و شر و′45 °19 ق و′00 °20 و′22 –°31 شمالاً و′44 °32

شمالاً (الشكل 1) وتبلغ مساحته 6.500 كيلومتر مربع (الحجاجي، 1989).

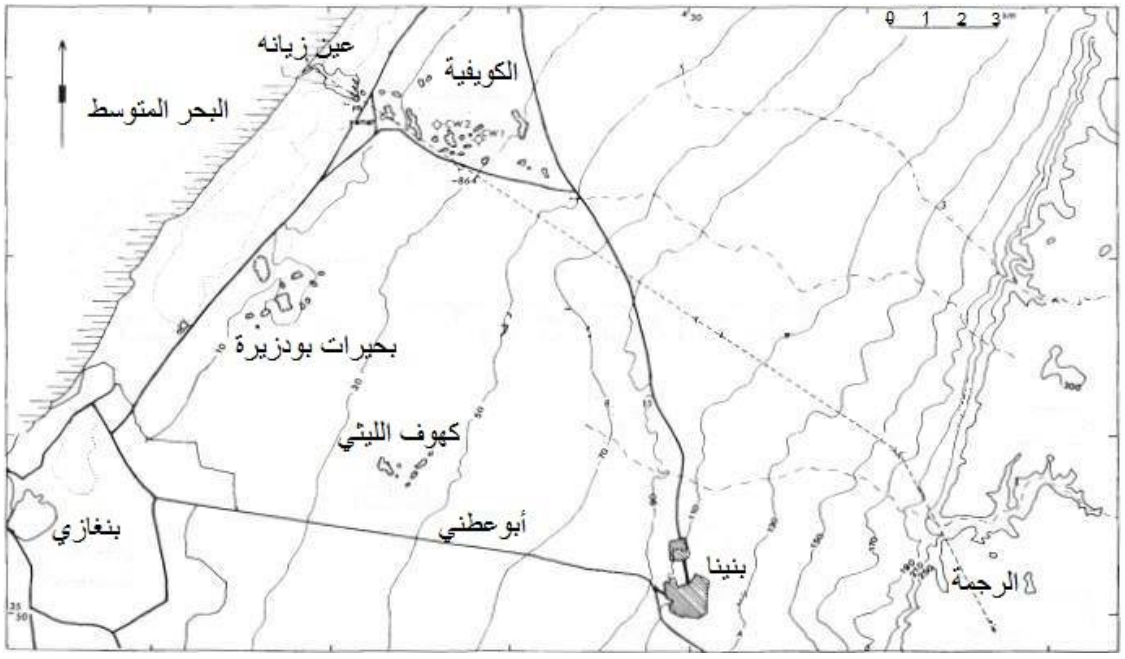

الشكل (1) موقع منطقة الدراسة محورعن جير (Guerre, 1980)

تتمثل أنماط الكارست السطحية في سهل بنغازي في ثلاثة حقول من الدولاينز (شكل 2) وهي:

1. أنظمة كهوف منطقة الكويفية المتصلة بعين زيانة النشطة.
2. حقل أبودزيرة (بحيرات رومل).
3. أنظمة كهوف الليثي التي يأتي في مقدمتها كهف الجخ الكبير .

كهوف الليثي التي تضم العشرات من الدولاينز ، هذه الدولاينز مبعثرة على مساحة تقدر بخمسة عشر كيلومتر مربع، وتأخذ الاتجاه شمال شمال غرب – جنوب جنوب شرق بين عين زيانة وسيدي منصور ويوجد أكثر من سبعة عشر دولاين تقع في منتصف هذه المنطقة ويوجد بها مياه سهل الوصول إليها متصلة بعضها البعض بشبكة من الدهاليز والممرات يقع جلها تحت سطح الماء ، ويبلغ طول هذه الممرات والدهاليز التحت سطحية (80 متر تحت سطح البحر) حوالي 4800 كيلومتر (Guerre, 1980).هذا ما توصل إليه (Guerre) جير ولكن بعد انقضاء

ما يزيد عن أربعة عقود تبين من مشاهدات الدراسة الحقلية أن العديد من الكهوف أصبحت جافة ربما بفعل التغيرات المناخية التي ادت الي انحسار المطر والتذبذب في كميات واماكن سقوطه، أن العديد من الدولاينز اختفت ربما بفعل الردم ومن ثم البناء وإقامة المشاريع الإسكانية على اطلالها أو ربما بفعل حيازة الأرض وبناء أسوار عليها وبالتالي لم تعد سهلة الوصول إليها وأصبحت ملكيات خاصة.

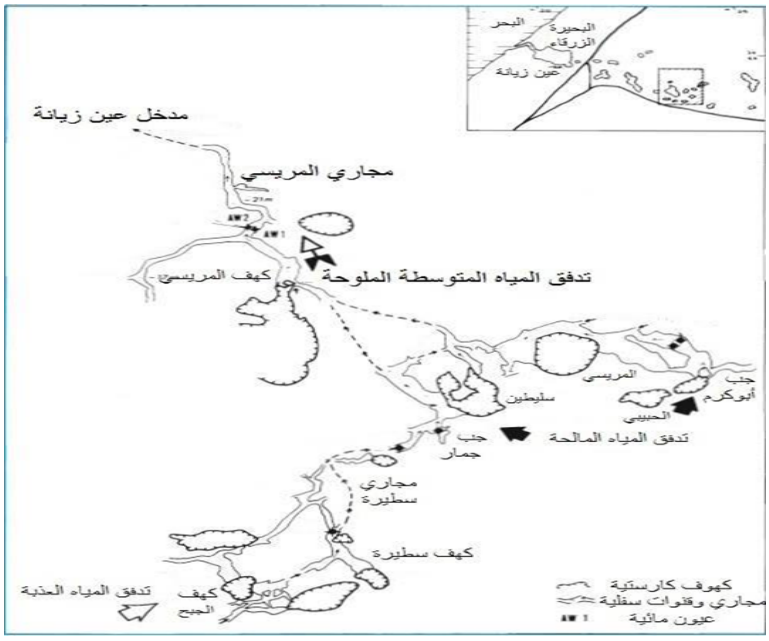

شكل (2) أنماط الكارست السطحية في الجزء الشمالي من سهل بنغازي محور عن جير (Guerre, 1980)

جيولوجية المنطقة

تتركب أرض سهل بنغازي عموما من صخور رسوبية، وكلها تتكون من صخور الكربونات البحرية النشأة وتنتمى لعصر الميوسين (جودة، 1973) ويتكون السهل تكوين ذو بنغازي الصخري ذو العمر الميوسيني (Miocene) (Late Burdigalian- Early Serravallian) هذا التكوين المتكشف في منطقة الدراسة بشكل كبير باستثناء بعض البقع التي غطتها التربة الحمراء (Terra-rosa) الناتجة من تجوية الصخور الجيرية. وساعد على بروز وظهور وكشف هذه الصخور في الجزء الشمالي من السهل، العديد من المظاهر الكارستيه مثل الدولاينز والممرات التحت سطحية التي وجدت في عين زيانه– الكويفية– بودزيرة– كهوف الليثي ودولينانه– بحيرات

رومل. الشلطامي وآخرون (Sheltami et al., in press) وجد أن تكوين بنغازي المتموضع في منطقة الدراسة يتكون من خمس وحدات صخرية توصف من الأسفل إلى الأعلى كما يلي:

1. الطين (Claystone) ذو اللون الأخضر المصفر، لين. به كسور الأصداف والمستحاثات الافقارية.
2. طبقة من المارل (Marl) أصفر اللون متوسط الصلابة. يحتوي علي مستحاثات رخويات تابعة لذوات المصراعين والبطنقدميات بالاضافة الى كسور الاصداف والمستحاثات اللافقارية.
3. حجر جيري (Limestone) ذو لون رمادي، وصلب يحتوي علي مستحاثات الطحالب-الجيرية الحمراء (Calcareous red algae) و مستحاثات رخويات تابعة لذوات المصراعين والبطنقدميات بالاضافة الى كسور الاصداف والمستحاثات اللافقارية.
4. دولوستون(Dolostone) ذو لون رمادي مائل إلى البني، صلب. يحتوي على كسور الاصداف وبعض المستحاثات الافقارية.
5. 5- حجر جيري (Limestone) ذو لون رمادي ، صلب ويحتوي على مستحاثات قنافد البحر وكسور الأصداف والمستحاثات اللافقارية.

رواسب الزمن الرابع (Quaternary deposits)

تغطي رواسب الزمن الرابع بعض الأجزاء من منطقة الدراسة ، وتتمثل هذه الإرسابات في رواسب السباخ التي غالبا ما تتكون من طبقة رقيقة من الطمي والطين والرمل وتكون بالقرب من الساحل. هذه المنخفضات شقت (Excavated) في الحجر الجيري الميوسينى التابع لتكوين بنغازي. بالإضافة إلى رواسب الأودية (fluvialdeposits) و التربة (Terra-rosa) الحمراء التي غالباً ما تملا الفواصل و في بعض الأحيان تغطي هذه التربة صخور الحجر الجيري الميوسيني التابع لتكوين بنغازي. ورواسب الرمال الحديثة والقديمة المتحجرة (Doyel and Maguire, 1964).

ويرجع دويل وماقواير (Doyel and Maguire, 1964) احتمال بأن التربة الحمراء التي تغطي جزءًا كبيرًا من السطح في منطقة سهل بنغازي للعصر الرباعي ، وقد تكون

أجـزاء كبيـرة مـن هـذه التربـة محصـلة نهائيـه لعمليـات التجويـة التـي تعـرض لهـا الحجـر الجيري.

والرواسب الحديثة الموجودة على طول الساحل غالباً ما تكون على شكل كثبان رملية غير متصلبة وشبه متصلبة ومتصلبة. كما توجد رواسب حديثة من الرمل والطمي والحصى في بطون الأودية (Doyel and Maguire, 1964).

جيومورفولوجية المنطقة

تعـد منطقـة الدراسـة بصـفة عامـة أرض منبسـطة وتنحـدر انحـداراً بسـيطاً باتجـاه البحـر ، وقلـة الانحـدار هـذه تجعـل المـاء يسـتقر، الأمـر الـذي يـؤدي إلـى نفـاذه إلـى غطـاء التربـة ومـن ثـم إلـى الصـخور. ومـن ناحيـة أخـرى فـإن السـهل سـوف يتمتـع بقطـاع سـميك نسـبياً مـن التربـة الأمـر الـذي يـؤدي إلـى تـزود المـاء بثـاني أكسـيد الكربـون وبالتـالي يصـبح المـاء ذو كفـاءة عاليـة فـي عمليـات الإذابـة (عـودة، 1984). أمـا عـن أهـم الظـواهر الجيومورفولوجيـة فتتمثـل فـي الظـاهرات الكارسـتية المتمثلـة فـي الـدولاينز، الكهـوف، البحيـرات مثـل بحيـرة دولايـن حمـد وبحيـرة عـين زيانـة وبحيـرة بـو دزيـرة وغيرهـا، والسـباخ التـي تحتـوي علـي رواسـب مختلفـة، والكثبـان الرمليـة القديمـة والحديثـة، ومكاشـف الصـخور الجيريـة والتربـة الحمـراء التـي تغطـي هـذه الصـخور جزئيـاً وتمـلا الشـقوق والفواصـل والكسـور فـي هـذه الصـخور. وتحتـل السـباخ النطاقـات المنخفضـة القريبـة مـن الشـاطئ، هـذه المنخفضـات نتجـت عـن عمليـات الإذابـة الكارسـتية لصـخور الحجـر الجيـري الميوسـيني وتغطـي هـذه المنخفضـات بـالملح والطمـي والطـين وخاصـة فـي فصـل الصـيف عنـدما ترتفـع درجـات الحـرارة و تـزداد معـدلات التبخـر. وتوجـد الكثبـان الرمليـة فـي الشـريط الشـاطئي وغالبـاً مـا تتكـون مـن الرمـل والرمـل الجيـري وبقايـا الأصـداف وكسـورها. تعتبـر الـدولاينز ظـاهرة جيومورفولوجيـة مميـزة لهـذه المنطقـة، بعـض هـذه الـدولاينز يوجـد بهـا ميـاه مثـل دولاينـز حمـد وبـودزيرة التـي تعتبـر أكبـر البحيـرات الكارسـتية وتبعـد عـن مدينـة بنغـازي بحـوالي 7 كيلـومتر باتجـاه الشـمال الشـرقي وغيرهـا بينمـا توجـد دولاينـز أخـرى جافـة مثـل دولايـن مريمـي وغيـره. وهنـاك دولايـن مرتبطـة ببحيـرات تحـت سـطحية وواقعـة تحـت منسـوب الميـاه الجوفيـة مثـل كهف بوكرمة، كهف الحبيبي (جودة، 1973).

النتائج والمناقشة

اختيار منطقة الدراسة

تمثل منطقة الدراسة بيئة مناسبة للترصع بالظاهرات الكارستيه وبصفة خاصة الدولاينز "doline " وتسمى أيضًا بالحفر الغائرة sinkhole" وذلك لوجود نوعية الصخور الجيرية والصخور الجيرية الدولوميتيه السميكة والبنية الجيولوجية المناسبة ؛ حيث تكثر الصدوع والفواصل والشقوق ومناخ ذو كميات امطار وفيرة لازدهار الكارست، كل ذلك أدى إلى تكوين العديد من الظواهر الكارستسة التي يأتي في مقدمتها الدولاينز والكهوف والممرات والدهاليز التحت سطحية، ومن أبرزها دولاين المريسي، كهف الحبيبي ، بوكرمه ، سطيرة ، كهف الجبح ، دولاين حمد، عين زيانة (الصور 1 – 2 – 3– 4– 5– 6– 7)، وغيرها , كل ذلك جعل هذه المنطقة المرشح الأول للاختيار.

عمليات تكوين الدولاينز وخصائصها

تعد الدولاينز (Dolines) منخفضات طبيعية مغلقة في اللاندسكيب الكارستى، وقد ميز ثورنبري (Thornbury, 1964) نوعين من هذه المنخفضات هي:

1- منخفضات تتكون تدريجياً وببطء عندما تذيب المياه المكربنة صخور الحجر الجيري المتموضعه أسفل التربة مباشرة وتسمى هذه المنخفضات بدولاين أو حفر الإذابة Solution dolines.
2- منخفضات تتأثر بفعل انهيار الصخر من أسقف الكهوف أو الفجوات الباطنية وتسمى بدولاينز الانهيار Collapse dolines.

وقد وافق جننج (Jenning, 1971) ثورنبري Thornbury إلى حد كبير في تصنيف الدولاين إلى عدة أنواع أهمها حفرالإذابة وحفر الإنهيار، ويوجد في منطقة الدراسة هذين النوعين، وللدولاينز عدة أشكال وأحجام وغالباً

مـــا تكـــون شـــبة دائريـــة فـــي مســـقطها الأفقـــي أو علـــى شـــكل بيضـــاوي ، وقـــد تأخـــذ الشكل المستقيم (Kochano 1999)، (Kranjc 2006) .

ويتـــدرج قطـــر هـــذه الـــدولاين مـــن عـــدة أمتـــار إلـــى مئـــات الأمتـــار وقـــد يكـــون أحـــد جوانبها متدرج إلى شديد الإنحدار (Gams 2003 – kranjc 2006) .

وفـــي منطقـــة الكويفيـــة وبـــوعطنى– الليثـــي بوهـــادى وبنينـــة عـــدد كبيـــر مـــن الـــدولاينز Dolines وغالبيتهـــا عميقـــة إلـــى حـــد مـــا وتشـــرف جـــدران هـــذه الـــدولاينز علـــى قيعانهـــا بإنحـــدارات شـــديدة ، وقـــد لـــوحظ مـــن الدراســـة الحقليـــة أن الجوانـــب الشـــرقية للـــدولاينز تكـــون شـــديدة الانحـــدار قـــد يصـــل إلـــى أن تكـــون هـــذه الانحـــدارات قائمـــة فـــي معظـــم الأحيـــان ، هـــذه الملاحظـــة أكـــدت مـــن قبـــل جـــودة فـــي دراســـته الحقليـــة لمنطقـــة الكويفيـــة فـــي ســـبعينيات القـــرن الماضـــي (جـــودة، 1973) وهـــذه الانحـــدارات القائمـــة تـــدل علـــى أن الميـــاه الجوفيـــة لعبـــت دوراً مهمـــاً فـــي تكـــوين هـــذه الـــدولاينز ولـــيس المـــاء الســـطحي فقـــط. كمـــا أن الـــدور التكتـــونى قـــد يكـــون مـــؤثرا فعليـــا، فقـــد ذكـــر بـــالمر ان الجيولوجيـــا التركيبيـــة تعـــد عامـــل مهـــم جـــداً فـــى تطـــور الكارســـت بـــل أنـــه اعتبرهـــا العامـــل الـــرئيس فـــى تطـــور الظـــواهر الكارســـتية (Palmer, 1977). ومـــن هـــذه الـــدولاينز مـــا يمتلـــئ بالميـــاه مكونـــاً بحيـــرات ذات أحجـــام مختلفـــة ؛ وتعتبـــر بحيـــرة بـــودزيرة أكبرهـــا مســـاحة وهنـــاك بحيـــرات متوســـطة المســـاحة مثـــل المقـــارين ودولايـــن حمـــد و المجـــذوب وحميـــرة (صـــورة 8 – 9 – 10) وبعضـــاً مـــن هـــذه البحيـــرات تســـتقي مياههـــا مـــن العيـــون الدافقـــة مثـــل بحيـــرة عـــين زيانـــة التـــي لهـــا اتصـــال جزئـــي بـــالبحر (صـــورة 11) ويوجـــد عيـــون متدفقـــة فـــي جانبهـــا الشـــرقي كمـــا يشـــاهد تيـــار واضـــح تجـــري مياهـــه فـــي اتجـــاه الغـــرب نحـــو البحر (جودة، 1973).

يعـــد الكارســـت مـــن الظـــواهر الجيومرفولوجيـــة الهامـــة فـــي الجـــزء الشـــمالي مـــن ســـهل بنغـــازي وخاصـــة فـــي المنطقـــة المحصـــورة بـــين ســـيدي خليفـــة فـــي الشـــمال والطريـــق الـــذي يـــربط بـــين مدينـــة بنغـــازي وبلـــدة بنينـــا فـــي الجنـــوب، ويلاحـــظ وجـــود عـــدد قليـــل مـــن الـــدولاينز إلـــى الجنـــوب مـــن هـــذه البلـــدة حيـــث يوجـــد اثنتـــان علـــي

جانبي الطريق من بنينة إلى الرجمة واثنتان متقابلتان حوالي منتصف الطريق وواحدة علي يسار الطريق اسفل حافة الرجمة وكل هذه الدولاينز جافة وغير متصلة بالمياه الجوفية (جودة، 1973). بإضافة إلى ذلك تم توثيق ما مجموعة 60 دولاينز في المنطقة المحصورة بين مسوس وسلوق ، صنفت خمسة عشر منها على أنها منخفضات ضحلة شبيها بالادوينز وتتراوح أقطارها من 125 – 350 متر وعمقها من 5 – 25 متر ، والخمسة والأربعون الأخرى هي عبارة عن دولاينز منهارة وأقطارها تتراوح من 75 – 250 متر وعمقها من 25 – 60 متر ، والتوزيع المكاني لهذه الدولاينز متأثر بحاجزين هما الحافة العلوية للجبل الأخضر ذات الاتجاه شمال – جنوب وخط الصدع الرئيسي بين شمال شرق وجنوب غرب الواقع في الجزء الشرقي لهذا الصدع ، ومن الواضح أن الدولاينز الواقعة في الجزء الشرقي من خط الصدع ذو الاتجاه شمال شرق – جنوب غرب أقل تطوراً وتصبح قليلة في العدد والعمق (Faraj, et ,2016 al.) ، وتتعرض هذه الدولاينز لعمليات الردم المستمر بمخلفات البناء والمخلفات الصناعية والهياكل المعدنية والسيارات القديمة الأمر الذي يهدد وجودها ويعرضها للاضمحلال والاختفاء وبالفعل فإن عدداً من هذه الدولاينز ردمت واختفت معالمها بنسبة كبيرة وخير مثال على ذلك الدولينا الواقعة إلى يسار الطريق الرابط بين بنينه والرجمة والقريبة من سياج المطار والتى ردمت تماما. ومن حسن الحظ فإن الدولاينز الواقعة جنوب سهل بنغازي (بين مسوس وسلوق لا زالت سليمة وعلى طبيعتها ولم تطالها يد الإنسان العابثة) ، أي أنها لم تتعرض لعمليات الردم أو الاستخدام السيء كرمى النفايات الصلبة بأنواعها والسائلة ، وذلك لبعدها على المناطق الحضرية.

من ناحية أخرى تعتبر طبوغرافية الكارست في الجزء الشمال من سهل بنغازي متطورة جداً حيث تضم الكهوف والدولاينز والدهاليز والممرات المتموضعة تحت سطح الأرض والتي تعد بمثابة خزان للمياه الجوفية والتي كانت تساهم مع مصادر أخرى في مد مدينة بنغازي ومجاوراتها بالمياه.

إن حركة المياه الجوفية عبر الصدوع والفواصل والشقوق والكسور تعمل علي توسيع وتكهف هذه الصدوع والفواصل والشقوق لتكون كهوف مختلفة الأشكال والأحجام. فقد لعبت عمليات الاذابة السطحية دوراً هاماً في نشأة هذه الدولاينز والكهوف وبقية اشكال الكارست عاونها في ذلك مجموعة من العوامل البنيوية مثل الصدوع والفواصل والانكسارات ونوع الصخر ودرة مساميته. في منطقة بوعطنى –(الليثي) والتي تبعد 7 كيلومتر إلى الشرق من بنغازي وقد كان يوجد أثني عشرة دولاينز أكبرها كهف الجخ الكبير (كهف الليثي). وتأخذ هذه الدولاينز الأشكال الدائرية والبيضاوية ويتدرج قطرها من 50 – 200 متر وعمقها يتراوح ما بين 10 – 12متر (Desio, 1939) وقد طالت يد الإنسان هذه الدولاينز بالعبث والتخريب واساءة الاستخدام حيث ردم بعضها وأصبحت مرمى للنفايات بأنواعها الصلبة والسائلة ، كما حرقت أشجار قيعانها وزحف العمران عليها ليخنق ما تبقى منها حيث اضمحلت وأصبح عددها في منطقة بوعطنى ستة دولاينز فقط (الصور 12– 13) والدولاينز الباقية أصبحت مرمى للنفايات والقمامة كما ردمت أجزاء منها ولازال الردم مستمر (14– 15) وهي للأسف في طريقها للإضمحلال والتلاشى في غياب التشريعات التي كان من المفترض أن تسن لحماية اللاندسكيب الطبيعي والمحافظة على هذا المورد الطبيعي الغير متجدد. وتنقسم الدولاينز في منطقة الدراسة إلى نوعين هما.

- النوع الأول دولاين الإذابة : وتمثل تلك الدولاينز التي تنشاء بفعل إذابة المياه للصخور الجيرية السطحية وذلك بعد أن تتخلل المياه طبقة التربة وتتدفق مسببة في تطور هذا النوع وهبوطه لأسفل طبقة التربة دون حدوث أي خلل طبيعي للصخور الواقعة أسفله ويتحول بعض هذه الدولاينز إلى بحيرات كارستية مثل بحيرة بودزيرة، دولاين حمد ودولاين المجدوب وغيرها وللمياه الجوفية دور يذكر في تكوين هذه االدولاين بجانب المياه السطحية عن طريق عمليات الإذابة سالفة الذكر.
- النوع الثاني : هذا النوع يظهر ويتكون نتيجة انهيار سقف الدولاينز ، لكن هذا الانهيار لا يحدث إلا عند اكتمال عمليات الإذابة ومن ثم تعطي الفرصة لعمليات الإنهيار كي تقوم بنشاطها (جودة، 1973). هذا النوع يتمثل في كهف الجخ

الكبير وكهف بوكرمة وكهف الحبيبي وكهف سطيرة وبومنصور في الشمال الشرقي. وقد تعمل هذه الدولاينز كخزانات للمياه وخاصة في بعض مواسم الشتاء التي تتميز بغزارة الأمطار، وتجدر الإشارة إلى أن غالبية هذه الكهوف والدولاينز وخاصة القريبة من البحر تكون مياهها مالحة أو قليلة الملوحة (شلوق).

الأخطار الجيوموفولوجية في منطقة الدراسة

تمثل المناطق الكارستية غالبا المصدر الرئيس لعدم استقرار الأرض، لذلك يجب أن تؤخذ في الاعتبار المخاطر الناتجة عن ذلك من قبل الحكومات المحلية وتوجيه وارشاد السكان وفقا لذلك. لازالت منطقة الدراسة (الكويفية ، بودزيرة ، والليثي – بوعطني، بوهادي، جنوب سهل بنغازي) منطقة نشطة تكتونية ، وعلى سكان تلك المناطق مراعاة حجم الأخطار المحدقة بهم وبمنشأتهم الحضرية و الاقتصادية ، ان غالبية هذه الرقعة الجغرافية تتميز بالمظاهر الكارستية المتمثلة في الدولاينز والكهوف والدهاليز والممرات الكارستية، (Abdelmalik et al., 2007) فما انهيار أسقف الكهوف والدولاينز إلا دليل على استمرارية النشاط التكتوني في المنطقة، كما أن هناك وجود للمظاهر الكارستية المختفية تحت سطح الأرض والتي قد تنهار فجأة بدون انذار نتيجة لهزات أرضية حتى ولو كانت خفيفة ولمرور الآلات الثقيلة أو الشاحنات الكبيرة، ذلك إن الأنشطة البشرية يمكن أن تسرع من انهيار الدولاينز والممرات والمجاري الكارستية في غضون بضع سنوات مقارنة بالانهيارات الكارستية في ظل الظروف الطبيعية التي تتطور على مدى آلاف السنين (Newton and Gunn, 1987).

ومن المجازفة الخطيرة إقامة المساكن والمنشات الاقتصادية والعمرانية على هكذا رقعة. حتي وأن حظيت هذه الرقعة بالدراسة الكافية في محاولة لدرء الخطر فإن ذلك سيكلفها الكثير من الانفاق والتكاليف الاقتصادية ذلك أن البيئات الكارستية تجعل التخطيط والتطوير أكثر صعوبة من حيث ارتفاع التكلفة والتصميم والبناء (Rutty and Jennings 2012).

حماية بيئة الكارست

إن ملامح المحافظة علي الكارست وحماية الصخور الرسوبية لابد أن تجذب العديد من الانتباه ذلك لأنها تمثل مناطق خطر جيومورفولوجي وتهديدا لحياة الإنسان وممتلكاته ، ويشتمل هذا التهديد في التأثير علي جودة المياه الجوفية بواسطة رمي الملوثات والنفايات السائلة في الدولاينز الأمر الذي يؤدي إلى التلوث المحلى للمياه الجوفية (أي التلوث في مكان رمي النفايات السائلة) وإلى التلوث في أماكن انتشاره، وتعمل الأنظمة الكارستية التحت سطحية المتمثلة في الممرات والدهاليز والكهوف والدولاينز المتصلة فيما بينها إلى نقل هذه الملوثات، وبذلك تتلوث المياه الجوفية عندما تدخل هذه الملوثات الي الطبقة الحاملة للمياه الجوفية في تضاريس الكارست. وترتبط المياه السطحية والمياه الجوفية ارتباطًا وثيقًا عن طريق الكسور ، الشقوق ، الفواصل والقنوات. هذه الروابط الوثيقة تعمل علي نقل الملوثات (مثل الأسمدة والمبيدات الحشرية والبنزين والبكتيريا ومياه الآبار السوداء وغيرها) عبر الجريان السطحي إلى طبقة المياه الجوفية عن طريق الترشيح الطبيعي من التربة والغطاء النباتي. ومثال واضح علي هذا التلوث تلك الدولاين القريبة من مستودع رأس المنقار(دولاينز رأس المنقار) (صورة 16) والتي أدت إلى التلوث محلي للمياه وتلوث المياه في مناطق بعيدة عنها، حيث بينت الدراسة و التحاليل التي أجراها العبيدي وآخرون علي عينات من المياه جمعت من دولينة راس المنقار أن أكثر من 90٪ من هذه العينات وجدت بأنها تحوى كمية كبيرة من الوقود الأحفورى بالإضافة الي مياه الصرف الصحي (El Ebaidi et al., 2019). وتعرف خزانات المياه الكارستية (aquifers Karst) بمدى حساسيتها للتلوث. كل هذه الملوثات السائلة بدون شك تدخل في النظام الكارستي بكامل المنطقة. إن هذا السلوك الغير مسؤول ضد البيئة والمتمثل في رمي النفايات بأنواعها وعمليات الردم المختلفة والتجريف أدي إلى تدمير اللاندسكيب البديع ذو القيمة الجمالية والثقافية والعلمية والسياحية الثمينة .هذا بالإضافة إلى الأهمية الإيكولوجية المميزة لهذه الدولاينز والكهوف والبحيرات الكارستية، التي تعتبر ذات قيمة عالية من ناحية المحافظة علي الأنواع الحساسة (Conservation)

حيث توفر هذه المظاهر الكارستية موائل جديدة وتدعم بعض الأنواع التي لا توجد ولا تستطيع العيش خارج نطاق الدولاينز والكهوف كالخفاش وانواع مختلفة من الحيوانات و بعض انواع النباتات، وذلك يرجع إلى تنوع الموائل الصغيرة وقدرتها على فصل المناخ المحلي (مناخ الدولاينز والكهوف) عن التغيرات المناخية الإقليمية ما يجعلها مكان مناسب وملجأ محتملاً للتنوع البيولوجي (Batori et al., 2020).

استخدام الدولاينز في الزراعة التقليدية

من الخصائص الطبيعية الرائعة لاقليم الكارست التربة ذات اللون الأحمر التي تعرف بالتربة الحمراء Tera–rosa وهي تربة قوامها من اللوم Loam وهي المنتج النهائي من عمليات تجوية طبقات الحجر الجيري ، وهى تمثل غالبية أنواع الترب في مناطق الكارست (Pavsic, 2006) وتغطي التربة الحمراء طبقات الحجر الجيري وتتموضع فوقها بسمك ليس بالكبير ولكنه مناسب لانبات المراعي والمروج ، ولكن في قيعان الدولاينز والمناطق الهابطة من اقليم الكارست تتموضع طبقات سميكة من التربة الصالحة والخصبة للزراعة (Kranjc , 2006).

في منطقة الدراسة أدرك السكان المحليين أهمية ترب قيعان الدولاينز وتفهموا لأهميتها وخصوبتها في عمليات الزراعة فقاموا بتحويلها وإعدادها ، فقد تم إزالة الصخور من قيعانها يدوياً واستخدمت هذه الصخور في انشاء جدران على هوامش هذه الدولاينز، الشكل (الصور 17 – 18 – 19 – 20) ، كما تم بناء سدود داخل بعض هذه الدولاينز ربما لتقسيمها إلى بساتين مختلفة أو لتحديد الملكية الزراعية ؛ حيث تم زراعة أشجار الفاكهة مثل اللوزيات والنخيل والزيتون والرمان والكروم وغيرها ، بالإضافة لزراعة الخضروات المختلفة . ولا زالت بعض هذه الدولاينز تستخدم إلى يومنا هذا ولكن عددها تناقص كثيراً ، فقد أدت التغيرات الاقتصادية والاجتماعية بعد اكتشاف النفط إلى ارتفاع معدلات التحضر وارتفاع معدل دخول الأفراد ، كل هذ التغيرات اعتبرت الطرق الزراعية التقليدية غير فعالة ولا تناسب نمط الحياة الجديدة بالتالي هجرت الزراعة التقليدية في هذه

الـدولاينز وتركـت ، وتـم الـتخلص منهـا فأصـبحت الـدولاينز مهجـورة لتسـتوطنها النباتـات التـي تشـير إلـى التلـوث ثـم كمرمـى للنفايـات الصـلبة (الصـور 21 – 22 – 23) والنفايـات السـائلة (الصـورة 16). وتعرضـت للـردم بمخلفـات البنـاء والسـيارات الخـردة وبقايـا الهياكـل المعدنية وغيرها.

(الشـكل 3) يوضـح النشـاط الزراعـي واسـتغلال الـدولاينز فـي الزراعـة التقليديـة فـي منطقـة الكويفيـة فـي سـبعينيات القـرن الماضـي ؛ حيـث الحقـول والبسـاتين كثيـرة جـداً وتكـاد تغطي رقعة كبيرة من منطقة الكويفيه.

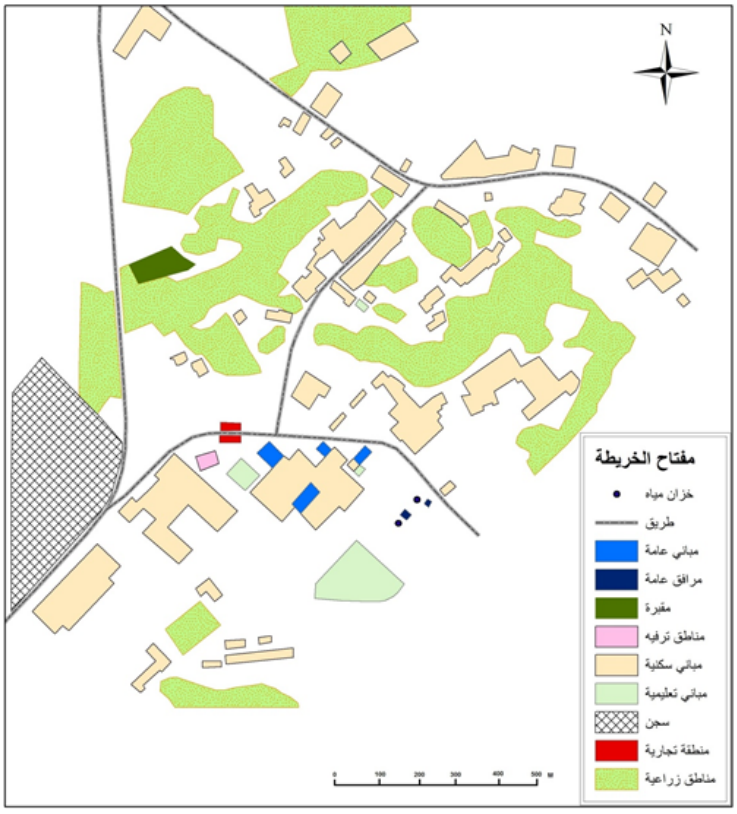

شكل (3) المناطق الزراعية في منطقة الكويفية، مؤسسة دوكسيادس 1979م .

علـى الـرغم مـن أن الكارسـت معـروف بأنـه لانـد سـكيب طبيعـي فريـد يتشـكل تحـت ظـروف خاصـة كمـا أنـه تـراث طبيعـي معتـرف بـه علـي مسـتوى العـالم بأنـه ظـاهرة عالميـة وبـالرغم مـن ذلـك كلـه فإنـه يفتقـر إلـى نظـام وآليـة مناسـبة لحمايتـه وحفظـه. وتتعـرض هـذه السـمات والمظـاهر الجيومورفوجيـا للانـد سـكيب الكارسـت (الـدولاينز نموذجـا) إلـى

الاضمحلال والتدهور على مستوى يومي الأمر الذي يؤدي إلى فقدانها وخسارتها. ومن المعروف إن الدولاينز حساسة للغاية للتأثيرات البشرية والتي يجب أخذها في الاعتبار عند التخطيط المكاني في المناطق الكارستية من أجل الحفاظ علي قيمتها الطبيعية (Kovacic, G. and Ravbar, N. 2012).

بناءً على نتائج الدراسة الحقلية ومراجعة التقارير والورقات العلمية والمقارنات التي اجريت على المرئيات الفضائية والدراسات التي تناولت المنطقة منذ سبعينيات القرن الماضي تبين أن هناك العديد من الدولاينز قد تم ردمها والبناء عليها، واستخدم بعضها الأخر كمكبات للنفايات والقمامة بأنواعها الصلبة والسائلة، وقد أدى رمي النفايات السائلة بأنواعها في الدولاينز والكهوف إلى انسياب هذه الملوثات إلى داخل النظام الكارستي الأمر الذي أدى إلى تلوث كامل مياه منطقة الدراسة وذلك دليل علي مدى حساسية خزانات المياه الكارستية. بالإضافة إلي أنه توجد دولاينز أخرى تحت الردم و أن عمليات الردم لازالت مستمرة حيث ترمى مخلفات البناء والهدم ومخلفات المصانع بأنواعها والسيارات القديمة والهياكل الحديدية المختلفة الأنواع والأحجام. ومما يزيد الامر سوء انه لا توجد اي عمليات توثيق او ارشيف لهذا النشاط البشري المدمر للبيئية الطبيعية عامة وللمظاهر الكارستية خاصة، وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد أي دراسة عالمية موثقة تقول بأن هناك امكانية استرجاع أياً من الدولاينز أو الكهوف إلى حالتها الطبيعية بعد ما تم ردمها أو ردم جزء منها أو استخدامها كمرمى للنفايات الصلبة أو السائلة ، وفي منطقة الدراسة (فإن هذا الكلام صحيح وينطبق تمام الانطباق) لا يوجد أرشيف يبين إعداد الدولاينز التي تم ردمها أو أنواع المواد التي يقذف بها في هذه الدولاينز والكهوف فلا يوجد أي نوع من التوثيق لكميات المواد والنفايات التي يقذف بها في هذه الدولاينز ومن نافلة القول وبناء علي ما سبق ذكره فلا توثيق لأعداد السيارات التي تقوم برمي النفايات بأنواعها، ولا عدد مرات تردد كل سيارة ولا وزن كل حمولة في اليوم في هذه الدولاينز . كما لا توجد أي رقابة على ذلك النشاط

المدمر لهذا اللاند سكيب البديع ولا نعرف على وجه الدقة عدد الدولاينز والكهوف التي تم ردمها و تعرضت لهذه الضغوط و الممارسات السلبية من قبل الإنسان. (الصور 2 – 3 – 7) توضح بعض هذه الدولاينز التي استخدمت كمكب للنفايات الصلبة والسائلة ، (الصورة 16) يوضح بعض الدولايز التي تم ردمها.

هذا، فقد تبين من تقييم نتائج الدراسة فقدان عناصر رئيسية من لاندسكيب الكارست ، ومع غياب دور الأجهزة الرقابية فإن هذا النشاط البشري اللاعقلاني قد يقود إلى القضاء على ما تبقي من مظاهر لاندسكيب الكارست على المدى القريب ، وبالتالى فإن هذا اللاندسكيب الفريد سوف يضمحل وينـدثر وبضمحلاله واندثاره فإن التنوع الحيوي والغير حيوى في هذا الإقليم سيزول ويصبح أثر بعد عين، ويفقد الاقليم إرث جيولوجى (Geoheritage) وتنوع حيوي كان من الممكن أن يكون مركز جذب تعليمي للطلبة والأساتذة ومادة علمية بكر للبحاث وللاكاديميين وملاذ آمن (haven refuge) لبعض الأنواع من الأحياء والتي تعتبر الهوية والكهوف مكان وبيئة مناسبة للعيش لما تحويه من مناخات صغيرة ومناسبة لمثل هذه الكائنات ومركز جذب للمتنزهين والسياح ومحبى المغامرة.

صورة (1) دولاين المريسي ، لاحظ الردم شبه الكامل بالمخلفات الصلبة بأنواعها

صورة (2) كهف الحبيبي . لاحظ الانهيارات التي طالت سقف الهوة ، رمي النفايات على الجانب الأيمن

صورة (3) كهف بوكرمة . لاحظ النفايات الصلبة في الجانب الأيمن وعلى سطح الماء

صورة (4) كهف سطيرة ، لاحظ البناء إلى جانب الصورة الأيسر

صورة (5) كهف الجيح

صورة (6) دولاين حمد ، لاحظ الزحف العمراني حول البحيرة

صورة (7) عين زيانة - البحيرة الزرقاء ، مكب للنفايات الصلبة

صورة(8) دولاين المقارين ، لاحظ النفايات الصلبة ومخلفات البناء بالإضافة للزحف العمراني الذي يقترب من هوامش البحيرة

صورة(9) دولاين بوحميرة ، لاحظ النفايات الصلبة ومخلفات البناء

صورة (10) دولاين المجذوب لا حظ الزحف العمراني

صورة (11) عين زيانة والبحيرة الزرقاء

صورة(12) فضائية من google earth ستة دولاينز في منطقة الليثي في عام 2001.

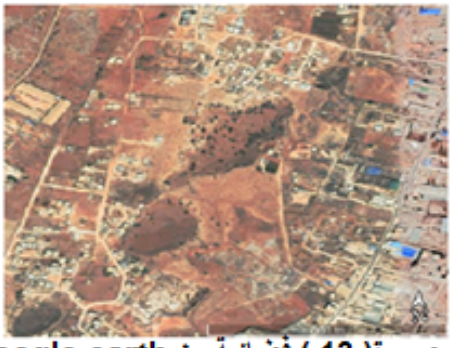

صورة(13) فضائية من google earth خمسة دولاينز فى منطقة الليثى فى عام

صورة (14) دولاين في منطقة بوعطني ، لاحظ عمليات الردم بالنفايات الصلبة

صورة (15) دولاين في منطقة بوعطني ، لاحظ عمليات الردم بالنفايات الصلبة

صورة (16) دولاين الودك ، مرمى للنفايات الصلبة والسائلة

صورة(17) دولاين يقع على طريق بنينا بوهادي (لازال يستغل في الزراعة التقليدية)

صورة (18) دولاين يقع على طريق بنينا بوهادي(لازال يستغل في الزراعة التقليدية

صورة(19) أحدى الدولاين الجافة التي لازالت مستغلة بالزراعة في منطقة بوعطني

صورة (20) دولاين صابر بمنطقة بوعطني يستغل في الزراعة البعلية

صورة (21) دولاين المريسي ، ردم شبه كامل بمخلفات البناء والنفايات الصلبة

صورة (22) جانب من دولاين سليطين رمي المخلفات المختلفة والبناء بالقرب من الحافة

صورة (23) دولاين سليطين ، لاحظ حرق الأرضية والعبث بالاشجار

المراجع

جـودة حسـنين جـودة (1973) أبحـاث فـي جيومورفولوجيـة الأراضـي الليبيـة. منشـورات الجامعـة الليبية.

عـودة، سـميح أحمـد (1984)، هـوات الجبـل الأخضـر جيومورفولوجيـة الهـوات فـي الجبـل الأخضر. الجمعية الجغرافية الكويتية، نشرة ر قم 63.

الحجاجى، سالم (1989) ليبيا الجديدة، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس

أمانـة اللجنـة الشـعبية للمرافـق، التقريـر النهـائي للمخطـط الشـامل لحاضـرة بنغـازي، التقريـر رقم ر . ن .4، الجزء الثاني، مؤسسة دوكسيادس، (1989).

Palmer, A. N., (1977) Influence of geologic structure on ground water flow and cave development in Mammoth Cave National Park, USA. In Tolson, J. S., and Doyle. L., Karst hydrology: International Association of Hydrogeologists, 12th Memoir, pp. 405-414.

Newton, K. E. and Gunn, J. (1987) Development of sinkholes resulting from man's activities in the eastern United States. Circular. U.S. Geological Survey Circular 968. U.S. Government Print Office. doi:10.3133/cir968. hdl:2027/uc1.31210020732440.

Jennings, J.N., (1971) An Introduction to Systematic Geomorphology. Volume 7, Karst. Australian National University Press, Canberra. p.164.

Kranjc, A., (2006) Some large dolines in the Dinaric karst. Speleogenesis and Evolution of Karst Aquifers, Online Scientific Journal, 4 (1), www.speleogenesis.info, 4 pages.

Kochanow, E.W. (1999) Sinkholes in Pennsylvania. Pennsylvania Geological Survey, 4th ser., Educational Series 11, 33 pp.

Gams, I. (2003) Karst in Slovenia in space and time. ZRC, ZRC SAZU, Ljubljana, 516 pp. (in Slovenian with English summary).

Radinja, D. (1987a) Man and karst in the NW part of the Dinaric mountain system – the karst stone walls and enclosures. In: Karst and Man, IGU, Study Group on Man's impact in karst. Ljubljana. 111-122.

Abdelmalik, M. B., El-Moursi, M. E. and Salloum, F. M. (2007) The environmental impact of the karstic features of Ayn Zayanah-Kuwiffia sector, near Benghazi, Libya. Speleologia Iblea, 12, 147-152 Ragusa. Italy.

Beck, B.F. (editor) (1984) Sinkholes: Their Geology, Engineering and Environmental Impact, Rotterdam: Balkema.

Faraj, H. F., Salloum,F., M., Muftah,A., and Bilal, A. A. (2016) Unique dolines field in the area between soluq and msus, ne Libya: origin and distribution. 4th International Symposium Karst Evolution in the South Mediterranean Area 30 May / 2 June 2014.

El Ebaidi,S.K., Muftah ,A. and Al Riaydh, M. (2019) Impacts of multi-pollution sources of groundwater on health and environment in Ras Almingar area, Benghazi-Libya. The Libyan Conference on Chemistry and Its Applications (LCCA 2019), Held in Benghazi on 7 – 9 September, 2019.

Guerre, A. (1980) Hydrogeological study of the coastal karstic spring of Ayn az Zayanah, eastern Libya. In M.J. Salem and M.T. Busrewil (eds.): The Geology of Libya. Vol. II: Second Symposium on the Geology of Libya, held at Tripoli, sept. 16-21- 1978.

Shaltami, O.R., Fares, F., Errishi, H. and EL Oshebi, F. (in press) Isotope Geochronology of the exposed rocks in the Cyrenaica basin, NE Libya. Springer Nature.

McBurney, C.B.N and Hey, R.W. (1955) Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaica Libya. Cambridge.

Kosa, A. (1977) Hydrological Problems in the Ayn Zayanah Karst System, Benghazi, Libya. Proc. 7th Int. Speleol. Congr., Sheffield, England: 275-277.

Sauro, U. (1993) Human impact on the karst of the Venetian Fore-Alps (Southern Alps, Northern Italy), Environ. Geol., 21/3, 115–121,

Ford, D., Williams, P. D. (2007) Karst hydrogeology and geomorphology. Chichester, Wiley, 576 pp.

Rutty P. and Jennings P. (2012) Investigation, Design and Construction in Karst in Geotechnics on Irish Roads, 2000-2010, A Decade of Achievement, 11th of October 2012.

Desio, A. (1939) Studi Morfologic iSull a Libi a Orientale . Miss. Scie . dell a Real Acc. D'Italia , A. Cufra (1931:39) . Vol . 1 1 Roma.

Pavsic, J. (eds.) (2006) Geological terminological dictionary. ZRC, ZRC SAZU, Ljubljana, 331 pp. (in Slovenian).

Bátori, Z., Vojtkó, A., Keppel, G., Tölgyesi, C., Čarni, A. Zorn, M. Farkas, T. Erdő, L., János Kiss, P., Gábor Módra Mateja Breg Valjavec (2020) Anthropogenic disturbances alter the conservation value of karst dolines. Biodiversity and Conservation 29: 503 - 525

Doyel, W. W. and Maguire, F. J. (1964) Ground-Water Resources of the Bengasi Area Cyrenaica, United Kingdom of Libya. GEOLOGICAL SURVEY WATER-SUPPLY PAPER 1757-B. UNITED STATES GOVERNMENT PRINTING OFFICE, WASHINGTON : 1964.

Kosa Attila—Csernavölgyi László (1983) BARLANGOK A LÍBIAI AL AKHDAR-HEGYSÉGBEN. Karszt és Barlang, évf. I—Jl. füzet, p. 35—42., Budapest.

Kovacic, G. and Ravbar, N. (2012) Destruction of dolines: the examples from Slovene Research Abstracts Vol. 14, EGU2012-2407, 2012 EGU General karst. Geophysical Assembly 2012.

Williams, P. D. (2003) Doline. In A. Goudie (Ed.) Encyclopedia of Geomorphology. New York, Routledge, pp. 266–270.

Gams, I., Gabrovec, M. 1999. Land use and human impact in the Dinaric karst. International Journal of Speleology, 28 B, (1/4), 55-70.

Gams, I. (2003) Karst in Slovenia in space and time. ZRC, ZRC SAZU, Ljubljana, 516 pp. (in Slovenian with English summary.

Thornbury, W.D. (1964) Principles of Geomorphology. Eight Print, New York and London.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 166-188، 2021

Research Article

Open Access

الثورات العربية في الألفية الثالثة من المنظور السوسيولوجي (ليبيا أنموذجا)

عبد الناصر شماطه
قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة بنغازي

Doi: https://doi.org/10.54172/tvx08c45

المستخلص: يبدو الحديث عن ثورة الشعب العربي في الألفية الثالثة حديثاً سابقاً لأوانه؛ فالقضية لا تزال أطوارها جارية، ولذلك سنقف في هذه الورقة على الأطر النظرية المقترحة في أدبيات العلوم الاجتماعية، بغية توظيفها في تشخيص الحالة الليبية الراهنة، ونبتغي في طرحنا لهذه القضية تحقيق الأهداف التالية: تحليل وتفسير واقع وآفاق الثورات العربية، والوقوف على حقيقة قضية الشعب الليبي، والتعرف على الوسائل الفاعلة المحلية والدولية للخروج من الأزمة الراهنة. وفي هذا العمل نعتمد على المنهج الوصفي، وتتمثل أهمية هذا المنهج فيما يوفره من بيانات وحقائق ساعدت الباحث على رسم صورة عامة عن موضوع الدراسة، ومرد ذلك أن المنهج الوصفي هو طريقة مناسبة للتحليل والتفسير، والتعرف على هذه الظاهرة، وأسبابها، ودوافعها، ووصفها، ودراسة الظاهرة كما توجد في الواقع. ومن خلال التحليل السوسيولوجي، تمكنا من رصد عدة نتائج من أهمها: أننا أمام ظاهرة اجتماعية تدعوا الباحثين لدراستها والخروج برؤية ونظرية عامة للثورات العربية لما يجب أن يكون عليه الحال بعد هذه الظاهرة الفريدة والمميزة لمجتمعنا العربي عامة والمجتمع الليبي خاصة. كما يجب أن يستند معيار نجاح أو فشل ظاهرة الثورات العربية؛ هو حجم الإصلاحات الاقتصادية، وتوفير فرص العمل، وتوفير الحد الأدنى من الخدمات الأساسية، والتأسيس لمناخ من الأمن والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وتوفير الطمأنينة.

الكلمات المفتاحية: الظاهرة، الثورات، التحليل العربي، الواقع.

Arab Revolutions in the Third Millennium from a Sociological Perspective (Libya as a Case Study)

Abdulnaser Shmata
Sociology Department, Faculty of Arts, Benghazi University

Abstract: Talking about the Arab people's revolution in the third millennium seems premature as the issue is still ongoing. Therefore, in this paper, we will discuss the theoretical frameworks proposed in the literature of social sciences, aiming to employ them in diagnosing the current Libyan situation. Our objectives include analyzing and interpreting the reality and prospects of Arab revolutions, understanding the reality of the Libyan people, and identifying effective local and international means to overcome the current crisis. We rely on the descriptive method, as it provides data and facts that helped the researcher to outline a general picture of the study subject. Through sociological analysis, several key results were identified, including the need for a comprehensive theory for Arab revolutions and the criteria for their success or failure, such as economic reforms, job opportunities, basic services, security, freedom, democracy, and social justice.

Keywords: phenomenon, revolutions, Arab analysis, reality.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

نحن لا ندّعي في هذه المساهمة المتواضعة، أي قدرة على الإلمام الحصري بقضية الثورات العربية في الألفية الثالثة، أو أننا سنقدم عنها كل ما يكفي من التحليل والنقد، إن أقصى ما نطمح إليه هو أن نقدم تحليل سوسيولوجي لانتفاضات الشارع العربي، وذلك من قبيل بحث ومساءلة: أبعاد ودلالات مفاهيم الثورة أو الاحتجاج أو الانتفاض، والعوامل الذاتية والموضوعية لهذا الحراك الثوري العربي، ثم تحديد النتائج المترتبة على هذا الحراك، وما هي مطالبه وآماله ورهاناته الحالية والمستقبلية؟

تعيش معظم المجتمعات العربية منذ العقد الأول للألفية الثالثة، تحت وطأة تحولات وحراك اجتماعي (Social mobility) أطلق عليه عدة مسميات منها: ثورة (Revolution) أو حركات احتجاجية (Protest movements) أو الربيع العربي (Arab Spring) أو التمرد (Rebellion) أو انتفاضة (Uprising) ، ولكن كل هذه المسميات لا تنطبق بنفس الدقة على جميع الثورات العربية بالنظر إلى تباينها واختلاف طبيعتها من بلد إلى آخر ومن ثم صعوبة إدراجها تحت عنوان واحد، وذلك رغم الحقيقة التي لا مراء فيها وهي أن الثورات العربية في الألفية الثالثة تشترك جميعها في أسباب عميقة مؤدية لاندلاعها وهذا سنأتي على ذكره تفصيلاً.

وفي هذه الورقة فإني أفضل شخصياً استخدام وصف وتعبير" الثورات العربية في الألفية الثالثة" لما ينطوي عليه من تحديد للمعنى بعيداً عن المفاهيم الفضفاضة، وربما أيضاً لأن المصطلح يتبنى شيئاً من الحياد في توصيف الأحداث ويظل مفهوم "الثورة" أحد المفاهيم العلمية المتعارف عليها بوصفها تجسيداً لرغبة وطموح الشعوب نحو التغيير، وفتح صفحة جديدة في تاريخها تبتعد فيها عن الأنظمة الديكتاتورية التي فشلت في تحقيق التنمية الحقيقية الواعدة.

المفاهيم والتساؤلات والأهداف والمنهج

يبدو الحديث عن الثورات العربية في الألفية الثالثة– من زاوية ما تحقق أو ما لم يتحقق– حديثاً سابقاً لأوانه في الزمن، فالقضية، لا تزال أطوارها جارية، وإن خفت حدتها، وبالتالي فالحديث عن الإنجازات اليوم قد يحول دون المقاربة الموضوعية للظاهرة، ودون التقييم

السوسيولوجي السليم لتداعياتها، لا سيما من جانب ما تم تحقيقه، وما تعذر إنجازه أو إدراكه لهذا السبب أو ذاك. لكن، وعلى الرغم من هذا التحفظ المنهجي الوجيه في بعض عناصره، فإننا على الأقل نحاول البحث عن رؤى موضوعية لثورات الشعب العربي بعيداً عن أي تجاذبات، وذلك لأنها من أهم القضايا المعاصرة التي تواجه الباحثين في علم الاجتماع بشكل خاص وتحتاج إلى تقديم رؤى نظرية تحليلية تفسر ما يعتري العالم العربي اليوم من أحداث كبرى... مع التركيز بعض الشيء علي المجتمع الليبي كنموذج.

يستند المدخل السوسيولوجي النظري لموضوع الثورات العربية في الألفية الثالثة، إلى طرح مفهوم الثورة وخصائصها، والتساؤلات العامة لموضوع الدراسة، وتبيان لأهم الأهداف التي نبتغي تحقيقها. بعد ذلك لابد من توضيح وتحديد المنهج العلمي المستخدم في هذا العمل.

أولاً: مفهوم الثورة (Revolution):

تعددت التعريفات الخاصة بالثورة واختلفت فيما بينها على محاور التركيز والانطلاق، وقد تمكنا من رصد بعض التعريفات، نستعرض أهم ما ورد فيها على النحو التالي:

1. تشير موسوعة علم الاجتماع للثورة بأنها: التغييرات الجذرية في المجتمع، والتي تعمل على تبديل المجتمع ظاهرياً وجوهرياً من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وإيديولوجية وأهداف الثورة. (الأسود، 2003: 24).

2. والثورة تعني الخروج عن الوضع الراهن وتغييره، وهي ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقاً لأيدولوجية لا ترتبط بشرعية قانونية (تهامي، 2013: 7).

3. أيضاً هناك من يعرف الثورة بأنها: التغيير الأساسي والسريع والداخلي والعنيف في القيم والمبادئ المهيمنة داخل المجتمع وفي مؤسساته السياسية والهياكل الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية والقيادة والنشاط الحكومي والسياسات. أي أنها انهيار النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الموجود وسط محاولات لبناء وتكوين بديل آخر جديد (الشرقاوي، 1993: 1-2).

ومن أهم خصائص الثورات أن اغلبها تكاد تجتمع على أنها تمثل قطاع أكبر من المجتمع ضد فئة أصغر، وغالباً ما تكون هذه الأخيرة هي المستحوذة على القوة السياسية والاقتصادية، والتغيير الناجم عن الثورات يكون سريع ومفاجئ وهو سريع الانتشار بين قطاعات الجماهير. كما تشمل الثورة عملية تغيير اجتماعي وسياسي، ويشمل كذلك نسق القيم والمعتقدات بما يتلاءم والمرحلة الجديدة. ومن خصائصها أيضاً أنها ترتكز على أسس جديدة ومغايرة للنظام القديم لترسيم دعائم بناء جديد على قواعد جديدة (الطيب، 2007: 100).

ومما تقدم نرى أن مفهوم الثورة هو التغيير الكامل لجميع المؤسسات والسلطات الحكومية في النظام السابق لتحقيق طموحات عادلة وحقوق كاملة وحرية ونهضة للمجتمع.

ثانياً: مفهوم الثورات العربية في الألفية الثالثة:

ورد في مختار الصحاح أن، أحدهم عربي وجمعهم عَرَب، وهم أُمة من الناس سامية الأصل، كان منشؤها شبهَ جزيرة العرب، وتتركز أساساً في الوطن العربي بشقيه الآسيوي والإفريقي إضافة إلى وجود أقليات عربية بأعداد معتبرة في الأمريكيتين وفي أوروبا وغيرها.

وحسب نظرية أكثرية الباحثين فإن لفظ "عرب" يعني أهل البادية، والبادية المقصودة هي بادية الشام في جنوب الهلال الخصيب وامتدادها، لتشمل اللفظة شبه الجزيرة العربية برمتها، والتي دعيت منذ الحقبة الإغريقية باسم العربية (Arabia) باللاتينية (طقوش، 2009: 28).

وفي هذه الورقة نقصد بمفهوم الثورات العربية في الألفية الثالثة، الحراك المجتمعي (السلمي وغير السلمي أحياناً)، وهو غير منظم تغلب عليه العفوية والتلقائية والحماسة، ولايحمل مشروعاً سياسياً أو أيديولوجياً بل مطالب اجتماعية، وأسهم ذلك الحراك في إسقاط النظام السياسي بسهولة والتعثر في بناء نظام جديد. وتجسد هذا الحراك في كل من: تونس ومصر وليبيا واليمن وسوريا والسودان، ولايزال هناك حراك شعبي ثوري في كل من: الجزائر والعراق.

ثالثاً: تساؤلات الدراسة

من خلال العرض النظري العام والتحليل السوسيولوجي لقضية الثورات العربية في الألفية الثالثة كموضوع للدراسة، نحاول الإجابة عن عدة تساؤلات أهمها:

1. كيفية تعاطي المنظور السوسيولوجي لماهية تلك الثورات وطبيعتها؟
2. ما طبيعة وأهم العوامل الكامنة وراء اندلاع تلك الثورات؟
3. ما العوامل والأسباب التي أفرزت ثورة الشعب الليبي وتداعياتها؟
4. ما أهم الاستراتيجيات الفاعلة والرؤى المستقبلية للمجتمع الليبي؟

رابعاً: أهداف الدراسة

في طرحنا لهذه القضية ضرورة مجتمعية تتمثل في الوصول إلى مستوى من الوعي والادراك لحجم القضية والأوضاع الراهنة، وحجم التغيرات والتوترات التي أصابت المجتمع، والفهم الحقيقي لطبيعة الأزمة وكيفية التعامل معها بشكل موضوعي. ومن خلال طرح هذه القضية نسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. تحليل وتفسير واقع وآفاق الثورات العربية، من المنظور السوسيولوجي.
2. التعرف على حقيقة قضية الشعب الليبي، والمسؤوليات الاجتماعية تجاهه.
3. التعرف على الوسائل الفاعلة المحلية والدولية للخروج من الأزمة الراهنة.
4. صياغة رؤية علمية لمواجهة الإشكاليات التي تعتري مجتمعنا الليبي اليوم، يأتي على رأسها قضايا: الإرهاب، وانتشار السلاح والهجرة غير الشرعية وحالة الانقسام السياسي والفوضى الإعلامية والمجتمعية التي نعانيها اليوم.

خامساً: المنهج المستخدم في الدراسة:

نقف في هذه الورقة على الأطر النظرية المقترحة في أدبيات العلوم الاجتماعية، بغية توظيفها في تشخيص الحالة الليبية الراهنة، ونركن في هذه الورقة إلى منهجيات متنوعة، تاريخية وتحليلية ومقارنة، وإلى مرجعيات متعددة، تشمل مقاربات نظرية وتحليلات سياسية، فيما نعول،

حين تعوزنا المنهجيات والمرجعيات، على تقديرات وانطباعات تتكئ على خبرة سياسية ومعايشة لصيقة للأحداث الجارية في البلاد.

وهنا نعتمد على المنهج السوسيولوجي الوصفي، وتتمثل أهمية هذا المنهج فيما يوفره من بيانات وحقائق ساعدت الباحث على رسم صورة عامة عن موضوع الدراسة، ومرد ذلك أن المنهج الوصفي هو طريقة مناسبة للتحليل والتفسير، والتعرف على هذه الظاهرة، وأسبابها، ودوافعها، ووصفها، ودراسة الظاهرة كما توجد في الواقع (عقيل، 1995: 76).

المبحث الأول: المنظور السوسيولوجي للثورات العربية في الألفية الثالثة

هناك عدة نظريات سوسيولوجية تطرح رؤى تحليلية للثورات العربية الراهنة، وهي:

أولاً: نظرية التغيير الكلاسيكية Classical Theory of Change

من أهم روادها ابن خلدون (1332- 1406) والذي رغم عامل الزمن، لا يزال فكره يتمتع بمكانة معرفية متميزة؛ ولذلك فإننا نرجع إلى بعض أفكاره ونظرياته، لتكون مدخلاً تاريخياً وتحليلاً سوسيولوجياً لهذه الظاهرة المعاصرة (الثورات).

تنطلق نظرية التغيير الخلدونية من مفهوم جوهري، وهو إن التغيير سنة من سنن الحياة، وأمر حتمي لا مرد له، وبدونه تصبح المجتمعات في حالة سكون، يؤدي إلى الانحلال والتفسخ. وحتمية التغيير أمر طبيعي لابد من حدوثه، ولا سبيل إلى منعه.

وركزت النظرية الخلدونية على مجموعة من العوامل والأسباب التي تؤدي إلى قيام الثورات، جاء في مقدمتها: الظلم، وترف الطبقة الحاكمة، ونهب أموال الناس، وعدم توفير الفرص المناسبة للعيش الكريم لهم، سوف تخلق هذه الظروف تربة صالحة للهزات الاجتماعية، ومنها ظاهرة التغيير الثوري.

يحمل الفكر الخلدوني نفس الفكرة التي ما تزال قائمة في مجتمعنا العربي المعاصر، ومن ثم فإن الإشكالية النظرية التي عالج بها ابن خلدون الظواهر الاجتماعية، تحت ضغط ذلك الواقع الذي عاشه العرب في ذلك العصر، ما زالت تعيش بصورة أو أخرى داخل إشكالية الفكر العربي الراهن (الملاح، 2010: 252)، وهذا أراه مجدياً في تفسير ثورات الشعب العربي الراهنة.

ثانياً: النظرية الوظيفية Functional theory

في رؤيتها السوسيولوجية ترى أن الثورة انحرافاً مرضياً يؤدي إلى خلخلة التوازن في بناء السلطة، وأن الاختلالات الوظيفية يمكن أن تفضي إلى حالة من عدم الاستقرار، وأن التمرد أو الثورة هو استجابة لهذه الحالة بغرض التعديل أو التغيير، وإذا قاومت السلطة هذا التغيير فإن التغييرات تكتسب طابعاً ثورياً. كما ربطت هذه النظرية قضية الثورة بمفهوم القيم، فترى أن النسق الاجتماعي سيواجه صعوبات حين لا تستطيع القيم القائمة تفسير التغييرات في الجوانب البيئية المحيطة، الأمر الذي يتطلب احتياج البيئة المحيطة إلى قيم جديدة تكون لديها القدرة التفسيرية، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التطور أو الثورة (الأسود، 2003: 79).

ثالثاً: نظرية الصراع Conflict theory

هذه النظرية ترى أن الحرمان والاحباطات الذاتية، والصراع بين المصالح المختلفة والمتعارضة أحياناً ضرورة لازمة للتغيير الاجتماعي، ويعتبر ماركس أن الصراع الطبقي هو الموضوع الرئيسي للتاريخ ولا يمكن أن ينتهي إلا بالثورة (الأسود، 2003: 79).

والصراع وفقاً لهذه النظرية هو نتيجة لعامل الإحباط في ظروف الأزمة التي يمر بها أطرافه، وبصفة خاصة عندما تصاب خططهم بالإحباط. وأن الدول التي تحقق فيها الحاجات الأساسية لشعوبها بصورة معقولة تكون أقل استعداداً من الناحية السيكولوجية للصراع والحرب من تلك الدول التي يسيطر على شعوبها الشعور بعدم الرضا أو الضيق. ولذلك فالعنف والميل إلى التدمير إنما يمثلان الناتج التلقائي والحتمي للشعور بالإحباط الذي ينشأ عن الصدمة الناتجة عن خذلان الآمال وغياب التطلعات (مقلد، 1991: 226).

رابعاً: نظرية التغيير المعاصرة Contemporary Change Theory

هناك اتفاق بين علماء الاجتماع المعاصرين على أن التغيير (والثورة أحد مفرداته) حالة مستمرة، تحصل بفعل إرادي، أو غير إرادي، عن قصد، أو دون قصد، بتخطيط مسبق، أو بصورة عفوية تلقائية، أو بحكم الظروف. وقد يكون التغيير في البيئة الداخلية أو الخارجية، بكلّ انعكاساته

السلبية والإيجابية، لكنه، في كلّ الأحوال، من الظواهر التي تتّصف بالديمومة والاستمرار. وفي ذلك إشارة إلى أن التغير مسألة طبيعية، وحقيقة اجتماعية عامة تشهدها كل المجتمعات الإنسانية بجميع ظواهرها ووقائعها (المعجم الوسيط، 2004: 692).

خامساً: نظرية الفوضىChaos Theory

يرى كل من: برودون وكروبوتكين (Proudhon and Kropotkin)، أن الثورات تحاول تحقيق العدالة بواسطة القوة، ولكن الذي يحدث فعلياً هو أن يحل استبداد محل آخر، ومع ذلك فان كل ثورة مهما تفككت وأصابها الإفلاس تدخل على المجتمع قدراً معيناً من العدالة ومن شأن هذه الإنجازات الجزئية أن تفضي في النهاية إلى انتصار العدالة (الكيالي، 1979: 870).

سادساً: نظرية التفاؤل Optimism Theory

طرحت هذه النظرية رؤى مختلفة– اتفق معها كثيراً– اهتمت بتفسير وتحديد الدوافع المؤدية للثورة، وجاءت أهم هذه الرؤى التحليلية التي تقول بأن الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى هي في نهاية الأمر أدوات التقدم الحتمي للبشرية نحو مجتمع تسوده الحرية والاستقلال في الحكم والتناغم الاجتماعي والمساواة (عبد الله، 2012: 186).

المبحث الثاني: العوامل الكامنة وراء الثورات العربية في الألفية الثالثة

في هذا الصدد، حاولنا رصد وإيجاز أهم ما تم الاتفاق عليه من قبل الباحثين، حول الأسباب والعوامل الرئيسة التي أفرزت تلك الثورات، جاء في مقدمتها ما يأتي:

1. القمع والإقصاء: وهو نتاج لاستبداد الأنظمة السياسية، واحتكار السلطة لسنوات طويلة، ففي ظل هذا الإقصاء والقمع لا تدع أمام الناس فرص أخرى للتغيير سوى طريق الثورة.

2. تهميش النخبة المتعلمة: أي سلطة تنتهج التضييق على الحريات العامة، وهمَّشت النخبة المتعلمة في مجتمعها، فهي تفتح أبواب الثورة على نفسها (برينتن، 2009: 167).

3. غياب الإصلاحات: عندما ينعدم الأمل في تغيير الأوضاع المتردية وإصلاحها، والانتهاك المتكرر للحقوق، يكون ذلك سبب رئيس لقيام الشعوب بالثورات.

4. الفساد والبطالة: عندما أصبح الفساد أحد أركان المنظومة السياسية العربية، أدى هذا إلى تردي الأوضاع الحياتية للشعب بغالبية فئاته حيث تنتشر البطالة، وهذا ما أكده هيربرت ماركيوز في نظريته بأن الثورة إنما تقوم بها الفئات التي لم ينجح النظام في إدماجها كالعاطلين عن العمل (عمارة، 2011: 34).

5. قسوة الدولة المعاصرة: الدولة المعاصرة أخطبوط لا يترك صغيرة ولا كبيرة من حياة المجتمع إلا سعى إلى صياغته على هواه وبقسوة أحياناً تكون شديدة. ولذلك فالشعوب بدأت تثور على هذا الأخطبوط بدل الخضوع له والانصياع لأهوائه، وبالتالي يصبح الجو ملائم، لنمو السخط والشقاق الاجتماعي (برينتن، 2009: 167).

6. الفقر وعدم المساواة: في دراسة حديثة توصلت إلى أن الفقر وعدم المساواة من أهم أسباب اندلاع الاحتجاجات في تونس، ثم امتدادها إلى بقية بلدان الربيع العربي (بدوي، 2018).

7. ثلاثية الاستبداد: أسهمت ثلاثية الاستبداد السياسي والاجتماعي والاقتصادي في غياب العدالة الاجتماعية، وتزاوج المال والسلطة، أي تحالف رجال الأعمال والسياسيين، مما أدى إلى تركز رأس المال والعوائد في عدد محدود وقليل على حساب الغالبية، وقد كان مثلث الحرمان السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، بمثابة الأضلاع الثلاثة التي أفرزت ظاهرة الحرمان، والتي بدورها كانت الوقود الحقيقي للثورات العربية في الألفية الثالثة (السكران، 2014).

8. التوريث: يعد هذا خصوصية عربية اعتادها معظم أبناء الشعب العربي في منظومته السياسية القائمة منذ سنوات، وأعتقد أن مشروع التوريث كان هو التوجه العام للأنظمة العربية خاصة بعد تمريره في سوريا، والتمهيد والإعداد له في مصر وليبيا.

المبحث الثالث: المشهد العام للثورات العربية في الألفية الثالثة

أصبح المشهد العام للثورات العربية التي بدأت من تونس في أواخر عام 2010، ثم انتشرت في عدد من المجتمعات العربية، قضيةً أثير حولها الكثير من الأسئلة وأفرزت عديد الإشكاليات، وهذه الحالة المجتمعية دفعت الباحثين صوب اتجاهات عدة، فالبعض انخرط في دعم أفكار وشعارات هذا الحراك المجتمعي، والبعض الآخر اتجه إلى نقده وتفنيده ومساءلته. وهذا– في

رأيي– أنتج معرفة علمية، متسمة بأوفر قدر ممكن من الموضوعية، قادرة على المساهمة في تحليل وتفسير مكونات ومستجدات هذا الواقع الاجتماعي الجديد.

تميزت الثورات العربية، بمظاهر قوية من الاحتجاج والانتفاض والغضب الشبابي والشعبي في مدن عربية عديدة، وذلك من أجل المجابهة للاستبداد والفساد والقهر والتخلف ومصادرة الحقوق، ورفع شعارات التطلع إلى عالم أفضل تسود فيه الحرية والعدالة وكرامة الإنسان، وتبقى الغاية من هذه المساءلة النقدية المذكورة متمثلة، أساساً، في فهم طبيعة ما جرى ومعرفة أهم مسبباته وبواعثه في سياقاتها المحلية وأبعادها الإنسانية، ثم استثمار كل ذلك في محاولة استشراف هادف وموضوعي ما أمكن لما يتوقع أن ينجم عن تفاعلات هذا الحراك الثوري العربي من نتائج سواء في المستقبل المنظور أو البعيد.

وهناك من يرى أن كل الثورات ضد نظام الحكم تشكل ثورات حقيقية طالما كانت تتمتع بتأييد قطاع عريض من الشعب. والتغيير في المجتمعات الإنسانية عامة مشروط بعاملين: الأول موضوعي يتمثل في وصول التناقضات في المجتمع إلى حدود الأزمة, وانقطاع عملية التواصل بين النظام السياسي والجماهير. والعامل الآخر ذاتي، وهو إدراك أبناء المجتمع قيمتهم الحقيقية مؤثرين في حركة المجتمع وصولاً إلى محاولة تغييره (مجموعة من الباحثين، 2011: 42).

وقدم جاك جولدستون (Jack Goldstone)، من جامعة جورج ميسون الأمريكية بحثاً بعنوان: لماذا نعتبر الثورات العربية الراهنة ثورات حقيقية؟ ورأى أن بدايات انطلاق تلك الثورات، تشبه تلك التي حدثت في بلدان الاتحاد السوفيتي القديم، غير أنها ما لبثت أن تحولت إلى ثورات كلاسيكية غير مجدية، ويرجع ذلك للعوامل الآتية:

1. انقسام الطامعين في السلطة بعد إسقاط النظام إلى إسلاميين ومدنيين.
2. وجود انقسام جهوي وعرقي وطائفي وقبلي واسع النطاق في العالم العربي.
3. وجود تدخلات خارجية أساسية في كل بلدان الربيع العربي (بدوي، 2018).

وبرؤية أخرى ذهب جورج لاوسن (George Lausanne) إلى تصنيف الثورات العربية، ضمن إطار الثورات التي اندلعت في أعقاب نهاية الحرب الباردة في عدة مناطق من العالم، وأن

هذه الثورات أدت إلى زيادة ضعف الدولة. ويرى لاوسن أن التركيز على المسألة السياسية في الثورات العربية دون المسألة الاجتماعية، يعني أنها ثورات محدودة النطاق (بدوي، 2018).

ويرى آخرين أن الثورات العربية لم تكتمل مراحلها ولم تنجز كامل أهدافها ولم تستقر بعد، فإن الوقت مازال مبكراً لإعطاء حكماً قاطعاً حول مدى تأثيراتها العميقة في البنية الاجتماعية والنظم السياسية في المستقبل القريب (شحاتة، 2011).

ومما تقدم طرحه يمكن رصد ثلاث اتجاهات، لكل منها قراءته الاستشرافية الخاصة حول إمكانية الثورات العربية على إحداث تغيرات جذرية تقود إلى تحول حقيقي نحو الديمقراطية، سواء على صعيد بلدان الربيع العربي أو المنطقة العربية عامة، وهذه الاتجاهات هي (سلامة، 2014):

الاتجاه الاول: يرى في الثورات الربيع العربي إمكانية حدوث تحولاً ديمقراطياً، لكنه يتطلب جملة من الشروط علما بأنه سيأخذ وقتاً طويلاً، كالثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789 وامتدت حتى 1799، لكنها لم تترسخ مبادئها في عموم أوروبا إلا بعد أكثر من خمسة عقود من الزمن تقريباً أو أكثر. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أيضاً وجود معوقات من شأنها إعاقة عملية الانتقال نحو الديمقراطية، بسلاسة وبسرعة، في بلدان الربيع العربي، أبرزها ما هو متعلق بالبنية الفكرية – السياسية لمجتمعات هذه الأقطار الثائرة.

الاتجاه الثاني: يشاطر الاتجاه الأول في إمكانية حدوث تحول نحو الديمقراطية في العالم العربي، بسبب فعل الثورات الشعبية، ولكن يختلف عن الفريق الأول في المدة الزمنية التي سيستغرقها ذلك التحول، وهناك من ينفي أن تكون ثورات الربيع العربي محتاجة إلى مثل هذا الزمن لاعتبارات متعددة أبرزها: وجود مؤسسات دولة، وجيوش حديثة، ووسائل اتصال متطورة، وفئات المثقفين والطبقات الوسطى، وذلك يرجح الانتقال السريع نحو الديمقراطية.

الاتجاه الثالث: يرى في الثورات والاحتجاجات العربية عدم القدرة على إمكانية صنع أي شكل من أشكال التحول الذي يفضي إلى الديمقراطية، بل أنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير، حيث يرون أن هذه الثورات لا تعدوا أكثر من كونها مؤامرات كونية أو ردات فعل عبثية، إذا أحسن الظن بها، وبالتالي ستقود إلى فوضى مدمرة، ومن غير المستبعد أن تعيد أيضاً إنتاج الاستبداد ثانية لكن بصورة أشد وأقسى وإن كان بشكل مختلف عن ذي قبل.

ووفقاً للاتجاهات التحليلية السوسيولوجية السابقة للثورات العربية في الألفية الثالثة، فإننا أمام عدة سيناريوهات محتملة للحراك المجتمعي العربي الراهن، وهي (عبد الله، 2012: 186):

السيناريو الأول، تشاؤمي: يرى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية في بلدان الربيع العربي؛ لأن كل ثورة واجهتها ثورة مضادة تقف خلفها قوى النظام القديم التي هددت الثورة مصالحها، ونالت من مكتسباتها، وتدخلات خارجية مستمرة، ما ينذر بأن المنطقة سوف تمر بمرحلة طويلة من عدم الاستقرار.

السيناريو الثاني، إصلاحي: تتبلور ملامحه في إدخال بعض الإصلاحات في الأنظمة العربية، وهي النجاح في إزاحة ديكتاتوريات وصلت إلى الحكم عبر موروث ثوري منذ منتصف القرن العشرين، وجاءت بأنظمة منتخبة بأدوات الديمقراطية، صعدت إلى السلطة عبر صناديق الانتخابات، وهذا في حد ذاته من أهم نتائج ثورات الربيع العربي.

السيناريو الثالث، تفاؤلي: ينطوي هذا السيناريو على حدوث نقلة نوعية في حياة الشعوب والمجتمعات العربية تتجه بها إلى دولة المواطنة والقانون والمؤسسات، ويعم البلاد والمجتمعات العربية العدل والأمن والرخاء والتنمية وصيانة الحقوق والحريات العامة.

وأخيراً، نرى بأن الثورات العربية من الممكن أن تفضي إلى تحول ديمقراطي في بلدان الربيع العربي– إن جاز لنا التعبير– والمنطقة عموماً، إذا ما تجاوزت العقبات والتحديات الداخلية والخارجية التي تقف أمامها، وكذلك إذا ما توافرت الشروط والضمانات لصنع ذلك التحول المأمول، وليس مهما أو متوقعاً أن يتم ذلك التحول في فترة قصيرة، ولكن المهم أن يسلك ذلك التحول المسار الصحيح، عبر إقامة نظم ديمقراطية حديثة وفاعلة، تساهم في عملية تغيير واقع الشعوب العربية الى ما هو أفضل.

ولا ريب إذا أفضت هذه الثورات إلى قيام أنظمة ديمقراطية تعددية في الفضاء العربي، تكفل الحريات الأساسية وتضمن العدالة والمساواة، عندها سوف تتوحد أهداف الشعوب العربية وتتماهى تطلعاتها وينمو وعيها بضرورة العمل المشترك والجهود الموحدة والمواقف المنسجمة من أجل إسماع كلمتها وفرض رأيها ومراعاة مصالحها واحترام إرادتها. فقيام الديمقراطية في الفضاء العربي هو الخطوة الأولى نحو بناء كيانات إقليمية متكاملة ومنسجمة وصولا إلى بناء فضاء

موحد، وإقامة مؤسسات اقتصادية وسياسية وأكاديمية تكاملية وفعالة... وإذ ذاك سوف يصبح من الممكن أن تشكل الأمة العربية محوراً وقطباً عالمياً مسموع الكلمة ومهاب الجانب.

المبحث الرابع: المشهد الخاص بثورة الشعب الليبي (2011)

يتبلور المشهد الخاص بثورة الشعب الليبي(2011) في أنه بعد نجاح الثورة في كل من تونس ومصر في الإطاحة برأس النظام قام الليبيون بالثورة على حكم القذافي، والتي بدأت في شكل مظاهرات سلمية غير أن البعض من العسكريين تعامل بعنف شديد واستخدم أسلحة في محاولة لقمع الثورة، مما نتج عنه تحول الثورة إلى "حرب مسلحة " خاصة بعد انضمام أعداد كبيرة من أفراد الشرطة والجيش إلى الثورة الشعبية واستيلاء الشعب على الكثير من الأسلحة من معسكرات الجيش وأقسام الشرطة، وانشقاق العديد من المسؤولين في البعثات الدبلوماسية الليبية في الخارج، وفي 27 فبراير تم تأسيس المجلس الوطني الانتقالي الذي أصبح حكومة الثورة. وتعامل معه المجتمع الدولي وذلك عندما أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم 1973 القاضي بفرض منطقة حظر جوي فوق ليبيا، واتخاذ الإجراءات لحماية المدنيين، وتداعت دول عربية وغربية وأحلاف عسكرية لتنفيذ القرار ألأممي الذي بدأ بتاريخ 19 مارس 2011.

كما نجح الشعب في السيطرة على المدن الساحلية في الشرق ومناطق الجنوب الشرقي وكذلك مدن في غرب البلاد في بداية المظاهرات، لتتحرر بعد ذلك معظم مناطق البلاد وخاصة العاصمة طرابلس في 28 أغسطس 2011... وفي 16 سبتمبر 2011 اعترفت الأمم المتحدة من خلال غالبية الأعضاء بالجمعية العامة بالمجلس الوطني الانتقالي باعتباره الحكومة الوحيدة في ليبيا ليتسلم المجلس مقعد ليبيا في المنظمة الدولية (الصواني، 2013).

واستناداً للمنظور السوسيولوجي التحليلي لمشهد ثورة الشعب الليبي (2011)، رأينا أن نوضح بأن جملة الأحداث سالفة الذكر والتي تطورت بشكل كبير ومتسارع، ولفتت أنظار العالم، واكتسبت القضية الليبية اهتماماً خاصاً، هنا نود أن نقرر بأن كل ذلك كان بسبب جرأة وحماس أبناء الشعب الليبي على النظام الدكتاتوري الذي واجه المطالب بالحقوق المشروعة بالتحدي والإهانة غير المشروعة، وأعلن الحرب وفرضها على الشعب الليبي الذي تسابق أبنائه إلى التضحية من أجل حريتهم ومكتسباتهم، والدليل على ذلك هو العدد الكبير من الشهداء الدين قدموا أرواحهم من أجل وطنهم(المغيربي، والحصادي: 2014)، ولإيضاح البعد التحليلي في هذا الصدد

سوف نستعرض المقدمات العامة لثورة الشعب الليبي (2011)، والعوامل الكامنة ورائها، ومن ثم طرح الرؤى المستقبلية لتلك الثورة.

أولاً: الشعب الليبي والمقدمات الأولى للثورة (2011)

هناك جملة من الأحداث الشعبية الشهيرة في عهد القذافي والتي تعد بمثابة التمهيد للثورة، وقد تم رصد أهمها على النحو التالي:

1. الأوضاع الاقتصادية السيئة، والهزيمة في حرب تشاد عام 1987، اتخذ النظام التسلطي السابق إجراءات تخفف من حدة تسلطه، فأفرج عن عدد هائل من سجناء الرأي، وألغى قوائم الممنوعين من السفر، واتخذ بعض الإجراءات في اتجاه اللبرنة الاقتصادية. غير أنه ما لبث حتى عاد وزج في السجن بنشطاء وحقوقيين، وأعد قوائم جديدة للممنوعين من السفر تضمنت أسماء قديمة، كما أن إصلاحاته الاقتصادية لم تطل اقتصاد الريع ونظام المحسوبية اللذين ظلا باستمرار يغذيان تجاربه السياسية (الصواني، 2013: 44).

2. مجزرة سجن أبو سليم الذي يُعد أكثر سجون ليبيا إحكاماً وتحصيناً، ولا يَخضع لإدارة وزارة العدل الليبية بل يُدار مُباشرة من طرف الأمن الداخلي. وفي عام 1996 قامت أجهزة الأمن الليبية بارتكاب إحدى أكبر المجازر في عهد القذافي ضد المُعتقلين السياسيين، عندما تمرَّد عدد كبير منهم مُطالبين بأن يُحاكموا بشفافية بدلاً من اعتقالهم قسراً وبأن يَحصلوا على ظروف معتقل أقل سوءاً، ونتيجة لهذا فقد أطلقت أجهزة الأمن الليبية حملة يوم 28 يونيو من ذلك العام لقمع التمرُّد داخل السجن، وبذلك بدأت المَجزرة، التي قبضوا خلالها على مئات المُتمردين وقاموا بتصفيتهم جماعياً، ويُقدر عدد ضحاياها بحوالي 1170.

3. وفي عام 1996 نفسه حدثت مجزرة أخرى أصغرَ حجماً في العاصمة طرابلس أيضاً، إذ انتصرَ نادي الأهلي بطرابلس على نادي الاتحاد في إحدى مباريات كرة القدم، فتحمَّسَ مشجعو الأهلي وأخذوا بالهتاف ضد النادي الاتحادي وتأييداً للأهلي، وقد كان وقتها الساعدي القذافي حاضراً في المباراة على المنصة الشرفية، فلم تَرق له هتافات الجمهور لأنه كان عضواً في النادي الاتحادي آنذاك، ولذلك أمرَ قوَّات الأمن بإطلاق النار على المُشجعين فوقعت المجزرة التي

راحَ ضحيتها 20 مدنياً ممن كانوا يَهتفون للنادي الأهلي. وقد تسبَّبت هذه المجزرة بإغلاق نادي الأهلي وتجميد نشاط كرة القدم في كافة أنحاء ليبيا لمُدة ثلاث سنوات كاملة.

4. وفي بنغازي اندلعت أحداث عام 2006 بسبب أزمة الرسوم المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، التي خرج رداً عليها المئات في المدينة في يوم الجمعة 17 فبراير واتجهوا نحوَ القنصلية الإيطالية، وحاولَ المُتظاهرون اقتحام القنصلية فاعترضهم قوَّات الشرطة، وبذلك بدأ الاشتباك بين المُتظاهرين الغاضبين ورجال الشرطة الذي تطوَّر إلى استخدام الرَّصاص الحي وانتهى بمقتل 11 متظاهراً وسُقوط ما لا يَقل عن 35 جريحاً. وبعدَ هذه المجزرة تطوَّرت الأحداث، فاندلعت الاحتجاجات مُجدداً يوم السبت وأحرق المُتظاهرون الغاضبون القنصلية الإيطالية فضلاً عن اقتحامهم لمديرية الأمن في بنغازي، وكانت حصيلة المباني الحُكومية التي أحرقوها في آخر الأمر حوالي 30 مبنى.

5. شهدت مدينة البيضاء في 1 سبتمبر عام 2006 احتجاجاً أثناء احتفال ما يعرف بـــ ثورة الفاتح، وقام بعض المواطنين بالهجوم على عربات بها دبلوماسيين والعقيد القذافي احتجاجاً على الأوضاع الاقتصادية بالمدينة، مما أدى إلى كسر نوافذ السيارات ولم يصاب على أثرها إي شخص .

6. ما عرف بـ "مشروع ليبيا الغد" الذي روج له سيف الإسلام القذافي وبدأت تباشيره عام 2006 بالإفراج عن أعضاء الجماعة الليبية المقاتلة والإخوان المسلمين، وبالوعد بعدد من المشاريع التنموية وبمحاولة تفعيل مؤسسات المجتمع المدني وتوسيع هوامش الحريات المدنية وتأسيس جمعيات حقوقية مستقلة. غير أن هذا المشروع فشل في تحقيق غاياته، بسبب غياب الإرادة السياسية الحقيقية الراغبة في تنفيذه، التي كانت مقيدة بالتفويض الممنوح لصاحبه، ولتبنيه سياسة احتواء الاحتقان بدلا من العمل على علاج أسبابه (المغيربي، والحصادي: 2014).

7. شهدت مدينة يفرن في 24 ديسمبر عام 2008 والتي تعد حاضرة أمازيغ ليبيا احتجاجات كبيرة بعدما قام مجموعة لسيف الإسلام نجل القذافي باقتحام المدينة ومداهمة لعدد كبير من منازل الناشطين حول قضية حقوق الثقافة الأمازيغية مما أثار غضب أبناء المدينة وتم حصار المدينة وقطع الكهرباء والاتصالات عنها وهدد القذافي بقصفها بالطائرات.

ثانياً: لماذا اندلعت الثورة في ليبيا

إن اندلاع الثورة في ليبيا، هو الرغبة في الخلاص من نظام حكم فردي قمعي، مارس كل موبقات الحكم المطلق، واختزل الدولة في شخصه، وبشكل عام تقف جملة من العوامل ساهمت في تجذير الكراهية لنظام القذافي واندلاع الثورة، يمكن أن نوجز أهمها فيما يلي:

1. عدم وجود صورة واضحة المعالم للدولة الليبية، تضاهي الدولة العصرية في المنظومة العالمية، وغياب أي تطور في مؤسسات وأجهزة الدولة.

2. أطلق القذافي العنان لأبنائه، عبر سيطرتهم على الملفات الرئيسة في الدولة، وكأنه يقيم هيكلاً سياسياً غير رسمي بموازاة المؤسسات المترهلة القائمة.

3. الفساد الاقتصادي والمالي، فرغم أن ليبيا دولة نفطية على غرار دول الخليج إلا أن ثمة فارقاً كبيراً في مؤشرات التنمية الاقتصادية والبشرية، ناهيك عن انخفاض مستويات المعيشة لكثير من الليبيين، إضافة إلى ارتفاع نسبة البطالة في مجتمع غالبيته من الشباب.

4. إضعاف المؤسسة العسكرية خوفاً من الاستياء داخلها، وخوفاً من أن تكون أداة التغيير السياسي في المجتمع. وبعد هيمنته على القوى القبلية لجأ القذافي إلى إنشاء هيكل عسكري داخل الجيش يدعى الكتائب الأمنية يقودها أبناؤه وهي أفضل تسليحاً من الجيش نفسه.

5. سيطر القذافي على وسائل الإعلام وسخرها لخدمة أهدافه وأفكاره الخاصة، والكذب على الناس. وذلك بدلاً من الاستفادة منها في نشر التوعية الشاملة؛ ونشر العلم والفضيلة.

6. لم يكن للتعليم دوراً فاعلاً في بناء الإنسان وقدراته ووطنيته، بقدر ما كان موظفاً وممنهجاً من قبل القذافي لخلق أجيالاً هامشية لا تعي مسئولياتها ودورها المجتمعي.

7. تدهور الأوضاع القيمية: إن تركة النظام السابق لم تقتصر على انتهاكات حقوق الإنسان وجرائم الحرب، أو إهدار الأصول الطبيعية والمالية الوطنية، بل طالت المنظومة القيمية الحاكمة في المجتمع الليبي. وعلى حد تعبير عياض بن عاشور، فإن إرساء نظام قيمي جديد نادرا ما يجري إلى تمامه، فهو يبقى دائما قابلا للتراجع والسير إلى خلف، والتبديل لا يكتسب نهائياً، إذ إنه لا يجري على خط سوي، بل يمشي على طريق مليء بالتناقضات والتمزقات والآلام. ويبدو أن

لتغيير المنظومة القيمية الليبية أثماناً باهظة قد لا تقل عن الدم والخراب وأن الليبيين قد بدأوا بالفعل في دفعها (المغيربي، والحصادي: 2014).

ثالثاً: المرحلة الراهنة ورؤى المستقبل

تعيش الدولة الليبية حالة اختلال توازن سياسي واجتماعي واقتصادي وأمني قد يصل إلى حالة انعدام التوازن في بعض الأحيان، وهناك في المشهد الليبي حقائق واقعة بعضها مضيء مشرق وبعضها الآخر يلقي بظلال قاتمة على مستقبل الحياة السياسية ولكنها جميعا معطيات لابد من إدراكها وعدم إغفالها، أولها: إرادة الشعب الليبي ونجاحه الباهر الذي حققه بإسقاطه سور باب العزيزية رمز الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي إيذاناً بانتهاء حقبة مظلمة من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر. وثانيها: إخفاق المجلس الوطني الانتقالي والحكومات المؤقتة في إدارة شئون البلاد خلال المرحلة الانتقالية، ووقوفها عاجزة عن الاستجابة للتحديات القائمة، وعدم قدرتها على التواصل والتفاعل مع متطلبات المرحلة طبقا للأولويات الوطنية. ثالثها: أن حالة اختلال التوازن التي تعيشها ليبيا في المرحلة الراهنة، اذا ما استمرت أو تفاقمت، ستقودنا حتما إلى ما يعرف بالدولة الفاشلة، ومن أبرز مظاهرها عدم بسط سيطرة الدولة الكاملة على إقليمها وفقدان هيبتها، والانفلات الأمني وانعدام الاستقرار، وانتشار السلاح والجماعات المسلحة خارج سيطرة الدولة. وما يجره ذلك من مخاطر حوادث الإرهاب والعدوان المسلح على الأفراد والممتلكات، وحوادث الخطف والسرقة بقوة السلاح، وسيطرة الجماعات المسلحة على ممتلكات الدولة (خصوصاً في العاصمة طرابلس)، وعلى منافذ البلاد الحيوية، من معابر حدودية ومطارات وموانئ بحرية، وبقاء الجماعات المسلحة خارج سلطة الدولة، وقدرتها الفعلية على فرض وجودها والحصول على ما تريده من مطالب ومغانم تحت التهديد المباشر باستخدام القوة والسلاح، وبروز الجماعات ذات الأفكار المتطرفة المتشددة، وتماديها في فرض آرائها بقوة السلاح: هدم الأضرحة ونبش القبور وتهديد النساء على طريقة طالبان أفغانستان.

ويلخص المغيربي والحصادي الحالة الليبية الراهنة في أنها تواجه تحدياتها وعوائق وصعوبات يمكن أن نجملها، دون الجزم بحصرها، في ستة تحديات رئيسة تم تلخيصها في النقاط الآتية: (المغيربي، والحصادي: 2014).

1. الثقافة السياسية الشائهة، وانقسام النخب السياسية .

2. غلبة الميول الإقصائية، وعدم التسامح، وتمزق النسيج الاجتماعي.

3. الأوضاع الاقتصادية المتردية، الفساد المالي والإداري وسوء إدارة الموارد.

4. العوامل الاجتماعية المفرقة، وهشاشة المجتمع المدني، والتطرف الديني.

5. الفشل في التوافق حول قواعد العملية السياسية، والتدخل الأجنبي.

6. ضعف مؤسسات الدولة ، والتشكيك في شرعية مؤسسات المرحلة الانتقالية.

اليوم الشعب الليبي يتفاعل مع أزمته بطريقته الخاصة، ويحتاج إلي جهد كبير سياسياً واقتصادياً حيث أكد جميع الخبراء والمفكرين أنه علي ليبيا أن تستوعب الدروس السابقة للثورات العالمية والعربية... وهناك أيضاً كيفية التعاطي والتعامل مع المجتمع الدولي والأمم المتحدة والشركات النفطية للإفراج عن عشرات المليارات من الأصول والاستثمارات الليبية المجمدة، وكيفية التعامل معها. وكذلك تأمين دخل وإعادة القطاع النفطي ليعود الإنتاج فيه إلى مستوياته السابقة على الثورة والحرب... كذلك العمل على رفع مستوى دخل الفرد اقتصادياً وتحسين الأجور على مستوى قطاعات العمل وهناك أيضاً التحديات الاجتماعية لشعب يجد نفسه في حاجة إلى أن يتم تأهيله وتحضيره للتعبير عن رأيه والانخراط في مجتمع حر بعدما تم كسر حاجز الخوف والترهيب الذي ساد لعقود.

ترتدي المرحلة الراهنة ثياب الخشية على ليبيا من تحديات تشتت الجهود وتبعثر القدرات. وخلال فترة ولاية المؤتمر الوطني، جرت أسوأ ممارسة سياسية، فتيارات الإسلام السياسي، أدارت العمل داخل المؤتمر، بطريقة تعسفية، وهذا أفرز انقسامات ومواقف متباينة راهنة قد أدخلت ليبيا في أجواء مرحلة جديدة، والأسوأ هو ظهور العديد من التنظيمات المتطرفة والإرهابية التي ترتع في الأراضي الليبية دون وازع، وتسعى إلى إعلان الدولة الاسلامية وهذا ما حدث بالفعل، ويخوض على إثرها اليوم أبناء ليبيا تحت لواء جيش وطني وليد يحارب الإرهاب ونجح في القضاء عليه في مدينة بنغازي وبعدها استعاد الجيش مدينة درنة من قبضة الإرهابيين، واليوم جميعنا نقف وراء دعم المؤسسة العسكرية لأنها الضامن الوحيد لاستعادة الدولة للقضاء على الإرهاب، وهي تسير بخطى حثيثة نحو هذا الهدف.

بجملة مختصرة الحالة الليبية الراهنة تحتاج لتحقيق ثورة في العقول والنفوس والوعي والسلوك، وتلك هي الثورة الحقيقية التي لا يكون فيها إصلاح النظام أو إسقاطه سوى خطوة ومحطة. وهذا الاتجاه نابع من حقيقة مؤداها: بأن الأمة التي كان لها تاريخ مثل التاريخ العربي والإسلامي، وأنجبت قادة وعلماء ومفكرين ومبدعين متميزين في شتى المجالات، هي أمة قادرة باستصحاب تجربتها الحضارية التاريخية، لمعالجة قصور وخلل واقعها المعاصر وحاضرها الراهن، وحسن صناعة مستقبلها (الحمد، 2011).

والأهم أن يكون هذا التغيير بالتدريج، فلا يمكن أن تحقق الثورة كل شيء بين ليله وضحاها، فالتغيير المفاجئ في المجتمعات العربية غير مناسب، ولا يخدم مصالح الشعوب العربية، لأن أي بلد عاش أهله لعقود طويلة تحت الاستبداد والقمع والفساد، في ظل حكم نظام شمولي (كما هو الحال في المجتمع الليبي)، لا يمكن أن يستوعب تغييراً مفاجئاً عنيفاً وسريعاً.

الخاتمة

بعد العرض السابق، نخلص إلى أن الثورة وليدة سياق اجتماعي خاص بكل مجتمع، وتبقى كل ثورة متفردة عن غيرها من خلال أسبابها وظروفها الخاصة، لكن يجدر بالذكر أن اجتهادات المفكرين من مختلف التيارات أسهمت في فهم الثورة كظاهرة إنسانية تجسد حالة من التغيير أصابت عديد الدول العربية، والتي لا تزال تعيش في مخاض تلك الثورات، ولم يستقر المشهد السياسي في معظم تلك الدول.

والمجتمع الليبي كنموذج أمامه مشوار صعب ولكنه ليس مستحيلاً، وهنا يجب تشكيل حكومة وطنية، ووضع دستور يعكس ثقافة وقيم المجتمع الليبي، كما أن بناء دولة المؤسسات المدنية تُعَد من الأولويات؛ لأن هذا الموضوع يحتاج من أصحاب الخبرات المخلصين وتضافر الجهود للقيام على تحقيقه بالشكل المناسب الذي يحقق طموحات الشعب الليبي في الحرية والرقي والازدهار. وما يبعث الأمل في مستقبل المجتمع انطلاق الجيش الوطني الوليد من بنغازي نحو جميع المدن الليبية ليستعيدها لحضن الدولة، ويتعهد بمواجهة الجماعات الإرهابية والمتطرفة.

ومن خلال التحليل السوسيولوجي السابق، تمكنا من رصد جملة من النقاط يجب الوقوف عليها ومراعاتها من أجل تشخيص الحالة العربية الراهنة وعلاجها:

أولاً: أننا أمام ظاهرة اجتماعية تدعوا الباحثين والمفكرين والأكاديميين لدراستها والخروج برؤية فكرية ونظرية عامة للثورات العربية لما يجب أن يكون عليه الحال بعد هذه الظاهرة الفريدة والمميزة لمجتمعنا العربي عامة والمجتمع الليبي خاصة.

ثانياً: يجب أن يستند معيار نجاح أو فشل ظاهرة الثورات العربية؛ هو حجم الإصلاحات الاقتصادية، وتوفير فرص العمل، وتوفير الحد الأدنى من الخدمات الأساسية، والتأسيس لمناخ من الأمن والحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وتوفير الطمأنينة.

ثالثاً: الواقع الليبي المعاصر والمتأزم يتطلب خطوات نهدف من خلالها أن نساهم في الخروج من الأزمة الراهنة، ونقترح في سبيل ذلك الخطوات الآتية:

1. تقديم رموز وقيادات ليبية مخلصة لقيادة المسار الوطني، تتجاوز الخلافات الشخصية، وتقطع الطريق على محاولات التمزيق والتفتيت، وعلى الحروب والأزمات الداخلية.

2. امتلاك القدرة على تحييد العامل الخارجي في التأثير على صناعة القرار الوطني.

3. تحقيق نجاحات ملموسة لدى المواطن العادي، وخصوصاً في مسارات الأمن والاقتصاد ومكافحة الفساد وصيانة الحريات.

4. تعميق التفاعل بين مختلف مكونات المجتمع، وذلك من خلال تفعيل الحراك الثقافي والسياسي، والحوار الوطني الديمقراطي، عبر إعادة إنتاج وتشكيل الجمعيات والمنظمات وهيئات المجتمع المدني في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، في مناخ من الحرية والقانون.

5. العمل على احترام الدولة ومساعدتها في كافة الجوانب الحقوقية والمادية والمعنوية، وأفسح المجال أمامها لرصد كافة الانتهاكات التي تقع لحقوق الانسان.

6. الاهتمام بدرجة عالية بالتنمية البشرية، وخاصة مسألة تعميم التعليم والتقدم العلمي والتقني، ومكافحة البطالة، وتمكين المرأة من أن تأخذ دورها كاملاً في عملية التنمية.

7. معالجة الأزمات الاقتصادية المتفاقمة، وتحسين شروط الإنتاج الاقتصادي والزراعي، وتحديث بنيته الأساسية عن طريق إقامة المشاريع الإنتاجية الكبيرة.

8. المصالحة الوطنية تقوم على أساس معالجة تجاوزات حقوق الإنسان وبناء خطوات مستقبلية من أجل تخطي المراحل المأساوية في ماضي الشعوب وتاريخها.

9. اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة للإصلاح السياسي، وإعادة تنظيم الحياة السياسية على قاعدة الديمقراطية، والعمل على إنهاء كافة مرتكزات النظام الشمولي.

10. القدرة على التعاطي الإجرائي مع قضايا التعليم والشباب، والمستقبل.

والأهم أن يكون هذا التغيير بالتدريج، فلا يمكن أن تحقق الثورة كل شيء بين ليلة وضحاها، فالتغيير المفاجئ في المجتمعات العربية غير مناسب، ولا يخدم مصالح شعوبها، لأن أي بلد عاش أهله لعقود طويلة تحت الاستبداد والقمع والفساد، في ظل حكم نظام شمولي (كما هو الحال في المجتمع الليبي)، لا يمكن أن يستوعب تغييراً مفاجئاً عنيفاً وسريعاً، وقد أشار علم الاجتماع إلى هكذا مجتمعات عاشت الهوامش المتاحة، فأنها بحاجة إلى تغيير هادئ علمي مدروس، بحيث يستفاد من كل عملية لتوسيع هذه الهوامش. فنحن بحاجة إلى إصلاح النظام الاجتماعي، وبناءه على أساس المساواة والعدالة وتحقيق الرفاهية الاجتماعية.

المراجع

الأسود، شعبان الطاهر (2003). علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الحمد، جواد (2011). ملامح النظام العربي ما بعد الثورات، تقرير صادر عن مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن– عمان(http://www.mesc.com.jo).

السكران، جابر (2014). الثورة.. تعريفها.. مفهومها.. نظرياتها، (جريده الجريدة ، تصدر عن الحركة الاشتراكية العربية: (http://www.aljaredah.com).

الشرقاوي، باكينام رشاد (1993). الظاهرة الثورية والثورة الإيرانية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

الصواني، يوسف(2013). ليبيا الثورة وتحديات بناء الدولة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

الطيب، مولود زايد (2001). علم الاجتماع السياسي. ليبيا: دار الكتب الوطنية.

المغيربي، زاهي ، والحصادي، نجيب (2014). التحول الديمقراطي في ليبيا: تحديات ومألات وفرص، مركز البحوث والاستشارات– جامعة بنغازي، بحث مقدم لأعمال ندوة حول الانتقال الديمقراطي، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات– تونس، مارس 2014.

الكيالي، عبد الوهاب (1979). الموسوعة السياسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الأول.

الملاح، هاشم يحيى (2010). الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل, دار الكتب العلمية, بيروت.

بدوي، أحمد موسى (2018). ثورات الربيع العربي على طاولة البحث السوسيولوجي العالمي، المركز العربي للبحوث والدراسات، الاثنين 15 أكتوبر، متاح على موقع:http://www.acrseg.org

برينتون، كرين (2009). تشريح الثورة، ت: سمير الجلبي وغازي برو، مشروع كلمة للترجمة: أبوظبي.

تهامي، مروة (2013). المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا 2011 دراسة أنثروبولوجية ميدانية مقارنة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

سلامة، عبد الغني (2014). الثورات العربية بين الإرادة الشعبية ونظرية الفوضى الخلاقة، مؤسسة الحوار المتمدنhttp://www.ahewar.org

شحاتة، دينا (2011). محركات التغيير في العالم العربي، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الاهرام– العدد184– إبريل.

طقّوش، محمد سهيل (2009). تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت – لبنان: دار النفائس. صفحات صفحة 4.28–465–18–9953–978 ISBN .

عبد الله، إيمان محمد (2012). الشباب والحركات الاجتماعية والسياسية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عقيل، حسن عقيل (1995). فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات :E1 GA :فاليتا– مالطا.

عمارة، محمد (2011). ثورة 25 يناير وكسر حاجز الخوف، القاهرة: دار السلام للطباعة.

كرازين، يوري (1975). علم الثورة في النظرية الماركسية، ت: سمير كرم، بيروت: دار الطليعة.

مجموعة من الباحثين، (2011). الربيع العربي إلى أين؟, مركز دراسات الوحدة العربية, ط1، بيروت.

مجموعة مؤلفين، (2004). المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط 4.

مقلد، إسماعيل صبري (1991). العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات " القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 189-216، 2021

Research Article

Open Access

المسارح الإغريقية والرومانية (نظرة عامة)

محمد مفتاح فضيل عبد الكريم، حنان فرج عبد الرازق الهبودي
قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/p0dxyn81

المستخلص: يهدف هذه البحث إلى إعطاء فكرة عامة عن المسارح الإغريقية والهللينستية والرومانية من خلال أجراء دراسة تطبيقية على مجموعة من المسارح الموجودة بمواقع التواصل الاجتماعي؛ لإلقاء الضوء على أنواع المسارح، وتقنية أدواتها وخامتها، وأساليب صناعتها خلال العصر الإغريقي والهللينستي والروماني في متحف قورينا. اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وتمثل المنهج التاريخي في تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها المسارح في بلاد الإغريق وروما، بينما تمثل المنهج الأثري الوصفي في وصف شكل المسارح والرموز والصور التي وردت على سطحها، في حين تمثل المنهج التحليلي في تحليل الإشارات والصور والآراء التي توصل إليها الدارسون السابقون في هذا الموضوع.

الكلمات الرئيسية: المسرحة، العصر الإغريقي والروماني، مقبض المسرح، فوهة المسرحة، قاعدة المسرحة.

Greek and Roman Amphitheaters (An Overview)

Mohammed Miftah Fadil Abdul Karim, Hanan Faraj Abdul Razzaq Al-Haboudi
Department of Antiquities, Faculty of Arts, University of Omar Al-Mukhtar

Abstract: This research aims to provide a general idea about Greek, Hellenistic, and Roman amphitheaters through a practical study conducted on a group of amphitheaters found in social media platforms. The study sheds light on the types of amphitheaters, their tools and materials, and manufacturing methods during the Greek, Hellenistic, and Roman eras at the Cyrene Museum. We followed the historical descriptive-analytical method, where the historical method identified the time period in which amphitheaters appeared in Greece and Rome. The archaeological descriptive method described the shape of the amphitheaters, the symbols, and images on their surface, while the analytical method analyzed the signs, images, and opinions reached by previous researchers in this field.

Keywords: Amphitheater, Greek and Roman era, Amphitheater handle, Amphitheater nozzle, Amphitheater base.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

ظهرت المسارج أول الأمر في مصر وبلاد الرافدين خلال الألف الثالثة قبل الميلاد، وانتقلت منها إلي بلاد الإغريق في القرن السادس قبل الميلاد عن طريق الحضارة المينوية في جزيرة كريت، في حين دخلت إلي مدينة روما عن طريق المستعمرات الإغريقية في جنوب ايطاليا خلال القرن الثالث قبل الميلاد.

تعددت أنواع المسارج الإغريقية والهللينستية والرومانية، وتنوعت موادها وأغراضها واستخداماتها ما بين الإضاءة في الأماكن الخاصة والعامة والطقوس الدينية والأثاث الجنائزي، فظهرت مسارج على شكل طبق أو قمعية أو ذات أشكال دائرية أو كمثرية أو اسطوانية، بعضها لها فتحة للوقود، وأخري ذات فتحة للوقود وفتحة للفتيل، وثالثة لها فتحتان للوقود و التهوية وأخرى للفتيل في نهاية انف المسرجة.

عليه سنقوم بأخذ صورها، ووصف أشكالها وزخارفها وتحديد أحجامها وأماكن استيرادها ومحاولة تأريخها وتصنيفها؛ ليتم من خلالها تعريف المسارج وتحديد التاريخ الحقيقي لبداية صناعتها في بلاد الإغريق وروما، ومعرفة أنواعها ووظائفها واستخداماتها، والمواد التي صنعت منها، وتقنية صناعتها، ومواد الوقود المستخدمة في عملية الإضاءة، وتحديد أماكن وطرق صناعتها. وتطور أشكالها وزخارفها خلال العصر الإغريقي والهللينستي والروماني.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد تاريخ ظهور المسارج في بلاد الإغريق وروما، ومعرفة أنواعها، والمواد التي صنعت منها، ومادة الوقود المستخدمة في عملية الإضاءة، وتحديد أماكن وطرق صناعتها، ومعرفة التاريخ الحقيقي لبداية صناعتها، وأسباب وضعها في القبور والمعابد.

أهمية البحث:

للتعريف بالمسارج وأهميتها، وأيضاً المواد التي صنعت منها ومراحل تطورها، وأشكالها، وطرق صناعتها، وأيضاً أهم الموضوعات التي صورت عليها.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إعطاء فكرة عامة عن المسارج الإغريقية والهللينستية والرومانية من خلال إجراء دراسة تطبيقية على مجموعة من المسارج؛ لإلقاء الضوء على أنواع المسارج، وتقنية أدواتها وخاماتها، وأساليب صناعتها خلال العصر الإغريقي والهللينستي والروماني.

محاور البحث:

تم دراسة البحث من خلال المحاور التالية: تعريف المسرجة وأهميتها، وتقنية صناعة المسارج، وطرق صناعة المسارج عن طريق العجل أو القالب، ووظائف المسارج واستخداماتها، وتطور أشكالها خلال العصر الإغريقي والهللينستي والروماني. والموضوعات المصورة على المسارج مثل المشاهد المعبرة عن الحياة اليومية، والموضوعات النباتية، والموضوعات التي تمثل أشكال الحيوانات والطيور.

منهجية البحث:

اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، وتمثل المنهج التاريخي في تحديد الفترة الزمنية التي ظهرت فيها المسارج في بلاد الإغريق وروما، بينما تمثل المنهج الأثري الوصفي في وصف شكل المسارج والرموز والصور التي وردت على سطحها، في حين تمثل المنهج التحليلي في تحليل الإشارات والصور والآراء التي توصل إليها الدارسون السابقون في هذا الموضوع. ومن هنا تم تقسيم البحث إلي عدة مباحث:

المبحث الاول:

تعريف المسرجة وأهميتها

تعرف المسارج "المصابيح" في اللغة العربية بأنها المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل، وجمعه سرج، والمسرجة بالفتح التي يوضع فيها الفتيلة والدهن (ابن منظور، 1992: ص 228)، في حين تعرف في اللغة الإغريقية باسم ليخنوس ***Λιχνοι*** بينما تعرف في اللغة اللاتينية باسم لوكرينا ***Lucerna*** (Chapot, p469)، أي الصحن الذي يخرج منه النور بواسطة الفتيلة (سمياوي، 2017– 2018: ص10)، وله أهمية كبيرة كونه مصدراً مهماُ للضوء منذ أقدم العصور (ذياب، 2009، ص30). حيث كانت وسيلة الإضاءة والإنارة الأكثر شيوعاً في بلاد الإغريق، فهي الأكثر استخداماً عند الفقراء والأغنياء على حداً سواء، على الرغم من وجود العديد من وسائل الإضاءة الأخرى (الورفلي، 2017: ص4). وربما وصل هذا الاختراع عن طريق الحضارة المصرية حيث وصف (Herodotus, ii, 62) المسارج المصرية بأنها على هيأة صحن صغير، أو عن طريق كريت حيث ظهرت في الحضارة المينوية، والحضارة الميكينيه، وظهرت في أواخر القرن السابع ق.م في أثينا ***Athena*** وأيونيا a***Aioni*** (الهدار، 2006: ص435)، وتبوأت مدينة أثينا مركز الصدارة في إنتاجها وتصديرها (الهدار، 2006: ص 435).

وعندما اخترعها الإنسان كانت بشكل بدائي، فظهرت أهمية هذا الابتكار في المساعدة على الرؤية أثناء الليل، حيث ذكر الشاعر (Martial, xiv-xlii,xxxix,xl,xli) بأن المسرجة كانت توضع في مشكاة خلال السير في الأماكن المظلمة. كما أنها تضفي البهجة والجمال على الطقوس الدينية والجنائزية والحياة الخاصة والعامة.

كما تعد المسارج أكثر الآثار اكتشافاً في أنحاء العالم و أوفرها عدداً في المتاحف، فهي غنية بأشكالها وزخارفها مما جعل العلماء يتناولونها بالدراسة، ويعطونها اهتماماً بالغاً في جميع العصور؛ لأنها تلقي الضوء على الحضارة الإنسانية خاصة في مجال النشاط التجاري في العصور المبكرة والعلاقات الحضارية التي تربط معظم أجزاء المعالم القديمة، فهي استخدمت للإنارة سواء في المنازل أوالحمامات أو المحلات أو الشوارع أو المسارح (الهدار، 2006: ص437).

كما كانت من الأشياء المهمة ضمن الأثاث الجنائزي، ولكنها ليست قاعدة ثابت في كونها موجودة في كل مقبرة، وخير مثال على ذلك قبور تاوخيرا وكيريني التي لا توجد في بعضها أي مسارج وأيضا لا يمكن وجود أي تفسير منطقي لوضعها في القبور ربما كانت ملكاً للشخص الميت، أو تنير دربه في العالم السفلي، ولهذا كانت تدفن معه، ومن المؤكد أن وضعها في القبور كانت له أهداف رمزية أو دينية (الهدار، 2006: ص 437) وربما كان ذلك لاعتقادهم بوجود حياة ثانية بعد الموت (سمياوي، 2017–2018: ص12).

وترجع أهميتها إلي أنها شائعة الاستعمال بكثرة في الحياة اليومية، وتستعمل لفترة قصيرة لأنها تصنع من مواد متنوعة ورخيصة الثمن ومن أكثرها شيوعًا الفخار، وبالتالي فهي سهلة الكسر فيلقى بها بعيداً ويقتنى غيرها بدون مشقة.

وتعد المسارج وسيلة مهمة للتأريخ أكثر من الفنون الأخرى التي يندر العثور عليها، فهي تلعب دوراً مهماً في الدراسات الأثرية والتاريخية، وتشكل مصدراً مهماً من مصادر الآثار المادية، حيث تسلط خواصها المتعددة الضوء على جوانب فنية وتقنية، نظراً للتطورات التي طرأت عليها من حيث الشكل والحجم، كذلك لما تحمله من زخارف وأختام كل منها واكب فترة زمنية مختلفة (شاهين، كلزة، 2009: ص98).

تقنية صناعة المسارج:

أسفرت الحفائر التي أجريت من قبل البعثات الأثرية العاملة في ليبيا عن وجود عدد كبير من المسارج وشظاياها المستعملة المصنوعة من الفخار و البرونز أو بعض المعادن الأخرى والتي تعود لعصور مختلفة كالعصر الإغريقي والهللينستي والروماني، والبيزنطي، وكذلك الإسلامي، ومنها المستورد أو المحلي. وخير مثال على ذلك أربعة وتسعون مسرجة تم العثور عليها من قبل بعثة جامعة اوربينو الإيطالية في مدينة شحات أثناء عمليات التنقيب بمعبد ديميترا في وادي بلغدير عام 2002–2003م (لوني، 2017: ص ص 304–305). وكانت مقاييسها تتراوح بين 9سم و 12.5سم. وكلها تتكون من جسم مغلق وخزان مزخرف بحزام بارز حول القمة المقعرة، وبه انخفاض يتوسطه ثقب التغذية، ومقدمة المسرجة اسطوانية ونهايتها مدببة وبها ثقب بيضاوي، والقاع مسطح والمقبض يتكون من طرفين ذات شكل دائري (Luni, 2006: p150).

صمم الفنانون مسارج بسيطة، ومع مرور الزمن تفننوا في صناعتها وإتقانها؛ لأنها تعد الوسيلة الوحيدة والأكثر شيوعاً للإنارة على الرغم من وجود العديد من وسائل الإنارة الأخرى والتي سبقت صناعة المسارج كالمشاعل مثلا.

فالمسرجة عبارة عن وعاء صغير الحجم مصنوع من الفخار أو المعدن شكل(1)، يصدر منه الضوء عن طريق فتيلة مبللة بالزيت من خزان يحتوي على الزيت، ومن فوهة أو أكثر منطلقة منها فتيلة واحدة، وهناك عدة أشكال أخرى لها أكثر من فتيلة خاصة باشتعال المسرجة لكي تسمح بإطالة مدة الإضاءة (Toutain ,1904: p1232)، حيث ذكر (,Marial, xiv- xlii, xxix xl, xli بأنه توجد مسارج بها ثلاثة فتيلات (وقاعدتها تكون مسطحة أو مقعرة، وفي المساحة الخارجية من جهة الوجه توجد فتحة أو فتحتين بأبعاد مختلفة واحدة للتعبئة وواحدة للتهوئة إلى جانب ذلك غالبا ما نجدها مزودة بمقبض صغير على شكل حزام حلزوني يوضع أفقياً أو عروة مصمتة عادية أو مثقوبة أو مقبض كبير على شكل مثلث أو مسمار طويل يثبت في جدار الحجرة (لوني، 2017: ص169). وللمسرجة أجزاء تحدد شكلها من عصر إلى أخر، ولكل جزء وظيفة معينة، يستطيع من خلالها الدارسون تتبع تطور المسارج من الناحية التقنية والفنية، وبالتالي تصبح عملية تأريخها بدقة عملية سهلة ويسيرة. ويمكن تلخيصها في الأجزاء التالية:

1. الخزان أو البدن: وهو الجزء الخاص بحفظ الزيت أو أي مادة دهنية، وشكله يشبه الإناء، وله أشكال متنوعة كالدائري والاسطواني والكمثري، وعادة ما يحمل الزخارف والرسوم في جزئه العلوي (ذياب، 2009: ص31).
2. الفوهة أو فتحة الفتيل: عبارة عن أنبوب أو أنف قصير أو طويل بارز للأمام و ملتصق ببدن المسرجة ومرتفع قليلا عنها وينتهي بفتحة الفوهة. وهو مكان وضع الفتيلة، وبعض المسارج بها أكثر من فوهة، وتكون في المسرجة المفتوحة واسعة وتأخذ شكل بدن المسرجة، بينما في المسارج المغلقة صغيرة مقارنة بحجم وشكل المسرجة (ذياب، 2009: ص31).
3. المقبض: عادة ما يكون مكانه مقابل لموضع الفتيل، وهو مكان وضع السبابة على المسرجة ويساعد على حملها أثناء التنقل، وله عدة أشكال منها ما هو على هيأة القوس أو حذوة الفرس أو عروة مثقوبة أو عروة مصمتة (ذياب، 2009: ص31).
4. الشريط: يعلو الصحن ويفصل بين الصحن والحافة، وهو خاص بالزخارف

5. الطوق: عبارة عن دائرة أو دوائر تفصل الشريط عن الصحن
6. القرص: يستخدم للزخرفة ويحتوي على ثقب أو ثقبين للوقود التهوئة
7. فتحة الزيت: وغالبا ما كانت دائرية الشكل، وهي موضع تزويد المسرجة بالوقود
8. ثقب التهوية: يستخدم لإبقاء الفتيلة مشتعلة، و لدفع الفتيلة للوراء
9. القاعدة: الغاية منها تثبيت المسرجة على الأرض، وقد تكون دائرية مرتفعة عن الأرض أو مسطحة على شكل الإناء أو مقعرة لتساعد على الارتكاز (سمياوي، 2017– 2018: ص ص13–14). وتحمل نقوشا باللغة الإغريقية أو اللاتينية للإشارة إلى اسم الصانع أو مكان ورش الصنع.

طرق صناعة المسارج:

أما فيما يتعلق بصناعة المسارج فنجدها في الغالب مصنوعة من الفخار أو الطين المشوي أو معدن البرونز الذي ظهر في العصر الروماني، وكانت مادة الصنع تشير إلي حالة المتوفى الاجتماعية ووضعه المادي، لان مادة البرونز كانت باهظة التكاليف، لذلك يصعب على الفقراء اقتنائها بسهولة. وهى متعددة الأشكال والأحجام، وتطورت صناعتها متأثرة بتطور صناعة الأواني الفخارية، حيث تم صنعها باختيار نوع جيد من الطين اللزج، وتتم عملية العجن بالأرجل أو باليدين مع إضافة بعض المعدلات الأخرى التي تأتي بعدها مرحلة التصنيع وفقاً للشكل الذي يرغب به الصانع.

الطريقة الأولي :

تتم باستعمال الدولاب أو العجلة (شاهين، والكلزة، 2009: ص53) ويطلق على هذه الطريقة تسميه Lamps Tournees ويكون الصنع على مراحل أي يصنع البدن منفرداً، ثم يصنع الأنف منفصلاً، بعدها يصنع المقبض ومن ثم يقوم بتجميع كافة الأجزاء ويلصقها بالبدن ليحصل في الآخر على مسرجه متكاملة (الهدار، 2006: ص436).

الطريقة الثانية :

ظهرت هذه الطريقة في العصر الهللينستي خلال القرن الثاني قبل الميلاد، و تعتبر من أهم طرق صناعة وتشكيل المسارج، وأكثرها انتشارا وتتم باستعمال القالب (Alhassan and Hill, 1986, p164) وتعرف باسم Lamps Mournees ويكون الصنع فيها على مراحل، حيث يجهز قالب من مادة طينية أكثر صلابة على أن يكون من جزأين جزء علوي وبه تفاصيل وزخرفة الجزء العلوي من المسرجة، وجزء سفلي به تفاصيل الجزء السفلي، حيث يقوم الصانع بوضع العجينة الطينية اللينة في كل جزء ويضغط عليها بأصابعه حتى تطبع فيها التفاصيل والزخرفة التي يحملها القالب، بعدها يقوم بعمل فتحتي الزيت والتهوئة ثم الفوهة، شكل (2).

بعد ذلك يضع القوالب فوق بعضها البعض ويقوم بإخراج الشكلين من القالب ويلصقهما ببعضهما بواسطة طينة سائلة من نفس النوع المستخدم في عملية الصب، ثم يقوم بصقل المسرجة وإزالة الزوائد منها فيحصل في النهاية على مسرجة متكاملة توضع في الشمس حتى تجف كلياً لتأتي بعدها المرحلة الأخيرة والتي يتم فيها وضع هذه المسرجة في الفرن وبعدها تكون جاهزة للاستعمال (شاهين، كلزة، 2009: ص ص57– 58) . ويلجأ الصانع إلى استخدام القالب بهدف إنتاج كميات كثيرة وبنفس الشكل لتلبية الطلب المتزايد عليها في السوق المحلية والخارجية.

وكانت العناصر اللازمة لعملية الإنارة تتمثل في إناء للوقود مصنوع من الفخار أو الطين المشوي أو معدن البرونز، إضافة إلي فتيل الوقود ***Ελλιχνος*** (الشلماني، 2010: ص439) الذي كان يصنع في العادة من مواد ليفية كالكتان (الذي يعطي ضوءاً أكثر ودخان اقل) (ذياب، 2009: ص30)، أو نبات الخروع أو من الألياف النباتية التي تسمح بانتقال الوقود من الإناء إلى رأس الفتيل وذلك بامتصاصها للزيت بواسطة الخاصية الشعرية. أما الزيوت المستخدمة في عملية الإضاءة فإن زيت الزيتون هو الوقود الأساسي منذ العصر الإغريقي والهللينستي والروماني (Bailey, 1972: p10).

واستعمل الفقراء إلي جانب زيت الزيتون زيوت أخرى نباتية أو دهنية حيث لا تسمح ظروفهم المادية بشراء زيت الزيتون باهظ الثمن (Mateu, 1964: pp173- 181)، وأشار بلينوس Plineإلي أنه كانت تتم تعبئة خزان المسرجة بالزيت والملح للحصول على أطول مدة من الإضاءة (Pliny, xiii, 2,2)، في حين رجع ماريو لوني Mario Luni سبب ذلك لكونه يمنع سخونة الزيت ويجعل لون اللهب يميل إلي الاصفرار (لوني، 2017: ص170).

أما عن لون المسرجة فأنه يختلف تبعاً لاختلاف نوع الطينة، وذلك من خلال نسبة الحديد فيه. فاللون الأحمر القاتم مثلاً، يأتي بعد حرق المسرجة من خلال تحويل ذرات الحديد الموجودة بالعجينة إلى أكسيد الحديد بفعل الحرارة الشديدة، والسبب أنه كلما زادت نسبة الحديد في الطين زادت درجات اللون الأحمر (شاهين، وكلزة، 2009: ص ص98- 99).

المبحث الثاني

وظائف المسارج واستخداماتها:

1. **الإضاءة:**

كانت المسارج بالنسبة للإنسان بمثابة السلاح الذي هزم به الظلام والخوف، واستخدمها الإغريق والرومان للمساعدة في الرؤية داخل المباني الخاصة والعامة، حيث وضعت داخل فتحات في حائط المبنى، وأثناء السير في الظلام في الشوارع، والتجول بين المحلات ومشاهدة الحفلات المسرحية والألعاب الرياضية، والحمامات، وداخل المعسكرات والحصون، والموانى. وساعدته على القيام بإعماله ليلا ونهارا (عزام، 2001: ص5).

2. **هبات ونذور:**

وضع الإغريق ومن بعدهم الرومان المسارج داخل المعابد وحرمها، باعتبارها من الأشياء الضرورية التي تقدم كقربان ونذور للمعبودات، واستخدمت في الاحتفالات الدينية، ومواكب النصر (Walters, 1905, f395).

3. **مرفقات للموتى:**

لا يمكن أن نعتبرها من الأشياء الضرورية في القبور، ولكنها تعتبر عادة نقلها الإغريق عن بلاد المشرق، وأصبحت من ضمن الأشياء التي توضع مع الأثاث الجنائزي داخل القبور، حيث يتم وضعها على مقاعد أو بجانب الجثث أو داخل التوابيت (هاشم، 2014: ص139)، وأحيانا يكون الأثاث الجنائزي بدون هذه المسارج، مما يشير إلي أنها حاجة ثانوية وليست ضرورية بالنسبة للميت. وربما اعتقد الإغريق بأنها تنير قبر المتوفى وتساعده في طريقه في العالم الأخر، وتطرد

الأرواح الشريرة (Robins, 1939: pp184- 185). والدليل على ذلك وجود بعض هذه المسارج بدون آثار للحريق على الفوهة (شاهين، كلزة، 2009: ص50)، مما يدل على عدم استخدامها في الحياة الدنيا.

المبحث الثالث

تطور أشكال المسارج خلال العصر الإغريقي والهللينستي و الروماني

العصر الإغريقي:

ظهرت في أول تطور لها على هيأة فنجان أو سلطانية، يوضع فيها فتيل الاشتعال، ثم تطورت وأصبحت تنطوي حوافها للداخل مع وجود انثناء بسيط يوضع عليه الفتيل أهم أجزاء المسرجة، عرفت بمصابيح القبعة المردودة (الهدار، 2006: ص435). هذا النوع من المسارج ظهر في بداية العصر البرونزي في الألف الثالثة ق.م، في جزيرة كريت في العصر المينوي القديم وهي ذات تأثير مصري (Walters, 1914: pp20, 25, 26).

تطورت المسرجة بعد ذلك خلال هذا العصر من شكل السلطانية إلى الشكل المربع تقريباً، والمقدمة مطوية إلى الداخل بحيث تُكون فوهة الفتيل، أما بالنسبة للمقبض فهو على هيأة مسمار يثبت في الحائط، بعد ذلك ظهرت المسارج الدائرية أو الكروية الشكل، التي تأخذ شكل صحن دائري حافته مطوية إلى الداخل قليلاً، حتى تمنع انسكاب الزيت مع وجود انثناء لوضع الفتيل. وهناك بعض المسارج السوداء الأتيكية التي تعود للقرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يتوسطها تجويف ذو فوهة محددة ولا توجد بها مقابض، ربما لأنها كانت توضع على أرفف مخصصة لهذا الغرض، وهذا اللون الأسود اللامع كان الغرض منه لمنع تسرب الوقود خارج بدن المسرجة.

بعد ذلك حدث تطور طفيف على جسم المسرجة في ظهور الفوهة بنتوء خارجي يثبت فيها الفتيل، مع ظهور مقبض أفقي أحيانا وأحيانا أخرى بدونه، تطورت في العصر الكلاسيكي وأصبحت أكثر دقة من مسارج العصر الآرخي.

فنشاهد ضيق فوهة الزيت، واتساع فوهة الفتيل، أما المقبض فظهر طويلاً أفقي الشكل وأحيانا أخرى قصير إلى جانب ظهور مقابض هلالية الشكل. وبدأت تضيق فتحة المسرجة حتى أصبحت مغطاة تماماً فيما عدا فتحة صغيرة في الوسط لسكب الزيت، وأصبحت فوهة الفتيل أطول قليلاً (شاهين، وكلزة، 2009: ص ص15-52)، وهي ما عرفت فيما بعد بمصابيح الأنف

(الهدار، 2006: ص435)، وقاعدتها دائرية مرتفعة بعض الشيء، ولا تحمل أي زخارف على سطحها (شاهين، وكلزة، 2009: ص ص51- 52). وصنعت المسارج خلال هذه الفترة عن طريق استخدام العجلة، وفيها كانت عملية التصنيع تتم بتجهيز كل جزء من أجزاء المسرجة على حدة، ثم تجمع وتلصق ببدنها. الأشكال(3-6).

العصر الهللينستي:

أما في العصر الهللينستي فقد تطورت المسارج بشكل بسيط جدا، وخلال القرن الثاني قبل الميلاد استخدمت القوالب في صناعة المسارج لتلبية الطلب المتزايد عليها في السوق المحلية والخارجية، وساعدت هذه التقنية الفنان على استخدام الزخارف على سطح المسرجة بكل سهولة ويسر، وانتشرت هذه الطريقة خلال العصرين الهللينستي والروماني، ولهذا يصعب تحديد الفارق بينها وبين المسارج اليونانية إلا من خلال ظهور عروة مصمتة أو مثقوبة، Knop في الجانب الأيسر الغرض منها للاستخدام كدعامة للسبابة عند حملها (شاهين، كلزة، 2009: ص52)، أو يثبت بها قضيب معدني أو من العظام أو الخشب، لتنظيف المسرجة أو لتعليقها عن طريق خيط أو حبل بعد الانتهاء من استخدامها (الهدار، 2006: ص447)، حيث وجد في العصر الهللينستي قضيب معدني استعمل لتنظيف ثقب الفتيل (ذياب، 2009: ص30).

وأحيانا نلاحظ البروز أو العروة من الجانبين الأيمن والأيسر. وتميز هذا العصر بالقاعدة المرتفعة التي تنتهي بفوهة مدببة وأصبحت الفتحة العلوية للمسرجة أضيق من ذي قبل (شاهين، وكلزة، 2009: ص ص49-50) ويدور حولها حزوز بارزة غائرة على هيأة دوائر مع بعضها، وظهرت عليها زخارف بسيطة متمثلة في أشكال نباتية مجردة وحزوز بسيطة الأشكال (7- 10)

العصر الروماني:

تعددت استخدامات المسارج الرومانية من إنارة للمساكن والمعابد والشوارع والاحتفالات الدينية إلي مواكب النصر والملاعب الرياضية والحصون والمعسكرات (هاشم، 2014: ص117). حيث اتبع الرومان خطى الإغريق في صناعة المسارج من البداية، حيث من الصعب الجزم بتحديد تاريخ فاصل بين المسارج الهللينستية وبداية المسارج الرومانية، إلا أن الرومان أبدعوا في صنعها من حيث تنوع المواد، والزخارف، والمواضيع. حتى أصبح لهم طابع خاص يُميز المسارج الرومانية عن المسارج الإغريقية (شاهين، وكلزة، 2009: ص240).

وأهم ما يميز المسارج الرومانية عن الهللينستية ظهور الحلزون اللولبي المزخرف على جانبي الفوهة، وأصبح سطح المسرجة أعمق، ولها كتف وليس لها يد، ثم تطور الشكل بعد ذلك وأصبح كتفها عريض والصحن اصغر مليء بالزخارف ولها يد وفتحة صغيرة تشبه الثقب، وتتراوح ما بين ثقب أو اثنين أو ثلاثة. وأصبحت الفوهة مستديرة أو محدبة (شاهين، وكلزة، 2009: ص58).

هذا التطور ساعد في تصنيف وتأريخ المسارج طبقاً لشكل الفوهة كما تميزت مسارج هذا العصر بتعدد الفوهات فظهرت بفوهة واحدة وأحيانا أخرى بفوهتين أو ثلاثة أو ما يزيد عن ذلك. شكل (11- 12).

أما بالنسبة للفتيل فقد كان من الألياف النباتية أو من نبات البردي أو الكتان، والزيت المستعمل في الاشتعال فقد كان عادة من زيت الزيتون، وإلى جانب استخدام الفخار اشتهر الرومان باستخدام المعادن ومن أهمها البرونز، وأدى تطور وانتشار المسارج الرومانية لتصديرها إلي جميع أرجاء الإمبراطورية بعد أن كانت روما مستورده للمسارج الإغريقية.

واهتم الرومان بتطوير الأشكال وتزيين سطوحها بزخارف ونقوش أضافت لها مظهراً فنياً وأعطتها قيمة جمالية أكدت صلة الفن بالصناعة وعلاقة الجمال بالفائدة (شاهين، وكلزة: 2009، ص58).

والجدير بالذكر أنه لم تظهر على المسارج الإغريقية أي موضوعات مصورة طوال العصرين الآرخي و الكلاسيكي، بينما ظهرت في العصر الهللينستي زخارف بسيطة متمثلة في أشكال نباتية مجردة وحزوز بسيطة، في حين تنوعت الموضوعات المصورة على المسارج في العصر الروماني بشكل كبير فظهرت العديد من الزخارف على النحو التالي:

مشاهد من الحياة اليومية:

ظهرت على المسارج موضوعات مختلفة للحياة اليومية مثل الحرف اليدوية كغزل النسيج و الصناعة بمختلف أنواعها، وصيد الأسماك والحيوانات ورعي الأغنام ، إلي جانب ذلك ظهر تصوير ممارسة الرياضة خصوصاً المصارعة التي انتشرت بكثرة خلال العصر الروماني حتى أقيم لها مباني خاصة بها كالأمفيثياتير Amphitheater (المجتلد).

كما صور أشخاص يرتدون الزى العسكري في مشاهد تعبر عن المصارعة، هذا الزى الذي استخدم في المصارعة و الحروب معاً إلي جانب تصوير الأسلحة التي تستخدم في المعارك. كما صورت المراسم الدينية، والاحتفالات، والمراسم الجنائزية (Walters, 1905: pp29- 30). شكل(13- 17)

الموضوعات الأسطورية :

صورت المعبودات بشكل كبير على المسارج كتصوير المعبود زيوسZeus ، وهيراكليس Heraklis، الذي صور بشكل كبير على المسارج ومعبود الشمس هيليوسHelios والمعبودة نيكيNike واثيناAthina، وهاديسHadis، وبرسيفونيPrsphone، إلي جانب تصوير الميدوسا (السعلاة) Medussa و ربات الفن التسعة الموسياتMusos، كما صورت أيضاً أساطير كاملة على المسارج ومن أهمها أسطورة خطف برسفوني من قبل هاديس (Procaccini, 1974- 1975: pp32- 48, ff xiii- xix).

والجدير بالذكر أنه تم تصوير المعبود إيروس Eros وهو يعزف على آلة موسيقية على مسرجة من التيرا كوتا، مطلية بطلاء أسود داكن محفوظة بمتحف Avenches. (Castaldo, 2013: pp51- 52).

في العصر الروماني أصبحت المواضيع الدينية متنوعة وأكثر انتشاراً، فصورت المعابد والمذابح والمعبودات، بالإضافة إلى مشاهد تتعلق بالطقوس والمعتقدات الدينية (ذياب، 2009: ص37) الأشكال (18- 23).

الموضوعات النباتية:

صورت على المسارج أشكال نباتية متعددة منها المحورة ومنها الواقعي، ومن أهم النباتات التي صورت على المسرجة ورق اللبلاب، ونبات السلفيون، وأشكال لزهور متعددة البتلات، والنخيل كما صور أيضاً العنب، ربما كان له مغزى ديني، حيث يعد العنب كرمز للمعبود باخوس Bachus معبود الخمر ومؤسس الدراما (procaccini, 1974- 1975: xiv-11) شكل(24- 25).

موضوعات تمثل أشكال الحيوانات و الطيور:

صورت الحيوانات على المسارج بشكل كبير نوعاً ما، ولا ندري ما إذا كان لها مغزى ديني أو دنيوي، وكان أكثرهما شيوعاً تصوير الغزال، والأسد، والحمامة، والطاووس، والماعز، والأغنام، والحصان الأشكال (26– 30).

ظهرت موضوعات أخري تمثل تصوير الأسلحة وأدوات الحرف اليدوية مثل الخناجر والرماح، وأدوات الغزل والنسيج، وأدوات الصيد، شكل (17) كما صُور الميزان الذي يدل على الحكمة أو العدل (Walters, 1905: pp45- 50). إلي جانب ذلك اتخذت بعض المسارج الرومانية أشكال غريبة، فظهرت مسارج مجسمة بوجوه آدمية شخصية متنوعة مصنوعة من التيراكوتا أو البرونز، عرف هذا النوع من المسارج في إيطاليا منذ نهاية حكم الإمبراطور تيبريوس 14–37م، واستمرت حتى نهاية حكم الأسرة الأنطونية 96–192م. وأخرى على شكل حذاء و أقنعة ورؤوس آدمية على رقبة المسرجة (هاشم، 2014: ص118). هذه الصور الشخصية، تعكس نمط التصوير الشخصي على المسارج بأسلوب واقعي له مدلولات فنية ودينية واجتماعية (هاشم، 2014: ص118).

الخاتمة واهم النتائج

عرف الإنسان في بلاد الرافدين ومصر المسارج منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، وعن طريقه انتقلت إلي الحضارة المينوية في كريت، ومنها إلي بلاد الإغريق في القرن السادس قبل الميلاد، ووصلت إلي روما من القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق المستعمرات الإغريقية في جنوب ايطاليا. وزادت نسبة أنتاجها خلال العصر الروماني وصدرت إلي جميع الولايات التابعة لروما، بعد أن كانت مستوردة لها من بلاد الإغريق وجنوب ايطاليا. وهذا دليل على وجود علاقات سياسية وتجارية بين بلاد الإغريق وروما والبلدان التي وجدت فيها المسارج الإغريقية والرومانية.

تنوعت أشكال المسارج سواء التي عثر عليها في بلاد الإغريق أو روما، ما بين القمعية والدائرية والكمثرية والاسطوانية، ومنها العادية والمزخرفة. وهي الآن موجودة في متاحف آثار مدينة أثينا وروما. وقد استخدمت أشكال عديدة من المسارج في الفترة الإغريقية والهللينستية والرومانية، و تطورت تقنية صناعتها فظهرت المسارج الاتيكية في القرن السادس قبل الميلاد يتوسطها شكل مخروطي، وظهر بعضها بالمقابض أو بدونها، وحملت أبدانها في العصر الروماني صور

ورسومات مختلفة من الحياة اليومية والأسطورية والحيوانية والنباتية والعسكرية، واستخدم الفنانون في الفترة الإغريقية والهللينستية والرومانية المواد الخام والرخيصة الموجودة في البيئة المحيطة بهم، مثل الطفلة والطين المشوي (التيراكوتا) وبعض المعادن كالبرونز في العصر الروماني وخاصة عند ميسوري الحال.

- إهتم الفنانون بزخرفة المسارج بالزخارف الطبيعية والدينية والهندسية والنباتية والحيوانية والعسكرية، التي تعكس الجوانب السياسية والدينية والفنية في تلك الفترة.
- بعض المسارج يحمل الختم الذي يشير إلي اسم الصانع أو مكان الصناعة.
- استخدم الإغريق عدة طريق منها طريقة العجلة والتي استخدمت منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى بداية العصر الهللينستي، وطريقة القالب التي انتشرت جنبا إلي جنب مع العجلة في عملية الصناعة .
- استخدموا الإغريق والرومان زيت السمسم وزيت الزيتون ومواد دهنية أخرى كوقود، وصنعوا الفتيل من الكتان. ولمنع هذه الزيوت من التسرب خارج المسرجة فقد تم طلاء أبدانها بلون أسود لامع.
- صنعت مسارج بفتحة لتعبئة الوقود في سطح المسرجة، وأخرى للفتيل في نهاية أنفها، ومسارج أخرى لها فتحتين ببدنها للوقود التهوئة معاً، وفتحة أو فتحتين في أنف المسرجة للإنارة.
- صنعت فتحات الوقود ذات أحجام متفاوتة ما بين الواسعة والضيقة، وبعض هذه المسارج له مقبض عريض على هيأة الحزام أو في شكل عروة مثقوبة أو عروة مصمتة تلتصق ببدن المسرجة، بينما عثر على مسارج أخرى بدون مقابض.
- تعد المسارج ذات المقابض للقرن السادس وحتى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، بينما تؤرخ المسارج ذات العروة المثقوبة بالفترة بعد النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، في حين تؤرخ المسارج ذات العروة المصمتة بنهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد.
- تطورت أشكال المسارج من الناحية التقنية والفنية نتيجة لمتطلبات الحياة اليومية، فظهرت المسارج القمعية والدائرية و الكمثرية والأسطوانية، وكانت قاعدتها مستوية أو مرتفعة دائرية الشكل أو مقعرة، وفي بعض الأحيان تحمل ختم.

- وبعضها تظهر عليه أثار حريق في فوهة الفتيل في نهاية أنف المسرجة للإشارة لعملية استخدامها في الحياة اليومية، في حين وجدت مسارج أخرى لا تظهر عليها أثار الحريق مما يدل على أنها كانت مستخدمة كهبات ونذور أو مرفقات للمتوفى.
- صنعت أنوف هذه المسارج في بدايتها قصيرة ثم ظهرت فيما بعد بشكل أطول لمنع وقوع الفتيل في خزان الوقود، ومن خلالها استطاع الدارسون تتبع تطور هذه المسارج وبالتالي تحديد تاريخها بدقة.

المراجع

أولا: المصادر الأجنبية:

Herodotus, ii. (The Loeb Classical Library, Translation by,A.D, Godley, London,1920)

Martial. Xiv, (The Loeb Classical Library, Translation by, Walter,C.A, Ker,London,1920)

Pliny . Natural History. xiii, (The Loeb Classical Library,Translation by H. Rackham,m.a,London,1960)

ثانيا: المصادر العربية:

أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. 711هـ-1992م. **لسان العرب**، المجلد السادس، الطبعة الثانية. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

A, Alhassan and Hill. 1986**. Islamic Technology.** An illustrated History Unesco,.

Castaldo, Daniela. 2013**. Musique en Suisse à l'époque romaine** : **examples d' archéologie musicale,** SAKA-ASAC, Fribourg,.

D.M, Bailey. 1972. **Greek and Roman pottery Lamps**. British museum, press..

F,W, Robins. 1939.**The Lamps of Ancient Egypt**. JEA.**Vol. 25**.

H. B,Walters. 1905. **History of Ancient Pottery.** Vol. II, London,.

H.,B,Walters. 1914.**Catalouge of the Greek &Roman Lamps in the British Museum**. London.

J, Trois, Mateu, 1964. **lampes neolithiques au Sahara**. Ethn,13, Libyca Anthr-Preh,

J**,**Toutain**.** 1904.**Lucerna in Dictionnaire des antiquites grecques et Romaines. iii**, Paris, Hachette.

Luni, Mario, 2006. **Cirene Atene d Africa.** Roma, Italia:

Procaccini, Paola. 1975-1974**. Lo Scavo a Nord del mausoleo punicoellenistico a di Sabratha.** Libya Antiqa, vol. XI-XII

R, Chapot (V), Cagnat. **Manuel Darchélogue Romaine**. Livre2.

رابعا: المراجع العربية والمعربة:

الشلماني، مفتاح عبد ربه. (زراعة الزيتون في قورينائية في العصر الكلاسيكي). مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب. العدد 10.

الهدار، خالد. 2006. **دراسة القبور الفردية وأثاثها الجنائزي في تاوخيرا**. الطبعة الأولى. بنغازي، ليبيا: منشورات جامعة قاريونس.

الورفلي، رياض. 2017م. **(مصابيح الزيت قديما)**. صحيفة آفاق أثرية. **العدد 21/20**، بنغازي.

ذياب، نائل جلال. 2009 م. **الأسرجة الفخارية في الفترة الإسلامية الأولى في فلسطين**. المعهد العالي للآثار الإسلامية، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس: فلسطين.

سمياوي، آسيا. 2017–2018. **دراسة إيكونوغرافية لمجموعة من المصابيح الزيتية المحفوظة بمتحف مينارف (تبسة)**. قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة 8 ماي: الجزائر.

شاهين، بهية والكلزة، سوزان. 2009. **الفنون الصغرى في العصرين اليوناني والروماني**. الطبعة الأولي، الإسكندرية، مصر: الحضرى للطباعة.

عزام، دانية أحمد. 2001. **الأسرجة الفخارية الإسلامية من متحف الآثار الأردني في عمان**، قسم الآثار، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: الأردن.

لوني، ماريو. 2017م. **قوريني اثينة أفريقيا**. (ت): عبد الله المرتضي، الطبعة الأولى. القاهرة، مصر: دار الصالح.

هاشم، شهيرة عبد الحميد. 2014. **دراسة أثرية لبعض نماذج المسارج بوجوه آدمية "من العصر الروماني بالمتاحف المصرية"**. مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب. مصر. القاهرة. المجلد الحادي و العشرون، العدد الأول.

خامسا: المادة الإلكترونية:

www.htt:/ancient Roman oil lamps.com.

www. htt:/ gods and goddesse on Roman oil lamps.com.

www. htt:/everyday life on the lamps Roman.com.

www. htt:/ ancient Greek oil lamps.com.

www. htt:/ content collection lamps.com.

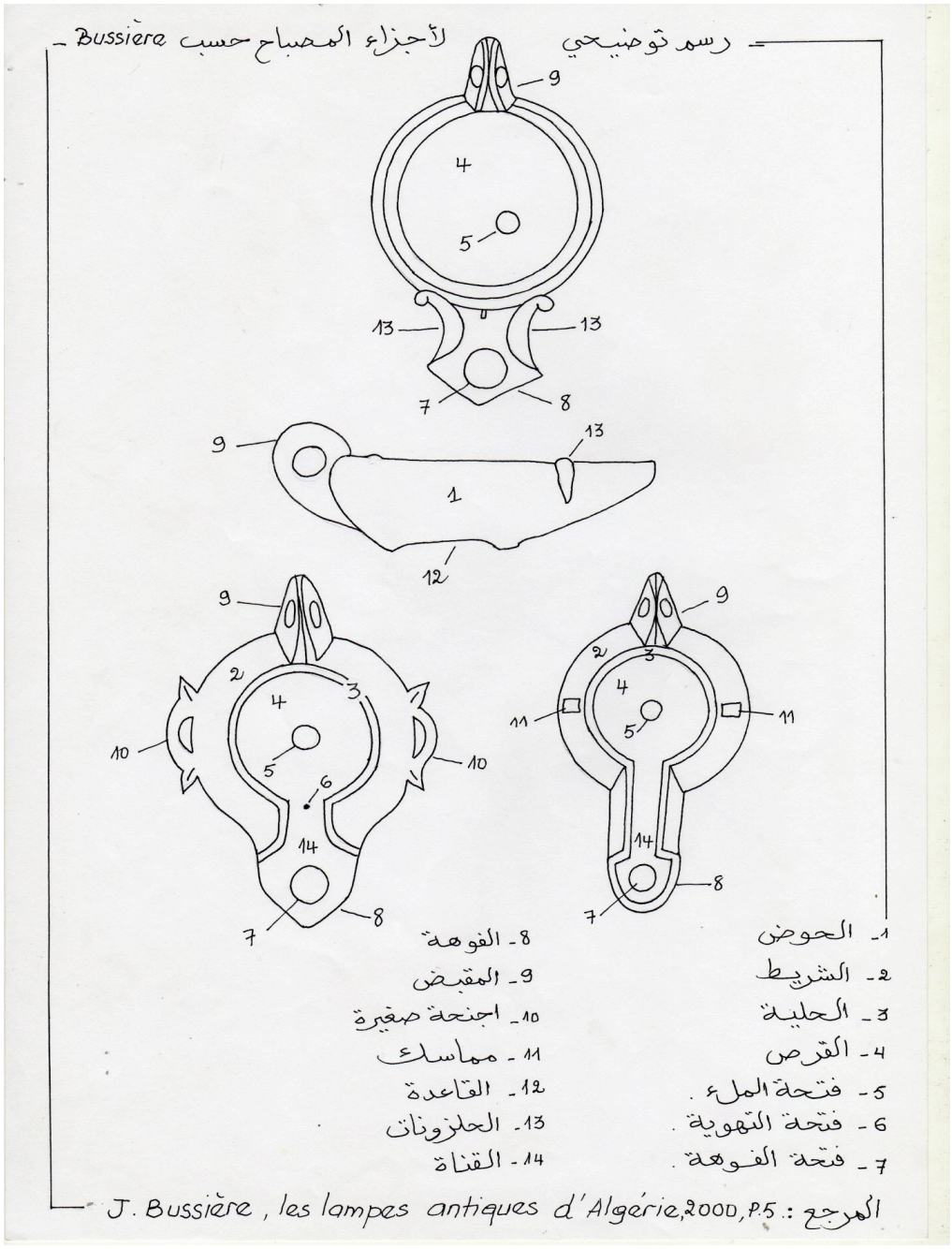

(شكل 1 صورة توضيحية لا جزاء المسرجة. عن: آسيا سمياوي، المرجع السابق، ص15)

(شكل 2 صور توضيحية لصناعة القالب عن: content collection lamps.com)

(شكل 3 صور توضيحية لتطور المسارج، عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 4 صورة توضيحية لتطور المسارج خلال العصر الإغريقي والروماني، عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 5 مصباح كلاسيكي ذو فتحة قصيرة مطلي بالطلا الأسود، عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 6 مصباح كلاسيكي ذو مقبض هلالي، عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 7 مصباح هللينستي ذو فوهة طويلة عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 8 مصباح هلينستي ذو فوهة طويلة، عن: ancient greek oil lamps.com)

(شكل 9 مصباح هلينستي ذو فوهة طويلة، عن:ancient greek oil lamps.com)

(شكل 10 مصباح هلينستي ذو فوهة قصيرة، عن:ancient greek oil lamps.com)

(شكل 11 مصباح روماني متعدد الفوهات، عن: ancient roman oil.com)

(شكل 12 مصباح روماني متعدد الفوهات، يصور شكل آدمي، عن: ancient roman oil.com)

(شكل 13 مصباح روماني يصور مشهد مصارعة، عن: everyday life on the lamps roman.com)

(شكل 14 مصباح روماني يصور مشهد صيد، عن: everyday life on the lamps roman.com)

(شكل 15 مصباح روماني يصور جندي، عن:everyday life on the lamps roman.com)

(شكل 16 مصباح روماني يصور أدوات الصيد والمصارعة، عن: everyday life on the lamps roman.com)

شكل 17 مصباح روماني يصور مصارع، عن: (everyday life on the lamps roman.com)

(شكل 18 مصباح روماني يصور الإلهة أثينا، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

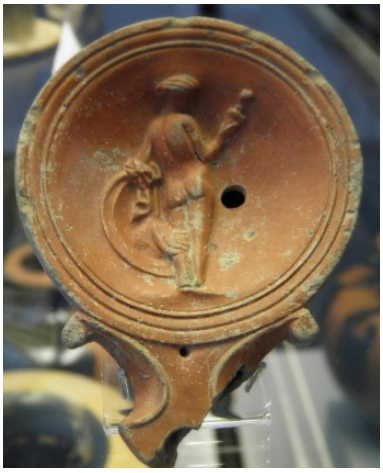

(شكل 19 مصباح روماني يصور الإلهة أفرودايت، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

(شكل 20 مصباح روماني يصور الإلهة نيكي، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

(شكل 21 مصباح روماني يصور الإله أبوللو، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

(شكل 22 مصباح روماني يصور الإله زيوس، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

(شكل 23 مصباح روماني يصور الإله هاديس، عن: gods and goddesse on roman oil lamps.com)

(شكل 24 مصباح روماني يصور شجرة النخيل (تصوير نباتي)، عن: ancient roman oil lamps.com)

(شكل 25 مصباح روماني يصور نبات، عن:ancient roman oil lamps.com)

(شكل 26 مصباح روماني يصور طير، عن ancient roman oil lamps.com)

(شكل 27 مصباح روماني يصور نسر، عن: ancient roman oil lamps.com)

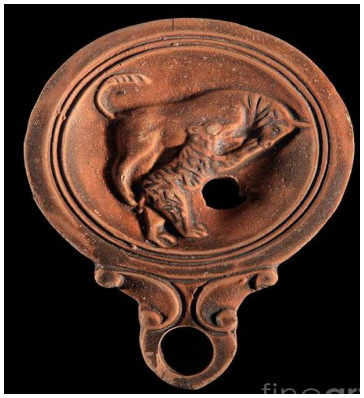

(شكل 28 مصباح روماني يصور قطة وحصان، عن: ancient roman oil lamps.com)

(شكل 29 مصباح روماني يصور خنزير، عن: ancient roman oil lamps.com)

(شكل 30 مصباح روماني يصور كلب، عن: ancient roman oil lamps.com)

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 266-288، 2021

Research Article

Open Access

جماليات خزف الحدائق وارتباطها بالبيئة المحيطة في ضوء الاتجاهات الفنية الحديثة

مبروكة إبراهيم الهائن
قسم التربية الفنية، كلية التربية، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/ppva3q91

المستخلص :
هدفت هذه الدراسة إلى إبراز المنتجات الخزفية في الحدائق وتأكيد إمكأنية استخدامات الخزف المتعددة، بالإضافة إلى عمل خزفيات تناسب الحدائق من الناحية الاستخدامية بمستوى عال ولفت اهتمام المجتمع بالخزف والتأكيد على أهميته ودوره في إظهار جماليات الحدائق.اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لإجاد حلول لمشكلة الاستخدامات المألوفة للفخار والخزفيات في الحدائق بابتكار منتجات خزفية جديدة، وقد أثبتت الدراسة أن للخزف إمكأنية في تنفيذ منتجات ذات استخدامات متعددة وقدرة على إبراز الجماليات.

الكلمات المفتاحية: لسيراميك، علم الجمال، المنتجات، القدرة على الرسم.

The Aesthetics of Garden Pottery and Its Connection to the Surrounding Environment in Light of Modern Artistic Trends

Mabrouka Ibrahim Al-Hayyan
Department of Art Education, Faculty of Education, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: This study aimed to highlight ceramic products in gardens and emphasize the versatility of ceramic uses. Additionally, it aimed to create ceramic works suitable for gardens from a practical perspective at a high level, attracting the community's interest in ceramics and emphasizing its importance and role in showcasing the beauty of gardens. The study adopted a descriptive-analytical approach to find solutions to the common uses of pottery and ceramics in gardens by innovating new ceramic products. The study proved that ceramics have the potential to create products with multiple uses and the ability to showcase aesthetics.

Keywords: Ceramics, Aesthetics, Products, Drawing Capability.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

يعد فن الخزف من أوائل الفنون التي ظهرت على وجه الأرض، وهو من أرقى الفنون التطبيقية في حياة الإنسان، ولعلنا ندرك أن المرحلة الأول من حياة الإنسان تمتاز بالبساطة، فقد استخدم أدوات بدائية في أعماله اليومية، ومن البديهي أن تكون تلك الفخاريات بسيطة وأقل متأنة موجودة، ولم تكن هذه الصناعة متقنة من حيث الشكل والمتانة والملمس (الناي،2016: 1).

غير أنه إذا اخذنا الفن أداة للحكم على جمالية الخزف في وقتنا الحاضر نجدها قد شهدت تغيرات جذرية وازدادت تقنيات صناعة الفخار تقدمًا وتطورًا وتنوعت الأشكال والأدوات بحسب التوسع الحضاري وتراكمت الخبرات نتيجة لذلك وبدأ أنتاج الفخار أكثر جودة واتقأناً وقد شاع استعمال كلمة الخزف بين الباحثين في العصر الراهن، للدلالة على المصنوعات الفخارية ذات الطلاءالزجاجي الذي يغطي سطحها الخارجي (سوريو، 1982: 273).

أن خزف الأماكن المفتوحة يعد أحد مجالات فن البيئة الذي بدأ الاهتمام به في الأونة الأخيرة بشكل ملحوظة مما ساهم في تطور رؤية الفنان للبيئة بكل الخصائص والاعتبارات الفنية والتشكيلية كي تكون عنصرًا أساسيًا مرتبطًا بالأشكال الفنية والخزفية في الأماكن المفتوحة "الحدائق" على وجه التحديد، سيما وراء التكامل بين خصائص كلٍ من الشكل والبيئة (حريت، 2004: 27).

ولأن كان بالإمكأن اعتبار الإحساس الجمالي قليل التغير والتبدل، فأن حقول توظيفه متنوعة جدا كذلك بصورة خاصة متطلبات الاكتفاء الجمالي التي يتوجه هذا الإحساس فهذه الفترة أو تلك نحو الإبداعات الفنية (سوريو، 1982: 273).

فظهر خزف الحدائق وخزف الميادين والخزفيات المجسمة كجزء من الجداريات الميادين العامة وعندما نقول خزف الحدائق يرد إلى الذهن أنه الخزف الذي يمكن أن يستوعبه أكبر عدد من الطبقة المثقفةعلى اختلاف خزف الميادين، وهو نوع من الخزفيات التي يمكن أن تختلف باختلاف البيئات والثقافات مثلا البيئة الريفية، والبيئة الصحراوية، والبيئة الساحلية، والبيئة السياحية والتراثية، والبيئة الصناعية والبيئة التعليمية (حريت، 2004: 372).

أن تشكيل خزف الحدائق يتطلب من الفنان دراسة شاملة للموقع والبيئة بكل مكوناتهما الطبيعية والبشرية كي يستمد منها مقومات العمل الفني ويتمكن من إيجاد الترابط والألفة بين الشكل الخزفي والمكان أي البيئية وبالرجوع إلى المعالجات العلمية والأكاديمية والجوأنب الإبداعية والفنية في الخزف، فقد تم مراجعة عدة دراسات، إلا أن الدراسة الحالية قد تكون تحولاً جديدًا لدعم الجناب الوظيفي والجمالي للخزف في الحدائق، هذه الفكرة التي تشغل عقول الكثير بما لها من أهمية في تزيين وتجميل المساكن والأماكن العامة وحماية البيئة، وراحة الأجساد والنفس في أي وقت وقد زاد الاهتمام بأنشاء الحدائق منذ أن ترك الإنسان حياته الأول، وشيد المبأني وأقام المدن والقرى وتطورت الحدائق معها فكأنت تبني وتزدهر كلما ازدهرت الحضارة، وتوسعت الأمم شأنها شأن كل الفنون، ولقد امتد هذا التطور إلى منتجات الحدائق وأثاثها فغيرت من عنصر التجميل فقط إلى وسيلة من وسائل استكمال الراحة المنشودة في الحدائق(الناي، 2016: 7).

لذلك اهتمت الدراسة بالخزف ومعالجاته الشكلية بإضافة وحدات زخرفيه متعددة الأشكال، على أن تحدث أنسجامًا مع النبات، بالإضافة إلى الترجيح والتطعيام الوظيفية بحيث بمكن استخدامه في تنفيذ النوفير والإضاءة والجداريات والعديد من مستلزمات الحدائق مع ضبط جودتًا.

مشكلة الدراسة:

يعد خزف الحدائق أحد وسائل الاتصال وأشكال التعبير في الفن المعاصر، بما قد ينتجه للفنان الخزاف من الحرية في استحداث أعمال ابتكاريه لإثراء البيئة والميادين والحدائق بهذا المجال وإكسابه قيم تشكيلية جديدة، وقد لوحظ بأنه بالرغم من اهتمام الباحثين و المسؤولين بدراسة البيئة وارتباط الفن والفنان بالبيئة والمجتمع والتفاعل المستمر والمتبادل لتحقيق القيم التشكيلية والتعبيرية التي تصل بين الفنان والمتذوق والجمهور، إلا أن خزف الحدائق لم يحظ بالقدر الكافي من الاهتمام والدراسة لما يتطلبه من إعداد وتخطيط مسبق لتحقيق الهدف من أجل الحصول على أشكال خزفية ابتكاريه جديدة تختلف باختلاف البيئات، مما يؤدي إلى تنوع التعبير، إلى جانب الارتقاء بالذوق العام وتنمية الرؤية الفنية والتخلص من الملونات البصرية والتكامل بين الشكل والبيئة، على اعتبار أن البيئة عنصر أساسي في تكامل القيم التشكيلية للشكل الخزفي.

وحددت مشكلة الدراسة في رصد المفاهيم التشكيلية المعاصرة ودورها في تطور وبناء التشكيلا لخزفي وما نتج عن ذلك من تكوين فكر جديد له أثره على ممارسات التشكيلية كشفت عن متغيرات وقيم ابتكاريه وجمالية في مجال الخزف برؤية مستحدثة؛ فهل لهذه المفاهيم التشكيلية المعاصرة دور في تطور مفاهيم البناء التشكيلي الخزفي؟

الأهمية النظرية والتطبيقية للدراسة:

وسوف تحاول الدراسة الإجابة عن الاسئلة التالية:

1. هل للمفاهيم التشكيلة المعاصرة دورا في إعطاء بنية فكرية وشكلية من الممكن أن تشكل ركيزة تنال التأثير الواضح في التشكيل الخزفي المعاصر؟
2. هل هناك اعمال خزفية معاصرة نستطيع من خلالها تحديد السمات الشكلية التقليدية والحديثة والتي تعطي حالات الشد والأنتباه وتساعد في تحديد المفاهيم التشكيلية لتكون عامل فرز بين أنصار القديم وأنصار الجديد؟
3. هل استطاع الخزف المعاصر أن يستكشف ملامح الحداثة والاتجاهات الفنية والمتغيرات التي مثلت المعطيات الواقعية ضمن جملة التجولات المتأثرة بالموروث القديم.

أهداف البحث

تأسيساً على تلك التساؤلات التي أوضحت بصورة جلية مشكلة البحث تم تشكيل أهداف البحث بالصياغات الآتية:

1. التعرف على المفاهيم التشكيلة المعاصرة التي أثرت على العمل الخزفي على فهم مضمون العمل الخزفي.
2. الاستفادة من المفاهيم التشكيلية المعاصرة للتوصل الي حلول وتقنيات وصياغات جديدة تثري التشكيل الخزفي.
3. دراسة العلاقة بين خزف الحدائق وارتباطها بالبيئة المحيطة.

4. تحديد سمات خزف الحدائق ومتطلباته الابتكارية وتقنياته في ضوء الاتجاهات الفينة المعاصرة.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

1. إلقاء الضوء على أهمية المفاهيم التشكيلية المعاصرة والتي أثرت في الشكل الخزفي في ليبيا.
2. يسعى لتحديد الإيضاح المفهومي للتشكيلات الخزفية وخصوصًا التي اختلطت فيها مفاهيم القيم المستحدثة في العمل الفني.
3. يوضح البحث الأساليب المتبعة في بناء أشكال خزف الحدائق والمستوحاة من المفاهيم التشكيلة المعاصر.
4. يساهم البحث في إلقاء الضوء على أهمية ودور الفن للبيئة المحيطة من خلال تشكيلات خزف الحدائق.

فروض البحث:

1. هناك علامة ايجابية بين خزف الحدائق وارتباطها بالبيئة المحيطة.
2. يمكن تحديد سمات خزف الحدائق في ضوء الاتجاهات التشكيلة المعاصرة.

حدود البحث:

يقتصر البحث على دراسة بعض أنواع البيئات الليبية ومكوناتها الطبيعية والمكأنية والاختلافات الجوهرية للإفادة منها في الإعداد المسبق لتشكيل خزف الحدائق وإيجاد الترابط بين طبيعة المكأن والشكل الخزف. تقتصر الدراسة على مفهوم خزف الحدائق وتقنياته في الفن المعاصر وأثره على البيئة.

تصنف الأعمال الخزفية إلى أربعة محاور رئيسة وهي: (هيئة العمل، عناصر التكوين في العمل أساليب الصياغات التشكيلية المستخدمة، تنفيذ وعرض العمل).

مصطلحات البحث

الفخار:

هو كل جسم يصنع من طين ثم تضاف إليه , بعض المواد أو لا تضاف ثم يمر بمرحلة التجفيف ومرحلة الحريق وهو مرحلة الأنكماش والتصلب، أن تعريض الأشكال التي جفت إلى درجة حرارة عالية أي درجة حمراء أو ذهبية يحدث تغيرات فيزيائية وكيميائية في المادة يتعذر فيها إعادتنا إلى شكلها الطبيعي.

عرفت البشرية فن الفخار منذ عصور قديمة ، حيث ترك أسلافنا كثيرا من الآثار التي تدل على عمق وقدم علاقتهم مع مادة الطين مسجلين بها أنطباعاتهم وعاداتهم مؤرخين لزمنهم وأهم الأحداث التي مرة عليهم؛ والفخار من الحرف التي يعتمد عليها المؤرخون في تحديد مزايا الشعوب(حريت، 2016: 1).

الخزف المعاصر:

يرتبط برؤية جديده تطل على العامل الأول مرة فيها الإحساس بالفراغ الداخلي والخارجي للشكل وتضيفه طرق التشكيل اليدوي المختلفة من جماليات وسمات خاصة مختلفة لم تكن متحققة من قبل ولم يبقى الخزف المعاصر حبيس الحرفة أوالحاجة النفعية (عطية، 2000: 139).

القيم الجمالية:

هي تتميز بمجموعة من الخصائص أهمها؛ توجيه التعبير الفني في شكل من الأساليب التي تحدد الغايات والوسائل التي يلتزم بها الفنان، وهذه القيم تتبع بتلقائية من المذهب الفني المعين، حيث أنها تمزج بين الحاجات الذاتية من ناحية ومتطلبات الذوق العام من ناحية أخرى، فبينما يكتسب الفرد المعايير من البيئة تصبح بالتالي جزءًا منه وأساسًا لاستجابته.

وعرفهاعبد الغني الشال بأنها:خصائص في نماذج وتقاس بها الأعمال الفنية مثلاً العلاقات بين الأشكال والأنسجامات اللونية واتزأن التكوين غيرها (الشال، 1984: 85).

الحديقة:

هي مساحة مخطط لجواء الطلق في العادة ثم وضعها للعرض والزراعة والاستمتاع بالنباتات وغيرها من أشكال الطبيعة يمكن أن تضم الحديثة كلا العنصرين الطبيعي والمواد التي من صنع الإنسان كالنوافير والإضاءة والأثاث والمنحوتات والحدائق نوعين حدائق نوعين حدائق منزلية أو سكنية وحدائق عامة يتم تصميمها وتنسيقها من قبل مختصين (الناي، 2016: 3).

الفراغ:

بمثل الفراغ أحد عناصر الشكل ومكمل أساسي له حيث أن الفراغ ليس مجرد تركيبها من المكأن الكوني الذي يحيط الهيئة الخزفية فقط بل أنه عنصر مادي ومحسوس في ذاته ويمثل جزءاً تركيبا للبناء الخزفي فالمكأن المحيط بالشكل يحب أن يستغل جيدًا لربط الحجوم بعضها ببعض كما لو كأنت هناك توامة بينها معمراعاة النسبة والتناسب بين حجم الشكل والفراغ أو الحيز المحيط بيها(السويفي 3-4).

التجميع:

معنى العمل الفني التجميعي أنه تقنية بناء أعمال فنية ثلاثية الأبعاد وتجميع لأجزائها باستخدام الربطبين العناصر في المجالات الفنية المختلفة بواسطة الفنان (محمود، 1999: 100).

التركيب:

ويعنى الصياغة أو الطريقة الأنشائية والبنائية وهو متعدد الأشكال، فقد يكون تركيبًا أفقيًا أو رأسيًا او أمحوريا أو تركيبا يجمع بينهم، ويتوقف شكل التركيب على طبيعة الموقف المستخدم فيه أو الغاية منه كما أنه يتوقف على النظام الذي يحكم هذه الصياغة ومفهوم علاقتها (ابو زيد، 1990: 17).

الصرحية:

يقصد بالأشكال الخزفية الكبيرة الحجم والتي تزيد عن المتر والنصف متر تقريبّا، وتكون أكثر إبداعاعندما تتكامل مع البيئة المكأنية المفتوحة كخلفيات أساسية وتحقيق النسبة والتناسب مع إيجاد التوافق بين حجم الشكل ومساحة المكأن، حيث يستمتع المشاهد على اختلاف ثقافية ويتمكن من تذوقه من جميع الأوجه.

الأجص:

هي أوأني تزرع فيها أنواع مختلفة من الأزهار والنباتات المعمرة ويصنع عادة من الفخار أو الحجارة أو أي مادة مماثلة مع مراعاة أن تكون بقاعدتها فتحة لتصريف المياه الزائدة وتوضع لأجص في أماكن متعددة لأجل جمالها ولأجل تنسيق الحدائق.

النافورة:

النافورة دفق من الماء يرتفع بشكل طبيعي أو اصطناعي نتيجة للضغط ينتج هذا الضغط في حالة النافورة الطبيعية من خزن الماء المجمع ، ومن حرارته أو من كليهما معا اما في حالة النوفير الاصطناعية أغراض تجميلي آخر عملية: فهي تساعد على إبقاء البرك نظيفة وتقلل من الحاجة إلى كثير من الماء'وتوجد النوفير بصورة كبيرة في الحدائق والساحات العامة ومركز التسوق (الناي، 1974).

الإضاءة:

الضوء هو إشعاع كهرومغناطيسي مرئي للعين البشرية وتعتبر الإضاءة إحدى الوسائل التي تساهم في تهيئة الإطار الصحي للأنسأن والإضاءة أيضًا إحدى وسائل التشكيل الفني نستخدمها لإثراء الخبرات الداخلية والخارجية بالإضافة إلى كل من وسائل التشكيل الأخرى من لون ومادة والإضاءة إما أن تكون إضاءة طبيعية مصدرها أو اصطناعية نحصل عليها اما من احتراق قطعة خشبية أو إشعال شمعة أو مصباح البخار أو من الطاقة الكهربائية.

منهجية البحث

- دارسة مفهوم خزف الحدائق وتقنياته في ضوء الاتجاهات التشكيلة المعاصرة.

دارسة الأساليب الفنية

استخدم المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة تحليلية للتقنيات الخزفية المعاصرة والتي تتريت شيكل خزف الحدائق وتشمل:

أ. هيئة خزف الحدائق.

ب. عناصر تكوين خزف الحدائق.

ت. الأساليب التشكيلة المستخدمة في خزف الحدائق.

ث. تنفيذ وعرض خزف الحدائق في البيئة.

ج. دراسة وتحليل العلاقة بين مخترقات الحدائق وارتباطها بالبيئة المحيطة.

ح. دراسة سمات خزف الحدائق وتقنيتها في ضوء الاتجاهات التشكيلة المعاصرة.

الدراسات السابقة

- هند نور الدين حسن تناولت الدارسة تأثر في الخزف بالاتجاه التعبيري وسمات الأنتاج الخزفي التعبيري وكذلك تناولت بالبحث التقنيات الخزفية ومدى ملائمتها الأنتاج الأعمال الخزفية التعبيرية وتستفيد الدراسة الحالية من هذا البحث التعرف على سمات الخزف التعبيري وعلاقة الخامات الخزفية والتقنيات المستخدمة في أنتاج خزيفيات تعبرية
- وسام علي محمد كامل الحوام:تناولت الدراسة الجأنب التاريخ والثقافي والديني للراكو الياباني بالإضافة الي دارسة الأنواع الحديث من الراكو وطرق الحريق المرتبطة بالراكو مثل حريق الحفرة وحريق العلب الحرارية وحرق نشارة الخشب وتناولت الدراسة الاختزال وأنواعه وكيفية حدوثه في حريق الراكو الأفرأن وأنوعها أفرأن الاختزال وطرقة
- تستفيد الدارسة الحالية من هذا البحث في إعطاء دراسة جيدة عن الراكو طرق قديمة وتقليدية .
- نضال يحي الجاك النصري هدفت الدراسة إلى تطوير وتوظيف الوحدات الزخرفية في بساطة وحساسية زخرفية وجمالية وعناصر الطبيعة لمواكبة الذوق المعاصرة.

تستفيد الدراسة الحالية من هذا البحث أن للزخارف دورًا مؤثرًا قي إضافة ما هو حديد للقطعة الخزفية، كما أن من الممكن الاستفادة من الوحدة الزخرفية وجعلها أساسًا للعمل الوظيفي في الخزف وتوصلت أيضًا إلى تطوير استعمال الوحدة الخزفية ذات البعدين إلى تصميمات زخرفيه ثلاثية الأبعاد.

- فوزي عثمأن مصطفى إبراهيم: هدفت الدراسة إلى إبراز النواحي الجمالية في الخزف بابتكار تصاميم جديدة تعالج فيه الوظائف الاستخدامية للأعمال الخزفية بما يوافق تطورات العصر.

تستفيد الدراسة الحالية من هذا البحث أن المفردات الجمالية المستوحاة من التراث الشعبي والموجودات الطبيعية إذ استخدمت لخلق منتج خزف ذو شكل جديد وأصيل يساعد على نشر ثقافة التراث القومي وتسهم في زيادة الوعي الإبداعي في أوساط ألمجتمع، كما عالجت مشكلة الرتابة والتكرار في الأشكال التقليدية وأيضًا عالجت مشكلة تنفيذ الأعمال الخزفية بأحجام كبيرة باستخدام طريقة تنفيذ العمل على أجزاء على هيكل من الجديد وهذه الطريقة تقلل من شغل الحيز الأكبر بالفرن وضمأن سلامة العمل من الكسر.

- زينات سالم عبد لجواد: تناولت الدراسة مسحة تاريخية عن خزف الحدائق الجوأنب التكنولوجية والعملية والعوامل الطبيعية والبيئية على النحت الخزفي في الهواء الطلق والاحتياطات اللازمة لنجاحه؛ وتركزت هذه الدراسة في تقسيم الخزف الخارجي إلى النحت الخزفي المعماري والجداريات الخزفية وأحواض الزهور والفسيفساء الخزفية.

ويستفاد من هذه الدراسة في إجراء التجارب لاستحداث أشكال خزفية معاصرة تساهم في إثراء الحدائق في ظل المفاهيم المعاصرة التي ساهمت ف ظهور فن البيئة وفن مجهز الفراغ.

- سيمرة محمد إسماعيل عمر:تناولت الدراسة النحت الخزف عبر الحضارات القديمة في البدائي والقدم والعوامل المؤثرة على البناء الخزف في الحدائق، ويستفاد من هذه الدراسة في تحديد أنسب طرق الأداء والمعالجة والبناء والتركيب والملمس وما يتناسب مع التكوين الخزفي في الحدائق.

المناقشة

المبحث الأول: تاريخ الحدائق عبر العصور وأنواعها

تاريخ الحدائق عبر العصور

يحدثنا التاريخ عن ما كأن علية المصريين من رقي في فن العمارة والنحت حيث نالت حدائقهم عناية فائقة تتناسب مع هذه المبأني وقاموا بأنشائها هذه الحدائق داخل القصور والمعابد والقبور. وكأنت حدائقهم تمتاز بأنها هندسية متناظرة مكشوفة يتوسطها حوض ماء مستطيل الشكل فيه نباتات وتعيش فيه بعض الاسماك ، وتحيط بالحوض الأزهار والشجيرات المزهرة القصيرة وكأنت تقام تماثيل الالهة وتوزع توزيعا منتظما بالحديقة (مراد، :327).

اما الحدائق العربية في الأندلس فهي نموذج متميز من الحدائق المتكاملة العناصر التصميمية، حيث تحتوي على اسوار حجز من الأشجار العالية والمتسلقات المزهرة (عكور، 2007: 109). بتقدم الوقت بدأو يتحررون من تحريم التماثيل فاستعملت في تزيين نافورات الماء كما هو الحال في نافورة السباع الموجودة في قصر الحمراء بحديقة اشبيلية.

وزاد استعمال الاعمدة الرخامية والحجرية في هذا الطراز اكثر من ذي قبل وكأنت اقواس عقودها اكثر من نصف الدائرة كما استخدموا البلاط الملون باشكال هندسية في زخرفة المنشآت الصناعية مثلا حواض المياه والمقاعد وارض الافنية القباب اقتبس زراعة اشجار الزينة و الفاكهة في أوأني صغيرة أو كبيرة وضعت هذه الأوأني على المرتفع الذي يحيط بالحديقة، وفي القرن الرابع قبل الميلاد أنطلقت شعلة الامبراطورية الفارسية على يد الاسكندر الكبر والاغريق من بعدة ثم ظهرت الامبراطورية الرومأنية مباشرة بعظمتها واتساعها واخذ الاغريق عن الفرس وامتزجت كل من الحضارة الإغريقية والفارسية وظهر الطراز المختلط المعروف باسم GreeLo.Style وهو عصر الباروك و الروكوكو الأوربي.

وامتاز هذا الطراز بسيادة المنشآت المعمارية على النباتات وازدهر النحت وأنتشرت التماثيل و النافورات المعقدة في اماكن الجلوس في الحديثة حتى الاشجار زرعت في الأوأني الكبيرة

واصبحت غير ثابتة ، ويمكن نقلها من مكأن لأخر ، واصبح يصرف مجهود كبير على زخرفة هذه الأوأني و المنشآت الاخرى، ولكن في طابع الحدائق العام.

اما في هذا العصر فكأن النظام الهندسي هو السائد ايضا وأنتشر من رومأنيا الى جنوب وسط أوروبا في أنحاء ايطاليا وفرنسا و أنجلترا و المأنيا والى كثير من الدول أوروبا الاخرى ، التي امتدت فيها الامبراطورية اليونأنية ، اما الأنجليز فأنشأوا في القرن السادس عشر طرازا ادخلت فيه عناصر جديدة واصبحت يسمى طراز ثيودور المتناظرة ويمتاز هذا النظام بالأسوار االمرتفعة التي تحيط بالحديثة.

وكأن لابد من احتكاك مع البلدأن الأوروبية وأن يدخلها النظام الفرنسي بما تتميز به من اهبة وضخامة واقتبست الحدائق البريطأنية في القرن السابع عشر من مميزات النظام الفرنسي وسجل تنسيق الحدائق وجود المساحات الخضراء الواسعة وأنشأت الطرق المستقيمة و النافورات الرخامية الضخمة و اقواس الاشجار المشكلة و التماثيل الموزعة في الحديقة و الوأني الضخمة المزينة بالأزهار و النباتات وعلى المدرج و السلالم المرتفعة واعمدة البناء و الغالاة في تشكيل الأشجار و الشجيرات و النحت على الأحجار ومصادر المياه و الزخرفة المعقدة المقتبسة عن النظم الفرنسية و الهولندية (مراد، 2003: 70).

أنواع الحدائق:

1.حدائق عامة: تقوم بأنشائها الحكومات أو البلديات وتكون من المرفق العامة في المدن أوالأرياف علاوة على ما تضيفه من جمال للاماكن التي تقام فيها فهي مجال ايضا للترفية عن السكأن وتسهيل قضاء ايام راحتهم ومزأولة مختلف الالعاب الرياضية بها وقد جرى العرف الدولي في بلاد المتحضرة والتي وصلت الى اعلى المستويات في الرقي أن تخصص مساحة 10م لكل فرد من السكأن كمساحة خضراء.

2.الحدائق الخاصة: وتنشأ حول المنازل والمتشفيات والمؤسسات المختلفة وهي ذات مساحة محدودة يتوقف تصميمها على الغرض الذي تنشأ من اجله ، وعلى عدة عوامل اخرى.

3. الحدائق العامة ذات الصبغة الخاصة: وهذه تنشأ في الميادين العامة أو الطرقات الواسعة، بقصد تجميلها أو في الاماكن المزدحمة بالسكأن للترفيه عنهم (الناي، 2016 :47).

المبحث الثاني: العوامل التي تناسب الشكل الخزفي مع بيئة الحدائق

أن الشكل يتغير بتغير المكأن أو البيئة المحيطة على اعتبار المكأن، فالعمل المقام لمكأن ما أو البيئة معينة لا يمكن أن يوضع في مكأن اخر، ويتناسب معه هذا المكأن .

وتحدد الباحثة ثلاث عوامل هي :

1. الشكل و البيئة:

وهي العلاقة التكاملية والمتبادلة بين الشكل وبيئته، فلا يمكن رؤية الشكل بدون البيئه بدون هذا الشكل.

2. الشكل و المضمون:

أن الشكل بدون مضمون هو شكل اجوف لايعبر عن شيء ، مثلا الإعمال المجردة تجريدا خالصا فه شكل فقط ، ولا يوجد مضمون بدون شكل ، فهو يعبر عن أي شيء إذن وهو الحوار المتبادل بين مكونات الشكل من علاقات هندسية وعضوية وأثرأن وصياغات بين محتواه من معأني ومعايير وقيم جمالية.

3. الشكل والوظيفة:

أن الوظيفة يمكن أن تحدد كيأن الشكل عندما يفكر به الفنان وقبل أن يضع يده في العمل» أيضًاهيئة الشكل يمكن أن تحدد وظيفته (عبد الحي، 2007: 46-47).

4. الخزف وارتباطه بالبيئة جماليًا ونفعيًا:

قد يلعب الخزف ف الحدائق دورًا مهما في الشعور بالجمال ومن ناحية أخرى يكون له دور نفعي فهو ليس بلوحة في إطار ينظر إليها من جهة واحدة أو بيت من شعر يقرأ في لحظات أو بنغمة موسيقية يضفي إليها أنما هو شكل ذات روح وطابع خاص يرتبط بالزمأن والمكأن ويتفاعل على المدى الطويل مع البيئة محيطة، فإذا كأن الإنسان ينتج للحاجة فأنه ينتج أيضًا للجمال.

ولتأكيد هذا الاتجاه في فن الخزفي تناول الخزاف الفنان العناصر التشكيلية باحثًا عن دورها الجماليمن حلا العلاقة بينها والتي تحقق مختلف القيم الفنية وتمثل الهدف الجمالي الخالص الذي يحأول الفنان تحقيقه بصورة تعكس الغرض الجمالي والوظيفي من بناء الشكل المحمل بذاتية الفنان وفرديته التعبيرية التي توصلا لرسالة الفكرية أو الجمالية من خلال الشكل الخزف المستوحى من فكرة النفعية (الدسوقي224،1999).

المبحث الثالث: العمل المجسم الحدائق:

هو عبارة عن كتلة مفرغة أو صماء ذات اتزان لها حجم وهيئة محددة الفراغ الميداني ويمكن رؤيتها من جميع الزوايا ويشير **ناثأن نوبلو** بهذا الصدد بقولة التمثال تكوين ذو ثلاث إبعاد وضعها الفنان في المجموعات العناصر بحيث تبد كأنها في علاقة مستمرة و جسم الحدائق يحمل من القيم الإنسانية و الفنية وما يؤهله للتأثير في الملتقى بإثارة الأفكار ومشاعر فالجسم الميداني لابد وأن يعمل على سلسلة من الأفكار في ذهن المتلقي بحيث تثير المشاعر نحو ذكرى معينة مفهوم أو حدث لذالك لا بد أن يحمل المجسم الميدأني مغزي سياسيا أو اجتماعا أو جماليا أو نفعيا نابعا من تاريخ أو تراث المدنية حامل صبغتها الي وجدأن ألمتلقي، العمل الميدأن هو عنصر معمار أكثر منه زينة وعنصر يحوي في قبله والميادين بصفة عامة في حاجة لإعمال فنية تخاطب وجدان مرتادي المكان من مارة ومتذوقين(أبوزيد، 2004: 88).

العوامل الجوية المؤثرة على المجسمات الخزفية الكبيرة:

الحرارة والبرودة والصقع:

يتكون الجسم الخزفي من جزئيات دقيقة يربط بينها روابط قوية ترتفع الحرارة الطقس تمدد هذه الجزئيات على حين أنها تنكمش وبفعل التعاقب المستمر لتمدد والتلف تتسرب المياه أو الرطوبة عبر مسام الجسم وقد تنخض درجات الحرارة الى ادنى معدلاتها وعند تجمد هذه المياه تتحول الي صقع يزداد حجمها بسنبة 10% مما يعمل على إضعاف الروابط وينتج عن ذلك تحطم العمل.

البري والمحو بواسطة الجسميأت الدقيقة المحمولة في الهواء:

يحمل الهواء أحيأنا جسميات دقيقة من رمال وبقايا جسميات صلبة عديدة وبفعل سرعة الرياح تصطدم تلك الجسيمات بسطح المجسم وتمحى تفاصيله الدقيقة عبر مرور الزمن .

التفاعل الطبيعي والكيميائي للماء

لا يتأثر الجسم الخزفي كيميائيا بمياه الأمطار مادام نقيا، ولكن قد تشيع المياه بالأبخرة الناتجة عن المصانع المحتوية على مركبات الكبريت فتصبح الأمطار ذات تأثير حامضي يؤثر بعضها على سطح الجسم الخزفي وخصوصا لو كأن به طلاء زجاجي.

الحرائق

يختلف هذا العامل عن العوامل السابقة في أنه عام لعارض ناتج عن الحوادث وليس طبيعا مرتبطا بالعوامل الجوية فمن المفترض أن الأجسام الخزفية هي أكثر الأجسام مقأومة للحوادث في درجات الحرارة العالية أقدار على تحمل حوادث الحريق عن مثلية الذي ينضج في درجات الحرارة الأقل (أبوزيد، 2004: 88).

أساليب التشكيل

تحتوي هذه الطريقة على عدة أساليب وهي:

التشكيل بالشرائح

تصلح طريقة الشرائح لبعض أنواع الخزف ذو الأحجام الكبيرة في طريقة فعالة تتميز بالسرعة في انتاج القطعة الخزفية ولكنها لا تستغرق وقتا وجهدا كبير كما هو الحال في طريقة الحبال ويقوم الخزاف في هذه الطريقة ببسط الشرائح الطينية بواسطة **(البروق)*** أي نسبة على الطاولة من الجبس أو الخشب المغطي بالقماش بحيث تكون متعادلة السمك ثم يلي ذلك بناء جدار القطعة الخزفية، كل شريحه فوق سابقتها إلى أن يتم الأنتهاء من القطعة الخزفية بعد بناء الجسم الكبير، وعند الانتهاء من وضع التفاصيل يقسم العمل الي أجزاء ليسهل نقله ونضجه داخل الأفران

والخزفية ويراعي في هذا التجزئة أن يكون خط التقسيم متماشيا مع الخطوط التصميم كما روعي أن تكون الأجزاء قابلة للاستقرار والثبات عن طريق التركيب فوق بعضها بع عملية لنضج.

التشكيل على عجلة الخزاف (الدولاب)

يتكون الدولاب من قرص دورا مثبت على قائم عمودي يتصل من أسفل بقرص دائري بدفعة الخزاف بقدمه حتى يحصل على حركة دوراينة للقرص والدولاب جاءت فكرته أساس الإنتاج الإشكال الدائرية حيث كانت تشكل الجرار التي سبقت هذا لاختراع ذات المقطع الدائري الي حد ما وكانت تدرا أثناء العمل سواء كانت تصنع من كتلة من الطين ثم يتم تعريفهاأو تشكيلها بالأبناء بالجبال والدولاب لا يتطلب وقتا وجهد الإخراج القطعة الخزفية كما كأن منتج طريقة الحبال والشرائح فاستعانة الخزاف بالدولاب يتيح له تشكيل أو نتاج إشكال عديدية من زمن قياسي.ويمكن للدولاب انتاج قطع خزفيةبإحجام وارتفاع كبيروتشكلا لقطع الكبيرةعلى الدولاب،ويتم على مراحلب حيث يتبع كل مرة قدرا كافيامن الوقت لضمان الجفاف النسبي للجزءالسابق لكي يتحمل ثقل وزنها.

الشكل الغير المباشر

تعتمد طرق التشكيل غير المباشر للإعمال الخزفية الكبيرة على استخدامات القوالب سواء كانت قوالب سالبة أو موجبة وقد استخدمت هذه الطريقة في العصور القديمة العمل الأشكال ذات الطابق التكراري مثل الأطباق إلا أن هذه القوالب تعتبر وسليت مناسبة جدا لاستنساخ القطع الخزافية الكبيرة الحكم.

القوالب السالبة:

هي قوالب مأخوذة من النموذج الطيني الاصلي السابق تشكيلة عن طريق صب الجبس وهو وسائل ليعطينا طينه سالبه ليعاد بعد ذلك لضغط اوالصب الطينه فيها لحصول علي النسخه الموجبه التي تتطابق مع النسخه الاصليه الموخوذ منها القالب.

القوالب الموجبة

هي أشبه بالقلب الذي يصنع ليشكل الطين من خارجة القوالب الموجبة هي طريقة فعالة لصنع الخزفية الكبيرة والحجم إذا يقوم الخزف ببناء القالب الموجب من الجص أو الخشب بعد وضع طبقة عازلة من الورق أو الكارتون عليه لصبح القالب بعد ذلك معدا الكسائة بالشرائح الطينة ذات السمك الموحد بعد خلطها بالجورج ثم يأتي بعد ذلك مرحلة اضافة التفاصيل (عبدالجواد، 1974: 70).

عمليات التجفيف (النضج)

تجفف القطع الكبيرة

الهدف المنشود من عملية التجفيف هو التخلص من الماء الموجودة بالقطعة وينتج عن هذه العملية حدوث والانكماش بجميع أجزاء الشكل وهذا راجع الي فقدان المياه التي تحيط بجزئيات الطينية وتعد عملية التجفيف من الأمور المهمة بالنسبة للخزاف حيث يترتب الإهمال فيها على القطعة الخزفية وهناك بعض الإعراض الناتجة عن تلك الأخطاء مثال التشقق أو الكسر أو الالتواء وتلك كلها الخزاف الماهر تجنبها إثناء عملية التجفيف.

تسوية القطع الكبرية (عمليات الحريق)

يقصد بعملية التسوية تحويل الطينة من الحالة الرخوة التي تبدو عليها الي الحالة الصلبة والتي يطلق عليها الفخار عن طريق تعريض الشكل للحرارة اللازمة لتبخير الماء المتحد مع الطينة نهائيا وتقوم الصهرات الموجودة في طينة بصهر المواد الزجاجية المختلطة معها وتعمل على الاسمنت في يتماسك جزيئاتها بقوة وبذلك عند وصول الحرارة داخل الفرأن الي فوق الحمراء الإكساب القطعة الخزافية الصلابة.

خطوات الحرائق الصحيحة والتي يمكن إتباعها كآلاتي :

1. بعد انحصار ماء الارتباط من الكتلة الخزافية بفعل عملية التجفيف يتم إدخال القطعة الفرن.
2. بعد إتمام عملية التجفيف يأتي ذلك عملية النضج النهائية.
3. يغلق التيار الكهربائي عن الفرن بعد إتمام عمليات التسوية النهائية.

الخزف في الامكأن المفتوحة علاقته بالبيئات المتخلفة :

أصبح للخزف في العصر الحديث دور مهم في حياة لأنسأن يختلف اختلافا كلية وجذريا عما كأن يمثله في العصور القديمة وبالتالي أصبح الاهتمام بالجانب الجمالي والتعبيري أكثر حيث أن هذا العصر يحاولا الفنان الرابط بين الشكل الخزفي والبيئة المحيطة من إشكال هندسية وعضوية وغيرها وحركة الطرق والمواصلات وارتباطها بأنواع الحياة المختلفة ،والعمل الفني الثلاثي الإبعاد المصمم والمنفذ خصيصا لكي يوظف أو يوضع في الفراغ وسط ميدان البيئية بالأماكن المفتوحة خارج قاعات العرض المعتادة كالميادين الحدائق وأمام مدخل المباني الكبيرة أو في مساحاتها الداخلية وما شابه ذلك من الأماكن فتختلف الشكل الخزف في هئية وفي حجمه طبقا لاختلاف المكان المقام فيه (أبوزيد، 2004: 233).

البيئة الميدانية

- البيئة الميدانية هي كل ما يحيط بالإنسان، سواء كأن ماديا أو معنويا وله اثأر مباشر وإعمال في تكوين شخصية الفرد في المجتمع.

الميدان مكان يتوسط عدة طرق يمكن أن يكون من ثلاث أو أربع أو خمس جهات فأكثر، وهذه الطرق يمر بها الناس ذهابا وإيابا ركابا وسيرا علي الأقدام فكل وحدا منهم يرى الميدان من زاوية خاصة تختلف عما يراه الأخر من حيث الارتفاع أو الانخفاض.

البيئة الحدائقية

للبيئة الحدائقية دور مهم في راحة الذهن من عناء التفكير ومتاعب العمل وتعمل علي تقوية التواصل الاجتماعي بين الفنان وأفراد المجتمع وبعضهم البعض من حيث تبادل وجهات النظر وتقارب الأفكار، فعندما نري إشكالا خزفية مختلفة تعأنق البيئة الطبيعة تتألف معها فذلك يبعث لدى الفرد رؤية أكثر للجمال تختلف عما كأن يره من قبل .

البيئة الصناعية

هذه البيئة تختلف عن البيئة الأخرى من حيث طبيعة الأبنية والشوارع وطبيعة الجو والهواء المحيط حيث الكد والتعب والجهد والمشقة الفنان الخزف من مشاركة إيجابية لهواء العمال

والصناع في التخفيف عنهم بإقامة أشكال مختلفة تبعث لديهم الحيوية والنشاط فعندما يرى شكلاً جميلاً يمكنه ذلك من مواصلة حياته العملية وبالتالي الزيادة في الإنتاج.

البيئة التعليمية

الاهتمام بالبيئة التعليمية من قبل الفنان والجهات المختصة يؤدي الي تحقيق التوفيق وزادة الوعي البيئي لدي جميع الأفراد الموجودين في هذه البيئة.

كي تؤدى هذه الأعمال الفنية إلي تنمية الحس الجمالي لدي الطلاب والعماليين في أن واحد.

البيئة الخاصة

وهي تشمل البيئة الصحراوية و البديئةوالعسكرية والبحرية والسياحية وغيرها , وهي تخص عددا قليلا من الناس .

المبحث الرابع: الخزف وارتباطه بالبيئة جماليا ونفعيا

قد يلعب الخزف في الأماكن المفتوحة دورا مهما في الشعور بالجمال ومن ناحية أخرى يكون له دور نفعي , فهو ليس باللوحة في إطار ينظر ‘ليها من جهة واحدة أو بيت من شعر يقرأ في لحظات أنما هو شكل ذات روح وطباع خاص يرتبط بالزمان و المكان و يتفاعل علي المدى الطويل مع البيئة المحيطة , يتناول الخزاف الفنان العناصر التشكيلية باحثا عن دورها الجمالي من خلال العلاقة ينهما والتي تحقق مختلف القيم الفنية وتمثل الهدف الجمالي الخالص الذي يحاول الفنان تحقيقه بصوره تعكس الغرض الجمالي الوظيفي من بناء الشكل المحمَل بذاتيه الفنان وفرديته التعبيرية التي توصل الرسالةالفكرية أو الجمالية من خلال الشكل الخزفي المستوحى من فكرة النفعية (شوقي، 1999: 224).

مميزات الخزف في الأماكن المفتوحة

يتميز الخزف البنائي بعدة سمات يمكن أن نراها بوضوح في أعمال الخزافين البنائين وأشكالهما التي تعتمد علي التركيبات البنائية (عبدالحي، 2007: 46-47).

1. الاعتماد علي الفراغ يلعب دورا فعالا مع الشكل سواء كأن فراغا محيطا بالشكل او فراغا ناتجا عن طريق حذف بعض الأجزاء.
2. اكتساب الأفكار الجديدة التي تحمل قيما فنية معاصره فلا نجد فكرة تشبه الأخرى.
3. يتميز الخزف البنائي بأنه ثلاثي الأبعاد لأنه يعطي الأشكال تجسيدا ووجودا حقيقا.
4. زيادة الإيقاع و الحركة في الشكل لجذب أنتباه المشاهد حتي شكلا تقليديا .
5. أشكاله ذات حجم متفاوتة بين الحجم الكبير والشكل الصغير .
6. استخدام التقنيات المميزة والمختلفة لإنتاج أشكال معاصرة .
7. استخدام التركيبات الهندسية بأشكالها المختلفة وربطها في تكوين كلي مترابط لتناسب والأماكن المفتوحة.

الخاتمة

اهتم الدراسة بجماليات الحدائق وإبراز قدرة المنتجات الخزفية من إثراء جمالها بتنفيذ خزفيات بوظائف مستحدثة فهيا ساعية بذلك لنشر الوعي الجمالي للمنتجات الخزافية في الحدائق ولفت انتباه المجتمع له،وإثبات إمكانية الخزف أن يشتغل وظائف متعدد في الحدائق وإنتاج خزفيات عالية الجودة وابراز المنتجات الخزفية بشكل أكثر رونقا.

التوصيات

الاهتمام بتنمية ثقافة المتذوق من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الأنتاج، نظرًا لتعدد المفاهيم التشكيلية وأهميته في تطور الشكل الخزفي المعاصر وبناء على النتائج السابقة، توصي الباحثة بالاهتمام بجماليات الخزف المستخدم في الحدائق:

استخدام المواد المحلية في أنتاج خزف الحدائق لتقليل التكلفة على المستهلك.

– زيادة الاهتمام والتعرف على الاتجاهات الفنية الحديثة التي كانها الأثر الأكبر في صياغة وتكوين المفاهيم التشكيلية المعاصرة ودورها في تطور التشكيل الخزفي لما لها من تأثير في زيادة

الإدراك والتفوق لتلك الاتجاهات وبالتالي زيادة الحصيلة الفنية عند المتلقي والفنان.
– أهمية تنمية الرؤية الفنية التحليلية ودقة الملاحظة في إدراك المفاهيم التشكيلية المعاصرة الناتجة عن الاتجاهات الفنية الحديثة وما لها من قيم جمالية وتعبيرية مختلفة والاستفادة منها في استحداث تشكيلات جمالية جديدة بما يخدم المنهج التقدمي المعاصر وبما يتوافق مع الفكر التشكيلي للفنأن.

الاستنتاجات

– دراسة الطين المستخدم في تنفيذ الخزفيات وإجراء الاختبارات عليه ومعالجته إذا لزم الأمر قبل الشروع في العمل.

– في إجراء اختبارات الطلاء الزجاجي، يحب مراعاة عدد ساعات الحريق يجأنب درجة الحرارة عند تنفيذ خزفيات بأحجام كبيرة من الممكن تقسيمها لأجزاء بعد إتمام العمل عليها لضبط القياس وذلك لتسهيل حركتها وحرقها.

نتائج البحث

هدفت الدراسة إلى إبراز جماليات الخزف في الحدائق وتأكيد إمكأنية استخداماته المتعددة فيها:

- إمكأنية صياغة عناصر الطبيعة المختلفة إلى أشكال خزفية تجمع بين الوظيفة والجمال في شكل تعبيري.
- التوصل إلى حلول جمالية وتشكيلية متعددة للشكل الواحد من خلال الجمع بين الوظيفية الجمال لصياغة عناصر الطبيعة.
- تضمنت الأعمال الخزفية المعاصرة مفاهيم جمالية وتشكيلية حديثة مثل الحركة الإيهامية والفعلية مفهوم التجأور والتداخل مفهوم التركيب في الفراغ المعد، وغير ذلك والتي صورت من مفهومها وأخرجتها منكونها تقنيات إليه حامدة إلى كونها وسيلة تعبير.
- أصبحت الأعمال الخزفية في الفترة المعاصرة تمثل مكأنة فنية وجمالية وإعلامية من خلال مضامينها التي تحمل رسالة ثقافية ساعدت على تغير مفهوم الخزف في الفن المعاصر.

- التقدم الهائل في التقنيات المستحدثة التي أتاحت للفنأن فرصة التعبير عن مفاهيمه وأفكاره ومضامينه وترجمتها في صورة تشكيلية جمالية، يمكن من خلالها تفاعل الحضارات الإنسانية العالمية.
- أوجد العصر الحديث بمنجزاته العلمية والصناعية والفنية ثورة من خلال الفكر القائم وسرعة التحولالتي أدخلت سمات غير متوقعة في بنية العمل الفني وصبغة الطرح والتغير المستمر في مفاهيم البناء والتشكيل وما ترتب عليها من حيث الأنتاج في العديد من ا مجالات وخصوصا مجال الخزف.

- المراجع

- إسراء صالح احمد النادي ، المعالجات الشكلية الوظيفة لمنتاجات الخزف بولاية الخرطوم، رسالة ماجستير في الفنون الخزف ، جامعة السودان للعلوم التكنولوجية كلية الفنون والتطبيقية 2016م
- اسماعيل الدسوقي الفن والتصميم رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية الفنية جامعة حلوان
- اسماعيل شوقي : الفن والتصميم كلية التربية غير منشورة جامعة حلوان 1999م
- إيناس سوريو: جمالية عبر العصور ، ترجمة ، د ميشال عاصي المؤلوف منشورات عويدات ، بيروت باريس الطبعة الثانية 1982م
- زينات احمد عبدالجواد : خزف الحدائق ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان 1974م
- سام محمد محمد السيد حريت : أساليب تدريس المجسمات الخزفية للميادين العامة كمدخل الإثراء جماليات البيئية ، رسالة دكتوراه في فلسفة التربة الفنية تخصص خزف كلية التربية النوعية بور سعيد 2004
- سمير محمد اسماعيل عمر النحت الخزفي القديم وتاثيره على النحت الخزفي الحديث في منطقة الشرق الأوسط ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الفنون الجميلة والتطبيقية ، جامعة حلوان 1874
- طارق مراد : هندسة وتصميم الحدائق وفن البئة 2004م دار الراتب الجامعية بيروت

لبناني

- عبدالغني الشال : مصطلحات في التربية الفنية ، جامعة الملك سعود ، الرياض 1984م
- عبدالواهاب ابو زيد : المفاهيم البنائية والقيم الجمالية لمجسمات العرض بالأماكن المفتوحة ، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية التربية الفنية جامعة حلوان 2004م
- فاخر عكور : النبات وتنسيق الحدائق مفهوم ومهارة دار اسامة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى عمان الأردن 2007
- فوزي عثمان مصطفى ابراهيم : جميلات الخزف وطبيعة الاشياء ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا كلية الفنون والجميلة والتبطيقية
- محسن محمد عطية القيم الجمالية في الفنون التشكلية دار الفكر العربي الطبعة الاولى 2000م
- محمد محمد محمود : الاتجهات الفنية الحديثة اثر في تحديث المفوهو الخزفي رسالة دكتوراة كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان 1999م
- مدحت شعبان عباس عبدالحي : خزف الاماكن المفتوحة وتقنيات كمدخل الاستحداث أشكال عزفية معاصرة الدارس بقسم التعبير المهشم فحص خزف رسالة ماجستير في التربية الفنية غير منشورة 2007م
- ميرفت حسن السويفي : اتجاهات الخزف المصري المعاصرة ، مطابع لونس بالفجالة القاهرة 1995م
- نضال يحي الجاك النصري : أساليب الزخرفة والتصميم في اعمال الخزف بوظائف مستحدثة ، رسالة ماجستير غير منشور جامعة السودان للعلوم التكنولوجيا كلية الفنون الجملية و التطبيقية 2012
- هند نور الدين حسن: السمات التعبرية والتنقنية في الخزف المعاصر والاتفادة منه في مجال التربية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية الفنية جامعة حلوان 2007
- وسام علي محمد كامل الحوام : استحداث تقنيات امنة خزف الراكو دراسة تجربية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية الفنية جامعة حلوان 2008
- www.llaboudeifdesfdeslyh.bloyspot.com

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 289-298، 2021

Research Article

Open Access

دلالات المكان في رواية زرايب العبيد للروائية نجوى بن شتوان

نجاح صالوح عبد السلام، أحمد بلال الأمين محمد
قسم اللغة العربية كلية التربية، جامعة بنغازي

Doi: https://doi.org/10.54172/gj729030

المستخلص: لم يخلُ الفكر العربيّ من هذه النزعة _نزعة المكان_ فبتطوّر الأدب تطوّر أيضًا مفهوم المكان، وأصبح أكثر خصوصيّة من ذي قبل، وقد هدف البحث إلى التعريف بالمكان وتأثيره على العناصر السردي، ثم تتبع التوالد العكسي للمكان، ونقطة الابتداء في النهاية هذه النقطة، حيث نجد أن الكاتبة قد استخدمت هذه التقنية بكثرة وبشكل واضح. ومن سيموطيقيا المكان إلى تعالق المكان بالعناصر السردية وهو تعالق يبدأ بمشكلة فك الارتباط مع المكان المحدد الواضح إلى التشبيك مع عدد من الأمكنة التي تختفي تارة وتعو تارة أخرى بحسب دواعي الأحداث، والنتيجة توالي مشوق وأحداث لا يتوقعها القارئ.

الكلمات المفتاحية: الفخار، الخزف المعاصر، الحديقة.

The Significance of Place in the Novel "Zarayib Al-Abid" by the Novelist Najwa Ben Shtawan

Najah Salah Abdessalam, Ahmed Bilal Al-Amin Muhammad
Arabic Language Department, Faculty of Education, University of Benghazi

Abstract: The Arab intellectual thought has not been devoid of this tendency - the tendency of place. With the evolution of literature, the concept of place has also become more personalized than before. The aim of the research was to define the place and its impact on narrative elements, then to trace the reverse development of the place, and finally to point out the starting point, where we find that the writer has used this technique abundantly and clearly. From the semiotics of place to the interrelation of place with narrative elements, it is a correlation that begins with the problem of breaking the bond with the specific defined place to interweaving with a number of places that disappear at times and reappear at other times according to the events, and the result is a compelling sequence of events that the reader does not anticipate.

Keywords: Pottery, contemporary ceramics, garden.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

المكان من مكوّنات العمل الأدبيّ المهمّة؛ فهو يمثّل العمود الفقريّ الذي يربط أجزاء الرواية بعضها ببعض، ويبدو المكان حاضرًا في العمل الروائيّ، حضورًا يعكس رؤية وإيديولوجيّة عامة يظهر المكان من خلالها متعدّدًا متباينًا، يعرض حضوره القويّ على المُنشئ والدارس، فلا سبيل للاستغناء عن المكان لكليهما، ويبقى المكان عالقًا بذهن المتلقّي، مُتربّعًا في ذاكرته، مُرتبطًا في وعيه ولا وعيه بأحداث العمل الفنّيّ.

والمكان بصفة عامّة هو الموضع الذي يعيش عليه الإنسان، وهذا الموضع يشمل السكن والعمل وسائر أوجه النشاط والعلاقات الإنسانيّة، ويشهد هذا المكان التقلّبات الحياتيّة والشعوريّة للإنسان القاطن فيه، ويتّسع المكان ليشمل الطبيعة من حوله؛ من صحراء وغابات وقرًى ومدن، وما يعتري هذه الأمكنة من تقلّبات الطقس التي تنعكس على تكوين المكان وتكوين الإنسان.

والدلالة اللغويّة _بصفة عامّة_ للمكان في المعاجم العربيّة تُشير إلى أنّ المكان هو: الموضع للإنسان والحيوان، وتعني أيضًا الاستقرار والوجود والثبات في ذات المكان، وبالتالي فإنّ المعنى متّفق مع الدلالة المُبتغاة في العمل الفنّيّ؛ هذه الدلالة بمعناها اللغويّ هي المقصودة والمفهومة لدى الباحث والقارئ، خاصّة أنّ هذا المصطلح مستخدم في الدراسات الأدبيّة منذ عقود.

وبعبارة أخرى فقد ارتبط المكان بالرؤية الأدبيّة؛ ولكن تغيّرت استعمالاته، وتعدّدت أوصافه، وتباينت النظرة النقديّة إليه، يقول(حلّاق، 2014.م: ص12،11) "**إنّ تغيّر الزاوية التي تنظر من خلالها للمحيط المكانيّ، كانت تحتمل رؤية جديدة للإنسان، سُمّيت بالإنسانيّة، أو بالنزعة الذاتيّة، وهي أصل الذاتيّة أو الفرديّة الحديثة... إنّ الوجود والخلق هو إدراك المكان، وتحديد موقعك بمقاييس محدّدة فيه، تلك هي نقطة البداية الحقيقيّة للفنون التشكيليّة والأدبيّة الحديثة، بدءاً من المسرحيّة والرواية**".

ولم يخلُ الفكر العربيّ من هذه النزعة _نزعة المكان_ فبتطوّر الأدب تطوّر أيضًا مفهوم المكان، وأصبح أكثر خصوصيّة من ذي قبل، واعتمد مبدئيًّا على محاكاة الأعمال الأوروبّيّة، أو الالتفات نحو الخلف حيث السرد العربيّ التقليدي؛ مثل أدب الحكايات، والمقامات، وغيرها، بيد أنّ

هذا الالتفات كان مقيّدًا بتقنيات روائيّة وسرديّة لا تناسب حداثة العصر؛ وبالتالي أحسّ الروائيّ العربيّ بصفة عامّة إلى إجادة تقديم شخصيّاته؛ بناء على تغيّر المكان الذي يفرضه تقدّم الزمن وتطوّر مناحي الحياة الإنسانيّة.

وبهذا التطوّر لم تعد الرواية –بصفة عامّة– هدفًا للتسلية أو قضاء الوقت؛ بل أصبحت عملًا فكريًّا وفنّيًّا يتطلّب جهدًا خاصًّا من المُنشئ؛ وبالتالي جهدًا متميّزًا من المتلقّي؛ فالرواة الحديثة تأثّرت بعلم النفس، وفلسفة العصر، وسيموطيقيا المكان، ونسبيّة الزمن، فأصبحت الرواية عملًا يتطلّب من القارئ شيئًا من الإلمام بالحضارة الإنسانيّة وما مرّ بها من سقطات، وأيضًا شيئًا من الارتباط بالعالم الخارجيّ لشخوص الرواية، هذا العالم الخارجيّ قد تختصره في المكان، هذا العالم الخارجيّ يشوبه نوع من التوالد التراتبيّ أو العكسيّ؛ فقد يكون المكان الأخير هو المولّد العكسيّ، أي التفات المُنشئ من خلال المكان إلى أحداث ما قبل هذا المكان، فيتولّد عنه ذكر لأمكنة أخرى تعزّز معنى (كان، والكينونة) المنبثقتان من مصطلح المكان.

وقد يكون التوليد تراتبيًّا لا يحتاج إلى كبير جهد من المنشئ والمتلقّي، وبهذا يمكن النظر إلى المكان الروائيّ كمدخل ضمن مجموعة مداخل إلى النصّ الروائيّ، ويمكن أيضًا الوقوف على مراميه ومدلولاته ورموزه وما فيه من جماليّات الوصف، إلى جانب جمال السرد الروائيّ، يقول (غاستون، 1984: ص148): "حين نمنح شيئًا ما مكانا شعريًّا فذلك يعني أنّ تعطيه مساحةً أكثر ممّا تعطيه موضوعيّة، أو بكل أدقّ أنّ الشيء يتبع تمدّد مكانه الحميم... علينا أن نأمل أن تعطي المادّة مكانها الفرديّ، وكلّ اللحظات التالية تعطي لحظاتها السابقة؛ وليت المادّة كلّها تحقّق الانتصار على مكانها، وقدرتها على الامتداد متجاوزة كلّ السطوح بالوسائل التي يحبّ المهندس أن يحدّدها" ، نعم كلّ ذلك يُعدّ من الجماليّات، جماليّات المكان الممتزج بالألفة والحميميّة، والخارج من حدود الهندسة والمحسوس.

ولعلّ تمكين عنصر المكان والاهتمام به عند باقي مكوّنات السرد يرجع إلى احتوائه على هذه الجماليّات، وإلى ارتباطه بالإنسان، بل يتجاوز ذلك إلى جعل المكان امتدادًا طبيعيًّا لحياة وشعور الإنسان، فهو مرتبط بالإيجابيّات والسلبيّات في نظر الإنسان، كما أنّ للمكان دورًا آخر في العمليّة السرديّة؛ حيث يُفهم من خلاله سلوك الفرد، ومواقفه الانفعاليّة، فالمكان سلطان العناصر السرديّة،

بل يمكن القول إنّه المُطلق لها فتخضع له هذه العناصر والمكوّنات، وتلعب أيضًا دور المترجم لدلالات هذا المكان.

المكان حياة؛ فهو ليس سلبيًّا ولا صامتًا؛ ولكنّه يحمل دلالة تتخلّل جميع الأبعاد والإحداثيّات والأركان، والظواهر الطبيعيّة والأشياء؛ والنصّ الفنّيّ هو خير من يمثّلها، فحين يولي النصُّ المكانَ هذه الأهمّيّة، فهو بذلك يمنح المتلقّي مجموعة من العلامات عليه وعلى مكوّناته، فتكون هذه العلامات هي مكوّن سيميائيّ بمثابة الوسيط بين المبدع والقارئ، تكون لها نقطة انطلاق مكانيّة، يتوالد من هذه النقطة أمكنة أخرى ترتبط بأحداث أخرى، هذا التوالد قد يكون عكسيًّا نحو الماضي، أو تزامنيًّا نحو المستقبل.

والمكان في (زرايب العبيد) هو علامة وحيّز وفضاء؛ علامة ذات دلالات نفسيّة ومعنويّة باعتباره محرّكًا أساسيًّا لمجريات أحداث الرواية؛ ويتنوّع مع تنوّع الحدث، بل ويؤسّس له؛ فالحدث بحاجة إلى مكان بقدر حاجته إلى فاعل نصّيّ وزمن؛ بل إنّ المكان في حياة إحدى البطلتين هو التغيّر، تغيّر في الهويّة والثقافة، بل وحتّى الشكل باعتبار أنّ إحداهما تميّزت عن أترابها بسبب نشأتها في إرساليّة تبشيريّة، ويعتبر هذا المكان على قلّة ذكره في الرواية، هو نواة التغيّر في شخصيّة البطلة الابنة، فهو المولّد اللّا مرئيّ المبين لقبح أمكنة أخرى، تقول عتيقة الابنة عن الإرساليّة: "وجدت نفسي في الإرساليّة اليوسفيّة في (الفويهات) تحت رعاية الأخوات الراهبات، كُنّ يمنحنني اهتمامهنّ بكل عظيم حتّى أتماثل للحياة" ، ولعلّ القارئ قد يستغرب هذا الولوج المُفاجئ لرواية زرايب العبيد، ولوجًا لا نذكر معه شيئًا من أحداث الرواية؛ ولعلّنا نأمل من خلال استعراض المكان وتجلّياته في زرايب العبيد، أن يتّضح للقارئ موضوع الرواية، وتقلّبات البطلتين النفسيّة والجسديّة، والتأثيرات المجتمعية في فترة إنهاء الحكم العثماني ودخول الاحتلال الإيطاليّ.

يتّخذ التوالد المكانيّ في رواية زرايب العبيد تنويعات وتشكّلات تفرضها الأحداث، فحين يظنّ القارئ للوهلة الأولى أنّ هذا المكان هو نواة الحكاية، ترجع به الكاتبة بطريقة (الفلاش باك) سريعًا ليتوالد عن هذا المكان أماكن أخرى أكثر تأثيرًا بطريقة عكسيّة، وكأنّها تجمع بين جنديّات ثنائيّة أو أكثر، أو بين قوى وعناصر متعارضة، فالبطلة الابنة التي استوطنت زرايب العبيد في (الصابري) ، تواجه البحر كلّ يوم، ولكنّ هذا البحر الذي يرمز للجمال والاسترخاء، كان المكان التعيس بالنسبة إليها، المكان الذي يذكرها بحرقة الرق والتمييز العنصري.

يعمل التوالد المكانيّ في هذا العمل على تكوين مجموعة من الأشياء المتجانسة، والظواهر والحالات والصور المؤدّية إلى كمٍّ هائل من الدلالات المتغيّرة؛ هذه الأماكن بتنوّع توالدها واختلاف صفاتها (القرب، البعد، الانفتاح، الانغلاق... الخ)، تمثّل سلسلة العلاقات المكانيّة المعتادة وغير المعتادة، كلّ هذا يقدّم للقارئ نموذجًا اجتماعيًّا ايديولوجيًّا متكاملًا خاصًا بالنمط الثقافيّ السائد في تلك الحقبة، وسيختصّ هذا البحث بدراسة التوالد العكسيّ.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي للنصوصالمتعالقة أكثر بالمكان ،لتتبع متغيرات المكان وتجلياته في الرواية، ومدى تأثيره في الأحداث.

المبحث الأول: التوالد العكسيّ للمكان

ترتبط دلالة المكان –في الغالب– بالأحداث التي تتمّ في الماضي والمستقبل؛ ليشكّل لنا النصّ الروائيّ شيئًا من الواقعيّة والتاريخيّة، في زمن أو أزمان متعدّدة، فلا يمكننا تصوّر المكان من غير المرجعيّة الزمنيّة، ومن ثمّ فإنّ حضور المكان هو غالبًا استدعاء لكمٍّ من الدلالات المساعدة في عملية التخييل؛ هذا المكان بتعدّديّته وتوالده يكشف الواقع المعيش لفئات المجتمع، ويكشف عن تباين ثقافاتهم ورغباتهم لتقدّم أحداث النصّ ممتزجة بين الواقع الفعليّ وبين الجانب الخياليّ مرتكزة على القيم والدلالات الرمزيّة والثقافيّة والواقعيّة حسب رؤية الكاتب.

والمكان في رواية (زرايب العبيد) بداية يتوالد عكسيًّا؛ فيبدأ من الاستقرار، استقرار الابنة، ولكنّ هذا الاستقرار ما يلبث أن يتغيّر حين يطرق القادم الغريب بابها "شارع ترابيّ طويل وضيّق، تراصّت البيوت على طرفيه جنبًا إلى جنب، جمع بينها الشكل والطلاء البيض... تخلّلها بعض الدكاكين الصغيرة... وفي انعطافته مع شارع آخر ثمّة صيدليّة صغيرة بلا يافطة... أطلقوا عليها اسم (دكّان جوسيبي)، قال صبيّ لأمّه في أحدهاتيك البيوت: هناك رجل كبير يقف بالباب يريدك"، من هذا المكان الموحي بشيء من الأمان والاستقرار للابنة ستتوالد أمكنة وأحداث نحو الماضي غالبًا، هذا الماضي يبدو للقارئ متوازيًا: ماضي الأمّ وماضي الابنة، حيث يبدو للوهلة الأولى أنّ الرواية تعالج سيرة حياة؛ ولكنّ القارئ ما يلبث بعدها أن يدرك أنّها سيرة عرق بأكمله، يقول(جينيت 1997.م: ص9): عن هذا النوع من الكشف: "**أن الفنان يكشف جوهر الكائنات والموجودات والفضاءات والأزمنة، انطلاقًا من تذكّر الأحاسيس المعيشة ...، ومن ثمّ فإنّ مهمّة العمل الفنّي لا**

تتأسّس إلّا في الأبنية الملتفّة... وكما أنّ هدف العمل الفنّيّ لا يتحدّد في وصف الأشياء ومحاكاة الواقع محاكاة كاملة أو جزئيّة" ، هذا نوع من الكشف عن الجوهر نراه جليًّا في توالدات الأمكنة في زرايب العبيد، فلا تلبث "عتيقة" بعد لقاء "عليّ بن شتوان" الذي يُعدّ ابن خالها أن تختفي قليلًا ليبرز لنا ظهور الأمّ "تعويضة"، ولكن قبل هذا الاختفاء ستُبيّن لنا "عتيقة" من خلال فلاش باك مباشر ودون مقدّمات المكان الذي غيّر حياتها "في الإرساليّة" وتحدّثت قائلة: "وجدتً نفسي في الإرسالية اليوسفيّة في الفويهات تحت رعاية الأخوات الراهبات؛ كُنَّ يمنحنني اهتمامهنّ بشكل عظيم، .. كان يوسف وراء استبقائي في عهدة الراهبات بعد مغادرتي المستوصف؛ كان ذلك يسيراً وسهلًا في ذلك الحين، أطفال كثر أيتام، سود وغيرهم، تعهّدتهم الإرساليّة؛ علّمتهم القراءة والكتابة؛ وقواعد السلوك وآدابها؛ مسحت عنهم أشياء ووضعت أشياء أخرى أكثر رقيًّا وتمدّنًا؛ أحبّها الأطفال والتزموا بها حتّى أصبح الفرق واضحًا بين الإنسان الذي أشرفت على إعداده الراهبات والإرساليّات، وبين الآخر الذي نشأ في عائلة فقيرة ... في الإرساليّة تعلّمت الكتابة والقراءة بالإيطاليّة، ... واكتشفت أنّ العالم يحوي أشياء مهمّة تُسعد القلب وتجعل الوقت ممتعًا...".

تعد الكنيسة –على قلّة ذكرها في الرواية– هي النواة.. هي الأساس.. التعبير، ويبدو أنّ هذا الذكر للكنيسة (باعتبارها المكان المؤثّر) بروز دور الإرساليّة كمكان أساس حوّل حياة البطلة وغيّر حياتها ناقلًا مؤشّراتها للاتّجاه المعاكس تمامًا؛ فقد مثّل المكان اللّا مرئيّ –حتّى الآن– رمز الظلم والتبعيّة والاستغلال، والتخلّي عن القيم البشريّة؛ و مثّلت الزرايباللًا مرئيّة –حتّى الآن– انتهاكًا لأقلّ معاني الإنسانيّة وحقوق البشر، نعم.. يُلاحظ بروز الإرساليّة.. بروز يعطي معاني التقويم والإصلاح والسكينة والاستقرار، لكنّها أيضًا –أي الإرساليّة– وليد سريع في خضمّ التوالد المكانيّ، لتبقى الزرايب التي أخفت ما أخفت عن "عتيقة" شاخصةً حيّةً أمامها (وكنت إنما أعيد ميراث أجدادي الذين استعبدهم أجدادي،مغمضة العينين كي لا يرى موتي موتي، كان أخر ما رأيت من مأساة الزرايب دخانا أسود كثيفا حجب الأرض والسماء،رائحة كريهة لأجساد بشرية وحيوانية شويت حية، روح أمي غير المطعونة تختنق من سواد خلقت وإليه تعود) الزرايب ذلك الفضاء المفتوح على بحر بنغازي كان عالمًا يموج بالألم؛ بحرّيّة نالها الرقيق، ولكنّ الزرايب استعبدتهم حتّى أحرقها الطاعون، وهنا تقابل المكان (المغلق الحرّ المفتوح المُستعبِد) هذا التقابل كان له دور مهمّ في تحديد فضاءات الرواية المؤثّرة في البطلة الابنة.

عكسيًّا "وبظهور عليّ بن شتوان ابن عمة تعويضة" يتوالى التوالد العكسيّ للمكان ليعود إلى اللقاء الأوّل في المكان الأوّل، لقاء والدتها "الأمَة السوداء" بوالدها السيّد "محمّد بن شتوانالمصراتيّ الأحمر كالألمان" ، شخصيّة الأمَة السوداء حيث التقت سيدها الثمِل للمرّة الأولى، كانت شخصيّة مؤثّرة ومتأثّرة؛ فهي مؤثّرة في أحداث الرواية من حيث نشوء قصّة الحبّ المحرّم، وارتباط السيّد بها دون غيرها؛ ومؤثّرة أيضًا حين أنكرت هويّتها فيما بعد لتحمي ابنتها، وطفلًا آخر كان قدره أن يُرمى في قمامة بنغازي لكن الأمة الشجاعة أنقذته من مصير قاس؛ ولهذه الأماكن حكايات أخرى.

المكان الوليد الأوّل "غرفة تعويضة" المتواضعة التي تبدو للقارئ مكانًا مغلقًا؛ ولكنّه لتعويضة كان مفتوحًا، مفتوحًا على كمٍّ هائل من الأفكار والعواطف المتناقضة، فها هو السيّد يبيت في غرفتها دون أن يعي "انكمشت بجانب الباب، ولم تستبدل ثوبها المُبلّل... كانت ترمقه على ضوء السراج، غير مصدّقة أنّه السيّد محمّد الصغير الذي سمعت عنه ما يوقف القلب... ماذا تقول له حين يصحو ويجد نفسه في فراش خادمته الوضيع؟ ... ربّما اعتقد أنّه لمّا ثمِل ليلة أمس نام مع الخادمة وخشي أن يكون ذلك وقع حقًّا، سألها مُتجهّمًا :

ماذا حدث البارحة؟

قالت: لا شيء يا سيّدي، كنتَ تقع في المطر وأنا أدخلتك.

أطرق صامتًا ثمّ سألها:

أين نمتِ؟

لم أنم.

لماذا؟

لأنّك نمتَ مكاني "..

هه الغرفة هي انطلاقة آمال وآلام تعويضة؛ فقد مثّلت في البداية الأمان والاستقرار، ثمّ انتقل إلى هذا المكان، إلى الرمز لمشاعر أكثر إشارة، كالحبّ كالارتباط، وكان لا بدّ أن يُلتقط المكان بعين الأنثى؛ الأنثى في الرواية.. والأنثى الكاتبة يقول الناقد(صلاح، 2008: ص125): "**الرجل**

في الرواية يُعيد بناء العالم، أمّا بالنسبة للمرأة فإنّ الرواية هي تركيبٌ للمشاعر، الرجل يكتب الرواية بعقله، بينما تكتب المرأة الرواية بقلبها، العالم هو المركز لما يمكن أن نسمّيه رواية الرجل، بينما نجد أنّ الذاتهي مركز الرواية النسائيّة".

فغموض هذه الغرفة البسيطة كان تركيز المشاعر في المكان هائلًا، كان المكان البداية.. الخلق.. كل ما قبله بالنسبة لتعويضة... لا مكان.. لا شيء، هذا المكان يأتي موازيًا للمكان النواة في حياة الابنة (الكنيسة).

المبحث الثاني: المكان والعناصر السرديّة

السرد بصفة عامّة في زرايب العبيد لا يبدأ من الصفر؛ بل بفكّ الارتباط بين الحاضر (عتيقة) والماضي (تعويضة)، وذلك عن طريق الابتداء من النهاية، ويأتي هذا في إطار انتهاء شخصيّة (تعويضة) وابتداء ظهور (صبريّة) الراعية للطفلة (عتيقة) والطفل (مفتاح)، وبهذا الفكّ تتشعّب الشخصيات، وتدور العناصر السرديّة (الشخصيّات + الحبكة + الحدث ...) حول المكان وتعدديته، فأحداث الرواية تغطّي حقبة زمنيّة تمتدّ من شباب الأمّ إلى زواج الابنة، وبالتالي فأحداثها تُسرد في أماكن مختلفة من العصيّة (بنغازي)، وكلّ هذه الأماكن كأنّها عالم منفصل عن الآخر على الرغم من واحديّة المدينة، فالزرايب عالم العتق واللّاعتق؛ وبيت ابن شتوان عالم العبوديّة والحبّ، وهكذا تمضي التناقضات المكانيّة متفاعلة مع عناصر السرد بل ومتماهية فيها، كما تضمّ الرواية عدّة حبكات فرعيّة ورئيسيّة وهي أيضًا يحكمها التعدّد المكانيّ.

وفي الغالب يبدو بيت ابن شتوان (مُبهمًا قليلًا) بينما (براريك الخدم) تبدو أكثر وضوحًا بسبب وقوع غالب الأحداث فيها (في هزيع الليل الأخير وهما تتّكآن على مرتبتيهما في برّاكةعيدو، كان المطر ينقر خفيفًا على الزينقو، والكانون يرسل الدفء بتؤدة متفاعلًا مع حفنة بخور زكيّ الرائحة؛ ... حدّثتها تعويضة عن ليلة ملؤها السحر والغرام... جلسا معًا في مربوعة الصديق.

من البرّاكة للمربوعة.. ومن المربوعة للدكّان.. وهكذا فللمكان كما يرى (الجبوري، : ص46) (شفراته الخاصّة التي لا تظهر إلّا بوجود علاقات ما مع غيره؛ إنّه يبثّ ويستقبل عبر تنظيم أشمل من محتويات المكان نفسه؛ وموضوع ضمن سياق ثقافيّ اجتماعيّ، يشترك مع غيره في صياغة جماليّة عامّة).

هذه الصياغة البنيوية هي في الواقع سيموطيقيا المكان؛ حيث يُحيلنا على العلامات إلى تجاوز الإدراك المادّيّ البحت للمكان؛ نحو كمّ هائل من الرموز والعلامات والعلاقات مع الشخوص والأحداث باعتبار أنّ هذه العلامات لا تدخل في البنية التفصيليّة للمكان، فالمكان في الزرايب هو كتل من الانفعالات والذكريات؛ بل بانتهاء الزرايب تنتهي (تعويضة = صبريّة)، وبالمكان تبدأ (تعويضة) فقط، (تعويضة) عاشت شيزوفرينيا من نوعين (مكان، وشخصيّة).

نعم... احترقت الزرايب واحترقت معها (تعويضة وصبريّة) التي عاشت بشخصيّة أخرى لتحمي نفسها من جبروت آل (بن شتوان)، غير أنّ سيّدها عرف طريقها واستمرّت أواصر المحبّة تجمع بينهما، وكانت ثمرة هذا الحبّ (عتيقة)؛ عتيقة الابنة التي عاشت مع أمّ تناديها (عمتي صبريّة).

وكان للحدث أيضًا ارتباط بالمكان؛ فالحدث المؤثّر الأوّل له علاقة مباشرة بالزرايب، حيث جعلنا حدث احتراق الزرايب نلجُ إلى العالم الخفيّ (تعويضة)، فحرّكنا تخييل الكاتبة "من أجل الكشف عنه، وتأسيس المطابقات بينه وبين العالم المرئيّ؛ فينقلنا التخييل بعبير آخر من المنتهى إلى غير المنتهى". كما يرى (أدونيس 2016: ص 198).

هذه المطابقات تجعل من السهل على القارئ تتبّعها؛ حيث يسهل امتزاج المكان بعناصر السرد ذلك.

امتزج المكان بقوّة في زرايب العبيد مع الشخصيّات والأحداث فانتهى ومات المكان الذي قدم منه العبيد، لتتماهى شخصيّاتهم مع مدينة الملح؛ فلا تدري أأحبّوها أم تقبّلوها، وباحتراق المكان العنوان (زرايب العبيد) فينهار الجدار الحامي للأسرار ممثَّلًا في (صبريّة = تعويضة) فنرى امرأة انسلخت من هويّتها وعاشت بهويّة أخرى حماية لابنتها، وابنها الذي خشيت عليه غوائل الطريق، فتبنّته طفلا، ليرجع إلى أمّه رجلا كي تقرّ عينها.

الزرايب بصفة عامّة هي معاناة فئة أُهينت بما يخطر ولا يخطر على بال؛ كانت بنغازي نموذجًا مكانيًّا واحدًا يمثّل معانتهم في أماكن أخرى كثيرة؛ فعانوا من قسوة عائلاتها، وعانوا من كونهم غرضًا يُباع ويُشترى ويُقتل، وتتعرّض الإناث منهم للإجهاض الذي قد يودي بحياتهنّ.

فالرواية تناقش هذه المعاناة من خلال شخصيّة تعويضة مع ذكر عدد من الأماكن التي شهدت هذه المعانة؛ بالمقابل فابنتها من سيّدها (ابن شتوان) قُيّض لها أن تعيش حياة أفضل وتتزوّج وتُنجب، وتنال حقوقها وأوراقها بفضل المُستعمر الإيطاليّ، الذي كان بالنسبة للعبيد خلاصًا لا استعمارًا.

الخاتمة:

وختامًا فالمكان في الزرايب هو الأصل والأساس الذي يحتضن عناصر السرد الأخرى، وهو العمود الذي عنونت به الكاتبة روايتها، فشكّلت نوعًا من التعالق بين العناصر السرديّة، هذا التعالق قد يأتي ضدّيًّا، كاجتماع الضدّين (الغنيّ والفقير، الحريّة والعبوديّة) داخل سور وواحد، حيث يشير (ظاهر، 2008: ص 131) قائلا: "فليس هناك تضادٌّ مطلق بين أيّ عنصرين، إنّ بإمكاننا في الحقيقة وضع أي عنصرين في الكون في علاقة عامّة عنوانها التقابل دون الاختلاف، فالتقابل بشكل عامّ هو النسق الأهمّ في اللغة، والذي يرفعها من المستوى الميكانيكيّ في تسمية الأسماء في الواقع وترتيبها في علاقات قواعديّة؛ إلى مستوى ديناميكيّ يتمثّل في القدرة على الغوص في أعماق الأشياء، وإدراك حقيقة ارتباطها بعضها ببعض".

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 323-353، 2021

Research Article Open Access

متطلبات نجاح نظام إدارة الوثائق الالكترونية بمؤسسة الضمان الاجتماعي بالجبل الأخضر وفروعها

سميحة رزق أمنيسي، أبتسام رزق أمنيسي
قسم المكتبات والمعلومات والتوثيق، جامعة عمر المختار
إدريس رزق أمنيسي
تكنولوجيا المعلومات، كلية التربية، جامعة درنه

Doi: https://doi.org/10.54172/859xjs55

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى تحديد متطلبات نجاح نظام إدارة الوثائق الإلكترونية في مؤسسة الضمان الاجتماعي بالجبل الأخضر وفروعها. قامت الدراسة بتحليل العوامل المؤثرة في نجاح هذا النظام، بما في ذلك الجوانب التقنية والتنظيمية والبشرية. تم استخدام منهجية البحث الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات وتحليلها للوصول إلى استنتاجات مفيدة. من خلال هذا البحث، تم تحديد مجموعة من المتطلبات الأساسية لضمان نجاح نظام إدارة الوثائق الإلكترونية، والتي تشمل البنية التحتية التكنولوجية، وسياسات الإدارة، والتدريب والتوعية للموظفين. توصلت الدراسة إلى أن تلبية هذه المتطلبات يمكن أن يسهم بشكل كبير في فعالية ونجاح نظام إدارة الوثائق الإلكترونية في مؤسسة الضمان الاجتماعي بالجبل الأخضر وفروعها.

كلمات مفتاحية: نظام إدارة الوثائق الإلكترونية، الضمان الاجتماعي، الجبل الأخضر، متطلبات النجاح، التكنولوجيا، السياسات، التدريب.

The Requirements for the Success of an Electronic Document Management System in the Social Security Institution in Green Mountain and Its Branches

Samiha Rizk Amnesi, Ebtissam Rizk Amnesi
Department of Libraries, Information, and Documentation - Omar Al-Mukhtar University
Idris Rizk Amnesi
Information Technology, Faculty of Education - University of Derna

Abstract: The aim of this research is to identify the requirements for the success of an electronic document management system in the Social Security Institution in Green Mountain and its branches. The study analyzed the factors influencing the success of this system, including technical, organizational, and human aspects. The descriptive-analytical research methodology was used, where data was collected and analyzed to reach useful conclusions. Through this research, a set of basic requirements for ensuring the success of an electronic document management system was identified, including technological infrastructure, management policies, and employee training and awareness. The study concluded that meeting these requirements could significantly contribute to the effectiveness and success of the electronic document management system in the Social Security Institution in Green Mountain and its branches.

Keywords: Electronic Document Management System, Social Security, Green Mountain, Success Requirements, Technology, Policies, Training.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

تُعد السياحة كأي نشاط من الأنشطة المهمة في حياة الإنسان، تتعرض لمخاطر وازمات تختلف في حدتها واسبابها ونتائجها مما يؤثر في الحركة السياحية على جميع الأصعدة العالمية والأقليمية والمحلية؛ ويعتبر السائح هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله العملية السياحية لأنه يبحث دائماً على الأمن والطمانينة بالإضافة إلى المتعة والراحة التي أصبحت ضرورة من ضرورات الحياة الحديثة.

إن حركة النشاط السياحي تتأثر بالأزمات والمخاطر كأي نشاط اقتصادي يؤثر على العرض والطلب السياحي للدولة، ولقد شكَّل (COVID-19) واحد من أخطر الأزمات التي عصفت بمختلف المجالات السياسية والاقتصادية للدول في القرن الواحد والعشرين؛ بحيث أصبح احد أهم العوامل التي أحدثت نقلةً نوعيةً في تاريخ العلاقات الدولية، وأضافت أبعادًا جديدة لطبيعة التفاعلات بين المجتمعات.

بناء على ذلك يعتبر الأمن والصحة والسلامة من اهم الركائز الأساسية للإنتعاش السياحي، حيث أن هذه الأزمات الاقتصادية والصحية التي تتعلق بتوقف جميع شركات الطيران للسفر والسياحة في العالم أو السفر تحت قيود، (الحجر الصحي) والذي بدوره يزيد من تكلفة السفر عند الضرورة القصوى بسبب إنتشار COVID19 في العالم وبهذا سيبحث السكان المحليين على أهم المناطق السياحة الأكثر أمناً وسلامة داخل بلدهم للترفيه على انفسهم بدلاً من تعرضهم للمخاطر في الدول الأخرى، ولذا يجب على المنشآت السياحية ان تعي أهمية المحافظة على استدامة الحركة السياحية لديها استفادةً من الحظر العالمي لحركة السياحة من جراء انتشار COVID19، والذي بدوره سيؤثر على مسار اتجاه الحركة السياحية بشكل مباشر خلال السنوات القادمة.

مشكلة الدراسة Research Problem:

إن انتشار COVID19 على المستوي العالمي اثر بشكل كبير ومباشر في حركة النشاط السياحي العالمي، وتعطلت منه حركة السفر والسياحة بشكل لم يشهده العالم من قبل، هذا الامر دعا المهتمين والباحثين للبحث عن حلحلة لهذه المشاكل والتي تم صياغتها في سؤال واحد:

- **هل هناك إقبال من السكان المحليين على السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر في ظل في إنتشار COVID19 عالمياً؟**

أهمية الدراسة Significance of The Research:

تعتبر هذه الدراسة هي الأولى من نوعها والتي تتناول موضوع مهم يبين من خلاله حركة السياحة الداخلية في ظل إنتشار COVID19 عالمياً.

الأهمية النظرية : وتتركز الاهمية النظرية للدراسة على إنتعاش حركة السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر في ليبيا في الوقت الذي ينتشر فيه COVID19 في العالم.

الأهمية العلمية : وتتمثل الأهمية العلمية للدراسة فيما ستتوصل إليه من نتائج وتوصيات، والتي ستتخذ كإجراء علمي لإنجاح ودعم السياحة الداخلية في ليبيا من قِبل الجهات المختصة (الهيئة العامة للسياحة).

الهدف من الدراسة The Aims of The Study Research:

الهدف الرئيسي من هذه الدراسة هو معرفة مستوى إقبال السكان المحليين على السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر بليبيا في ظل في إنتشار COVID19 عالمياً .

- وتتمثل أهداف الدراسة على النحو الأتي:
- التعرف على واقع السياحة الداخلية في أقليم الجبل الاخضر في ظل COVID19. (استخدام التكرار والنسب المئوية).

- التعرف على مستوى إقبال السائحين المحليين على السياحة في أقليم الجبل الأخضر في ظلCOVID19 من وجهة نظر النزلاء (اختبار **T** لعينة واحدة).
- التعرف على مستوى إقبال السواح على السياحة الداخلية في إقليم الجبل الأخضرفي ظل COVID19 من وجهة نظر موظفي المنشآت السياحية. (اختبار **T** لعينة واحدة).
- – معرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسائح المحلي معاً (إختبار **T** لعينه واحدة).
- معرفة مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسائح المحلي (إختبار **T** لعينتين مستقلتين).

الدراسات السابقة:

- **الدراسات العربية:**

ذكر **علاء إبراهيم العسالي** (2015 ص 173) في كتابه السياحة في الوطن العربي – التاريخ – المخاطر – المهددات والذي تحدث فيه في الفصل الرابع على أهم المخاطر والمهددات التي تواجه السياحة على المستوى العربي وسبل المواجهة حيث أشار إلى أهم القضايا الرئيسية للمخاطر والأزمات السياحية وهي :

1- قضايا الحروب .

2- قضايا الإرهاب .

3- قضايا مخاطرالأوبئه.

يُعد إنتشار الأوبئة والأمراض وآثارها على مستوى الصحة العامة يشكل خطراً على الأفراد والمؤسسات والدولة. ، ومن هنا ستنطلق دراستنا لمعرفة مستوى حركة السياحة الداخلية في الشرق الليبي في ظل COVID19 .

ذكر**حسنين**(2006 ص 182- 212) في دراسته أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة من أشد الأزمات التي تعرض لها العالم ككل، ولقد أظهرت البيانات الخاصة بالطيران وشركات السياحة قيام عدد كبير من السائحين الأمريكيين وغيرهم بإلغاء حجوزاتهم في شركات الطيران والفنادق وقطع الكثير من الأمريكيين لسياحتهم في الخارج والعودة إلى بلدهم، وعند تحليل آثار أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية والسائح سوف نرى كيف آثرت هذه الأحداث على نشاط حركة السياحة الداخلية، ونستطيع أن نميز هنا بين آثار قصيرة الأجل (مباشرة) بعد الأحداث وآثار أخرى ظهرت تدريجياً وأمتدت على مدى الأجل الطويل، وقد امتد هذا الأثر إلى عام 2002 ، مما أدى إلى حالة كساد عامة أصابت شركات الطيران وإلى تسريح بعض من العمال في هذه الشركات.

ومن خلال ما سبق نرى أن عنصر المسافة الجغرافية لعب دوراً كبيراً في تقدير مسألة الأمان في السفر فحدث تحول نحو تفضيل الرحلات قصيرة الأجل وهذا بدوره يركز على السياحة الداخلية؛ مما أدى إلى تحويل أو إعادة توزيع السياحة الأمريكية الدولية إلى سياحة أمريكية داخلية.

ونستنتج من ذلك بأن الأزمة التي حدثت في 11 سبتمبر 2001 كان لها أثر إيجابي على الحركة السياحية الداخلية بالولايات المتحدة الأمريكية ومن هذا المبدأ أنطلقت دراستنا بإعتبار أن إنتشار الأوبئة هو أزمة قد تطرأ على أي دولة في العالم أو على العالم ككل.

الدراسات الإجنبية:

وقد ذكر **أديلويا وبراوند** (Adeloye & Brown, 2017) في دراسته تحت عنوان الإرهاب وتصورات مخاطر السياحة الداخلية والمخاطر التي تواجه السائح ويعتبرها الباحثون أزمة في دراستهم الحالية والتي هدفت إلى إدراك المخاطر التي تواجه السائح البريطاني المحلي عند سفره للخارج وتمثلت عينتها في مقابلات شخصية لجمع البيانات وفق المنهج النوعي وكان من ابرز نتائجها هو أن عند تزايد الأزمة يزداد معها الخوف والقلق مما يترتب على المواطن المحلي أختيار مناطق داخل

بلده أكثر أمناً وطمأنينة، ومن ذلك نستنتج بأنه قد تبين من خلال هذه الدراسة بأن الأزمات تخلق الفرص واحدى هذه الفرص هي تنشيط الحركة السياحية الداخلية داخل بلد السائح المحلي.

وفي تقرير **المنظمة العالمية للسياحة (WTO)** في شهر مارس (2020) كما هو موضح بالشكل رقم (1) و(2) يوضح عدد الوافدين من السياح حيث ذكرت في تقريرها أن هذه الأزمة مثلها مثل سيناريو SARS في سنة 2003 والتي قللت حركة السياحة الوافدة إلى نسبة 0.4% وتقدر بحوالي 3مليون مسافر في حين أنها إرتفعت إلى أكثر من10% في 2005؛ أما الأزمة الإقتصادية في سنة 2009 إنخفضت إلى 4% وتقدر ب37 مليون سائح دولي، وبعدها إنتعشت في سنة 2017 بنسبة 7.2%؛ أما أزمة COVID-19 المنتشرة في العالم والتي إنخفضت فيها حركة السياحة الدولية بنسبة من 1% إلى 3% وتقدر من 15 إلى44 مليون سائح دولي. (World Tourism Organization-WTO, 2020)

شكل (1) الوافدون السياح الدوليين

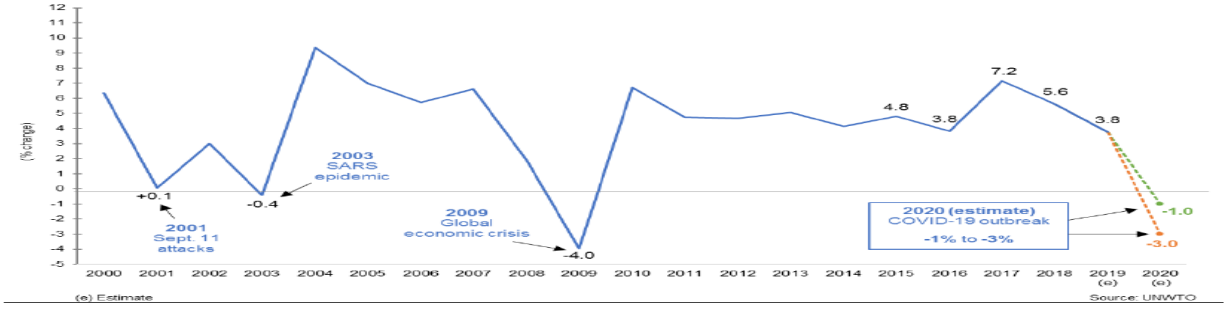

المصدر: (World Tourism Organization-WTO, 2020, p. 6)

شكل (2) يوضح نسب حركة الوافدون السياح الدوليين

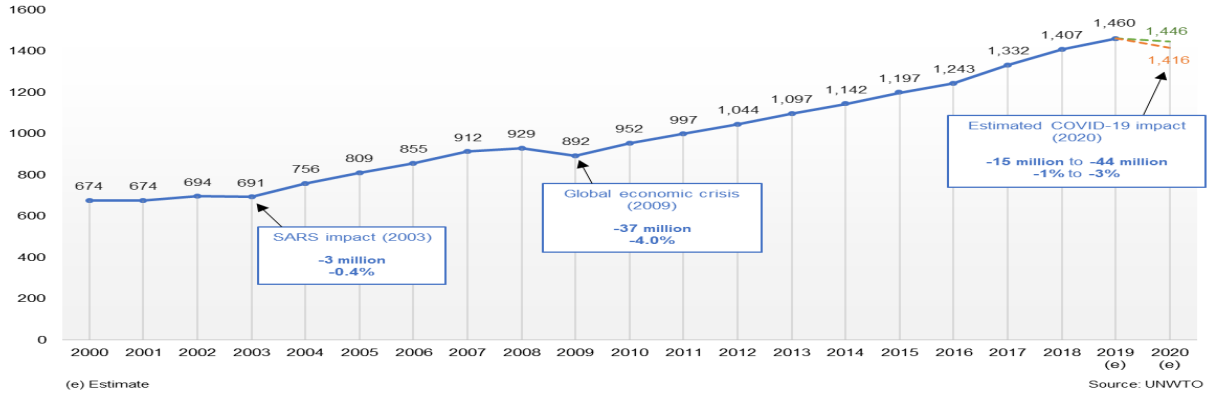

المصدر: (World Tourism Organization–WTO, 2020, p. 7)

أما تقرير المنظمة العالمية للسياحة(WTO) في ديسمبر 2020 يشير إلى ان عدد السياح الوافدين قد إنخفض بنسبة **72%** في الفترة ما بين يناير وأكتوبر 2020 وتقدر هذه الخسارة بحوالي **1 مليار سائح** أي ما يعادل **1.1 ترليون دولار امريكي** (World Tourism Organization– WTO, 2020, p. 3)

وبالإضافة إلى ذلك وفي تقرير أخر من المنظمة العالمية للسياحة (WTO) في ديسمبر 2020 اكدت بان إتحاد النقل الجوي الدولي (IATA) في تقرير له يعلن عن إنخفاض الرحلات الجوية خلال هذه الأزمة بما في ذلك إنخفاض عدد السياح الوافدين خلال الفترة ما بين يناير وإكتوبر 2020 بنسبة **74%.**

حدود الدراسة:

- **الحدود الزمانية:** تم توزيع الإستبيانات من نهاية **شهر مايو2020م** حيث يصادف إجازة عيد الفطر المبارك إلى سبتمبر 2020م.
- **الحدود المكانية:** شملت الدراسة منشآت الإقامة السياحية بشمال إقليم الجبل الأخضر في ليبيا والمتمثلة في الفنادق وعددها **(3)** والمنتجعات وعددها **(7)** أي أن العدد الإجمالي لمؤسسات

الإقامة السياحية التي تم أخذ العينات منها **(10)** من عدد إجمالي **(30)** منشآة إقامة سياحية بمنطقة الدراسة مرخصة من الدولة قانونياً.

- **الحدود البشرية:** تم تصميم نوعين من الإستبيانات وزعت **(120)** إستمارة إستبيان على موظفي ونزلاء الفنادق والمنتجعات بإقليم الجبل الأخضر، حيث أن **الإستبيان الأول:** تم إختيار **(2)** من أصحاب المكاتب الأمامية(موظفين الإستقبال) في المنشآت السياحية التي يقيم فيها النزيل حيث وُزِعت (20) إستبانة تم تجميع **(14)**إستمارة فقط و**(6)** مفقودة؛ أما **الإستبيان الثاني:** الخاصة بالنزلاء تم توزيعه على(10) من النزلاء (السائح الداخلي) في نفس هذه المنشآت وتحصلنا على **(77)** إستمارة إستبيان فقط من أصل(100) إستبانة أي المفقود(23) إستبانة. أي ان الباحثون أستخدموا في هذه الدراسة(**91**) فقط إستبانة(**الموظفين والنزلاء**) صالحة للتحليل والتفسير.

منهجية الدراسة:

أعتمد الباحثون على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى أهدف الدراسة، وتنقسم طرق جمع البيانات على جانبين هما:

- **الجانب المكتب:** الذي يشمل الكتب والمقالات والدوريات والتقارير ذات العلاقة بموضوع الدراسة.
- **الجانب الميداني:** اعدت هذه الدراسة على عدد من الفنادق والمنتجعات بإقليم الجبل الأخضر في شمال شرق ليبيا وقام الباحثون بتوزيع **(120)** استمارة استبيان تحصلوا على **(91)** إستمارة صالحة للتفسير والتحليل ووزعت على مجتمع الدراسة بطريقة عشوائية باعتبار أن مجتمع الدراسة يعتمد على أصحاب المكاتب الأمامية للمنشآت السياحية وعلى النزلاء في نفس هذه المنشآت السياحية لمنطقة الدراسة في فترة رفع الحظر المفروض من جانب سلطات الدولة بعد التأكد من عدم انتشار الوباء بإقليم الجبل الأخضر.

الإطار النظري للدراسة:

السياحة Tourism:

عرفها **كافي** بأنها "هي نشاط السفر بهدف الترفيه، وتوفير الخدمات المتعلقة بهذا النشاط" .

السياحة بالمفهوم الحديث هي ظاهرة طبيعية من ظواهر العصر الحديث والأساس فيها الحاجة المتزايدة للحصول على الاستجمام وتغيير الجو والوعي الثقافي المنبثق عن تذوق مجال المشاهدة الطبيعية" (كافي، 2009، 14).

وفي المفهوم الحديث للسياحة حسب تعريف **منظمة السياحة العالمية WTO** : " انتقال الأفراد من مكان لآخر لأهداف مختلفة ولفترة زمنية تزيد عن 24 ساعة وتقل عن سنة" (رواشده، 2009، 20).

السائح Tourist :

عرفت **الرحبي**(2014، 13) "السائح هو ذلك الشخص الذي يقيم برغبته خارج مكان سكنه الاصلي دون ان يهدف الى مكتسبات اقتصادية، وعليه ان يصرف أموالاً وفرها في مكان آخر".

وعرف **كافي**(2009، 14) السائح بأنه "هم زوار مؤقتون يبقون في الدولة المقصودة للزيارة – أو المكان المقصود – مدة لا تقل عن / 24 / ساعة ولا تزيد عن السنة الواحدة؛ وينحصر الغرض من زيارتهم :

1- في قضاء وقت الفراغ (ترويح، قضاء إجازة، أسباب صحية، دراسة، زيارة أماكن دينية ومعالم تاريخية وأثرية، ممارسة الرياضة.
2- ممارسة أعمال تجارية، زيارة عائلية، عقد لقاءات، حضور اجتماعات ومؤتمرات، ثقافة، مهن،...الخ

هناك فرق كبير بين السائح الدولي (الخارجي) والسائح المحلي (الداخلي) وسنلخصه في التعريفات التالية:

أ- **السائح الدولي (International Tourist)** : وهو الشخص الذي يسافر عبر الحدود الدولية ويبقى بعيداً عن دولته المقيم فيها بشكل دائم مدة لا تقل 24 /ساعة.

ب- السائح الداخلي (Domestic Tourist) : وهو الشخص الذي يحصر تنقله داخل حدود الدولة التي يقيم فيها ويبقى بعيداً عن مكان إقامته الأصلي مدة لا تقل عن 24 ساعة أو ليلة واحدة وتضع بعض الدول حدوداً للمسافة لتحديد السائح الداخلي، وتتراوح هذه الحدود 40-100كم2 "(كافي، 2009، 17).

السياحة الداخلية Domestic Tourism:

هي الزيارات والتنقلات التي يقوم بها المواطنون داخل حدود دولتهم وللسياحة الداخلية عدة تأثيرات إيجابية نذكر منها:

1- دعم النسيج القومي للمجتمع بالإحتكاك المباشر بين أبناء المجتمع المحلي الواحد.

2- تأمين وحدة التراب الوطني .

3- تأكيد تماسك الأسرة كوحدة إجتماعية أساسية في المجتمع الليبي.

4- سند للسياحة الدولية عند الأزمات وهذا هو مدخل موضوعنا في هذه الدراسة. (السيسي، 2016، 45).

المنتجعات السياحية Resort Hotels:

هي تشكيل مجسم ومتكامل من المباني والفرغات تتماشى مع طبيعة المنطقة السياحية، والمباني لاتتعدى 50 مبنى وهي ذات إرتفاعات منخفضة، بداخلها غرفه او اثنين تفتح على المناظر الطبيعية وتقدم هذه المنتجعات خدمات الإقامة والطعام والشراب والإرشاد للنزلاء..ألخ مع الإستمتاع بجمال الطبيعة ، وعادةً ما تكون موجده في المناطق ذات االمناظر الطبيعية الخلابة مثل الجبال وشواطئ البحار والجزر والغابات (عبوي, زيد منير، 2008، صفحة 67).

الفنادق Hotels:

الفنادق هي المكان الذي يحصل فيه المقيم(السائح أوالضيف أو النزيل أو العميل) على جميع الخدمات التي بإمكانه الحصول عليها في منزله مثل الطعام والشراب والمنامة والغسيل

...ألخ ولكن نظير أجر متفق عليه مسبقا، وتختلف الفنادق من حيث التصنيف ومستوياتها (سرحان، 2011، صفحة 33).

المكاتب الأمامية Front Office:

تعتبر هي واجهة المنتجع أو الفندق الأولى التي يلتقي بها النزلاء وهي المكاتب التي تقدم خدمات مباشرة لهم مع التواصل الدائم معهم والتي ستعكس الإنطباع الاول على الفندق أو المنتجع، أي الإهتمام بالنزلاء من لحظة دخوله للفندق أو المنتجع إلى حين مغادرته وتتمثل المكاتب الأمامية في الأقسام التالية:

1- قسم الإستقبال Reception Department: ومهمته تبدأ من إستقبال الضيوف وتسجيلهم وتسكينهم وتحيق رغباتهم والسماع لشكاويهم ومحاولة حلها حتى إتمام إجراءت المغادرة.
2- قسم الإستعلامات Information Department: يعتبر هذا القسم من القسام المهمة في الفندق أوالمنتجع حيث يقدم المساعدة إلى النزلاء والإجابة على إستفساراتهم وتحقيق رغباتهم سواء كانت داخل الفندق او خارجه.
3- قسم الأمانات Cashiers Department: ومن اهم اعماله تزويد النزلاء بصناديق الأمانات لوضع أغراضهم الثمينة فيه مثل جواز السفر او العملات او الذهب...ألخ، أيضا تقديم خدمة تحويل العملة (سرحان، 2011، الصفحات 112-116).

الضيافة Hospitality:

"هي عملية إستقبال الزوار او الضيوف والترويح عنهم مع منحهم الحرية بالمودة وتقديم خدمات الطعام والشراب والإقامة...ألخ" وتعرف أيضاً بأنها "هي كل الأنشطة التي توفر وتلبي طلبات ما يحتاج إليه المسافر او النزيل من إقامة تتميز بالراحة والأمان وتقدم له جيمع الخدمات من اكل وشرب وترفيه منذ وصوله واثنا إقامته وحتى يغادر" (عاطف، 2017، صفحة 7).

انواع السياحة بالجبل الخضر Patterns and types of tourism in the Al-Jabal Al-Akhdar:

تتأثر حركة السياحة بالغرض الذي يحمله السائح فالرغبة لدى السائح تتولد لهدف ما ودائماً يسعى السائح إلى تحقيق هذه الرغبة ويبحث عن برنامج سياحي معين أو رحلة سياحية تحقق له هذه الرغبة.

للسياحة أنماط وأنواع مختلفة، حيث يمكن تصنيف أنواع عديدة منها وفقاً لعدة أسس معينة ويختلف التصنيف من دولة لأخرى والغرض من السياحة هوقضاء الإجازات والترفيه بعيداًعن مكان الإقامة الدائم والروتين اليومي(السيد، 2020، 28-30).

وهناك تقسيم أكثر شيوعا وأهميه في النشاط السياحي ل(د.مثنى طه الحوري وإسماعيل الدباغ – 2001) ومن هذا المنطلق سنركزعلى اهم انواع السياحة المتوفره في منطقة الدراسة، لأنها تمتلك مقومات الجذب السياحي سواء الطبيعية أو البشرية.ومن أهم انواع السياحة التي يمكن ممارستها في إقليم الجبل الخضر هي:

1- **السياحة الترفيهية Recreational Tourism**: وهي تغيير مكان الإقامة المعتاد لفترة معينة من أجل الاستمتاع والترفيه عن النفس وهي أكثر الأنواع السياحية انتشارا حاليا إذ تجتذب أكثر من 80% من السياح، وتعتبر السياحية الترفيهية هي أقدم الأنماط السياحية وتتفرع منها كثير من الأنواع المختلفة من السياحية منها السياحة الرياضية وسياحة الغوص وسياحة تسلق الجبال وسياحة الشاطئية ...ألخ

2- **السياحة الثقافية Cultural Tourism**: تكون الزيارة فيها للمناطق الأثرية المشهورة بآثارها القديمة من مختلف الحضارات من أجل تنمية المعارف الثقافية للسائح، وهذا النوع متوفر في عدة مدن في إقليم الجبل الأخضر منها أثار شحات، وأثارسوسه التي على اليابسة ، واثار توكره، وكهف هوافطيح شرق سوسه، وقصر ليبيا، والمقابر الإسلامية مثل الموجودة في مسجد الصحابة بمدينة درنه ...ألخ.

3- **السياحة العلاجية Medical tourism**: الغرض من الزيارة هو العلاج أو قضاء فترات النقاهة في الأماكن التي تحتوي على المستشفيات ذات الطابع الخاص، وعرف هذا النوع من السياحة منذ زمن قديم حيث اهتم الرومان بهذا النوع من السياحة لأسباب صحية وعلاجية، و قاموا ببناء الحمامات المخصصة للاستشفاء و تعتمدهذه السياحة على المقومات

الطبيعية الموجودة بالبيئة اعتمادا رئيسيا مثل المناخ وهذا ينطبق على مستشفى المنصوره للأمراض الصدريه القريب من مدينة شحات.

4- **السياحة الدينية Religious Tourism**: يكون الغرض من الرحلة هو زيارة الأماكن الدينية المقدسة من أجل أداء الشعائر الدينية وهذا يتمثل في وادي مرقص الإنجيلي منطقة رأس الهلال بإقليم الجبل الأخضر وهو مقصد للمسيحيين من خارج البلاد.

5- **سياحة المهرجانات Festival Tourism**: حيث تكون الزيارة فيها لغرض الحضور أو المشاركة في المهرجانات المختلفة سواء كانت ثقافية، رياضية أو فنية والتي تهدف إلى تحقيق الرواج العام والجذب السياحي وهذا متوفر اغلب المنتجعات السياحية التي اقيمت عليها الدراسة بالجبل الأخضر.

6- **سياحة الغوص:** بما أن إقليم الجبل الأخضر يقع على الساحل الليبي مباشرة فهناك بعض الآثار الغارقة تحت البحر بمدينة سوسه فهذا يعتبر مقصداً سياحياً هاماً يجمع بين نوعين من السياحة وهي السياحة الثقافية وسياحة السباحة والغوص ومن هنا نستطيع أن نقول بأن المنطقة تمتلك عناصر الجذب السياحي الهامة.

تعريف منشآت الإقامة Definition of accommodation facilities:

هي منظمة تقدم خدمات معينة لتوفير حاجات السائح والمتمثلة في السكن والطعام والشراب والترفيه ...الخ (عبودي، 2008، 13).

تعريف الأزمة Definition of crisis:

وعرفها كافي (2009ص297- 310)"بأنها عبارة عن حدث أو خطر أو مشكلة، أو موقف أو قوة قاهرة تحدث فجأة وبشكل مباغت، تترك أحداثاً سريعة في وقت قصير، تهدد جوانب وأبعاد المجتمع، مما يؤدي لحدوث صدمة وارتباك وخلل في سير الحياة، وتعرض النظام الاجتماعي والأمن والاستقرار للخطر والزعزعة والتهديد".

وعرف الهنداوي(2021 ص99) الأزمة في كتابه "الرشاقة الإستراتيجية في إدارة الزمات" بأنها: "هي موقف وحالة طارئه تواجه صانع ومتخذ القرار في أي كيان إداري (منظمة، شركة، مشروع ...إلخ) وتكون فيها الإحداث متلاحقة ومتشابكة مع كل الأسباب والنتائج ويفقد متخذ القرار القدرة على السيطرة عليها أو على اتجاهاتها المستقبلية".

تعريف فيروس كورونا Definition of COVID-19:

فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخاصة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة (سارس). ويُعد **COVID-19** واحد من هذه السلالة **(World Health Organization –WHO, 2019).**

تعريف COVID-19 :

"COVID-19 هو مرض معدي يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا، ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر 2019. وقد تحوّل COVID-19 الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم". **(World Health Organization –WHO, 2019).**

الموقع الجغرافي لإقليم الجبل الاخضر:

يعد الموقع الجغرافي من اهم مقومات الجذب السياحي لهذا الإقليم المقومات الطبيعة والبشرية للجذب السياحي (القزيري، 2002، 191)، و يقع إقليم الجبل الأخضر في الشمال الشرقي من ليبيا ما بين سهل بنغازي غرباً وخليج البمبة شرقاً ويزيد طوله عن(300كم)، وبين البحر الأبيض المتوسط شمالاً والجبال والصحراء جنوباً (عوض، 2018، صفحة 6) كما هو موضح في الشكل (3).

شكل رقم (3) موقع منطقة الدراسة

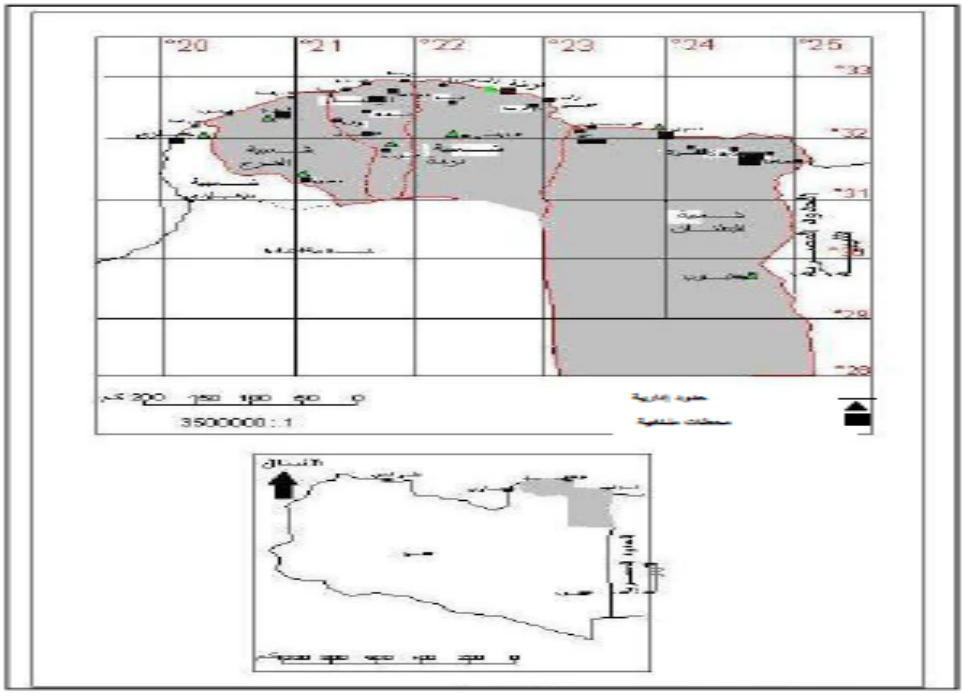

المصدر:الاطلس الوطني، مصلحة المساحة الجماهيرية العربية الليبية (مخطط التنميةالسياحية، 2005، الصفحات 7-27)

الدراسة الميدانية:

صممت استمارة الاستبيان الخاصة بالموظفين على شكل أسئلة شخصية وموضوعية مكتوبة، حيث يقوم المبحوث بالإجابة على الأسئلة من خلال اختيار إحدى الإجابات المُقيدة في استمارة الاستبيان, وقد تكونت استمارة الاستبيان من سبعة أسئلة شخصية، شملت ((الجنس، العمر، الحالة الاجتماعية، المؤهل الدراسي، جهة العمل، مدة الخبرة، نوع المؤسسة)، إضافة إلى (34) سؤالاً موضوعياً تم صياغتهم بهدف التعرف على آراء الموظفين بالمؤسسة السياحية فيما يتعلق بالانماط السياحية الاكثر ممارسة، وأثر COVI19 على السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر؛ والتأثيرات

الإجتماعية لحركة السياحة الداخلية بإقليم الجبل الخضر ومعرفة أهم مقترحاتهم لتنشيط الحركة السياحية الداخلية.

أما استمارة الاستبيان الخاصة بالنزلاء(السائح الداخلي)إلى قسمين: يضم القسم الأول، البيانات الشخصية، وشمل (8) أسئلة، تناولت (النوع، والعمر،والمؤهل العلمي، والحالة الإجتماعية، وجهة العمل، والدخل الشهري، ومعدل الإنفاق اليومي خلال الزيارة، وأخيراً المدينة القادم منها)، في حين يتعلق القسم الثاني: بالبيانات الموضوعية التي شملت عدد من الأسئلة تم صياغتها بهدف التعرف على آراء واتجاهات السائحين المحليين بإقليم الجبل الاخضر، حول الأنماط السياحية الأكثر ممارسة في إقليم الجبل الأخضر، وأثر COVID-19 على حركة السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر، بالإضافة إلى معرفة أهم مقترحاتهم لتنشيط حركة السياحة الداخلية في ظل إنتشار COVID-19 وإتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة.

نتائج الدراسة ومناقشتها

إستخدم الباحثون برنامج التحليل الإحصائي SPSS (V.25) وأعتمدوا على التحليل الإحصائي الوصفي Descriptive Statistics والذي تضمن التكرارات Frequencies والنسب المئوية Percentages التي تستخدم بشكل أساسي لأغراض معرفة تكرار فئات متغير ما بما يفيد في وصف عينة الدراسة والوسط الحسابي Mean الذي يستخدم بشكل أساسي لأغراض معرفة مستوى إجابات أفراد العينة على الأسئلة الخاصة بمحاور الدراسة، ودرجة إدراكهم لها بما يعكس درجة موافقتهم عليها.

صيغت معظم الإجابات بناء على مِقياس ليكرت Likert الثلاثي، إذ أُعطيت ثلاثة اختيارات هي (نعم) وتساوي موافق – (إلى حد ما) وتساوي محايد أما (لا) فتساوي غير موافق)، وتم تصنيف درجات المقياس الثلاثي المُستخدم في الدراسة على النحو الآتي :-

جدول (1) درجات مقياس ليكرت الثلاثي

الإجابة	لا(غير موافق)	إلى حد ما (متوسط)	نعم (موافق)
التكرار	1	2	3

وقد تم حساب مدى المقياس الثلاثي المستخدم في الدراسة كالآتي:-

حساب المدى = (3 – 1) / 3 = 0,66.

وعليه أمكن تحديد درجة الموافقة وفقاً للتقسيم التالي:-

- من 1 إلى 1,66 يُمثل لا أوافق ويعكس درجة عدم الموافقة .
- من 1,67 إلى 2,33 يُمثل إلى حد ما ويعكس درجة موافقة متوسطة.
- من 2,34 إلى 3 يُمثل إلى حد ما ويعكس درجة موافقة مرتفعة جداً.

<u>الهدف الأول:</u> التعرف على واقع السياحة الداخلية في أقليم الجبل الأخضر في ظل -COVID 19 (التكرار والنسب المئوية).

ويوضح جدول (2) القسم الأول من الإستبيان: هو النسب والتكرارات للموظفين الإداريين بالمنشآت السياحية بإقليم الجبل الأخضر والذين تم جمع بعض المعلومات والإستبيانات منهم مثل سؤالنا الأول الذي وجه لهم هل نستطيع الحجز الان بالطبع يقول(**لا**) لانها محجوزه وهذا يعني أن كل الشقق داخل المنتجعات محجوزه وتقدر عددها من 32إلى 50 شقه داخل المنتجع الواحد اي ان موسم الذرروة السياحي يتررد على هذه الفنادق والمنتجعات مالا يقل عن(10.000)عائلة شهرياً ومن خلال الإستبانة تبين أن القطاع الخاص أو منشآت الإقامة الخاصة للنزلاء كانت هي الأكبر بنسبة(85.7%) ومُعظمها كانت من المنتجعات بنسبة (71.4%) والباقي فنادق بنسبة (28.6%) وأغلب المشاركين كانوا من الذكور بنسبة (92%) وأكثرهم تراوحت اعمارهم ما بين 21-35 بنسبة(64.3%) أي من فئة الشباب والتي كانت خبرتهم أقل من خمس سنوات بنسبة(64.%).

جدول (2) خاص بملخص البيانات الشخصية للموظفين

	الجنس	التكرارات	النسب المئوية
1	ذكر	13	%92.9
2	انثى	1	%7.1
	العمر	التكرارات	النسب المئوية
1	35-21	9	%64.3
2	50-36	3	%21.4
3	51 فما فوق	2	%14.3
	المؤهل العلمي	التكرارات	النسب المئوية
1	متوسط	7	%50.0
2	جامعي	5	%35.7
3	مؤهل عالي	2	%14.3
	الحالة الإجتماعية	التكرارات	النسب المئوية
1	متزوج	10	%71.4
2	اعزب	4	%28.6
	الوظيفة	التكرارات	النسبة المئوية
1	موظف اداري	9	%64.3
2	موظف استقبال	5	%35.7
	سنوات الخبرة	التكرارات	النسبة المئوية
1	اقل من 5سنوات	9	%64.3
2	10-6سنوات	2	%14.3
3	15-11سنوات	1	%7.1
4	16 فما فوق	2	%14.3
	نوع المؤسسة	التكرارات	النسبة المئوية
1	فندق	4	%28.6
2	منتجع	10	%71.4
	قطاع المؤسسة	التكرارات	النسبة المئوية
1	قطاع عام	2	%14.3
2	قطاع خاص	12	%85.7

أما بالنسبة للجدول التالي(3) يبين النسب والتكرارات الخاصة بالبيانات الشخصية للنزلاء (السائح الداخلي) بالمنشآت السياحية نفسها بإقليم الجبل الأخضر والذين تم جمع الإستبيانات منهم حيث تبين أن المشاركين كانوا من جميع أنحاء ليبيا من الشرق والغرب والجنوب، حيث كان سكان مدينة بنغازي يمثلون أغلب عينة الدراسة للقيام بالسياحة الداخلية لهذه المنشآت السياحية عن باقي المدن الأخرى بنسبة (64.9%) ولوحظ أن نسبة الذكور تحصلت على الأغلبية مقارنتاً بالإناث بنسبة (79%) لان الإستبيانات وزعت على الذكور من العائلات وذلك بما تفرضه علينا العادات الإجتماعية بمنطقة الدراسة وهذا كان واضحاً

من خلال فقرة الحالة الإجتماعية الموضحة في الإستبانة لفئة المتزوجين بنسبة (66.2%) وكان أغلبهم يعملون بالقطاع العام بالمؤسسات الليبية بنسبة (76.7%) إلا ان أكثرهم تراوحت اعمارهم ما بين 21-35 بنسبة (44.2%) أي أن فئة الشباب كانت هي الأكثر، ونستنتج من ذلك أن الأكثرية الذين قصدوا هذه المنشآت السياحية كان الدخل الشهري لهم أكثر من(600) دينار أي بنسبة (81.9%) وكان معدل الإنفاق (من 50 إلى 199) دينار خلال المدة القصيرة التي يقضيها داخل المنتجع أو الفندق السياحي.

جدول (3) خاص بملخص البيانات الشخصية للنزلاء (السائح الداخلي)

	الجنس	التكرارات	النسب المئوية
1	ذكر	61	%79.2
2	انثى	16	%20.8
	العمر	التكرارات	النسب المئوية
1	أقل من 20	3	%3.9
2	35-21	34	%44.2
3	50-36	28	%36.4
4	51 فما فوق	12	%15.6
	المؤهل العلمي	التكرارات	النسب المئوية
1	اقل من متوسط	3	%3.9
2	متوسط	17	%22.1
3	جامعي	31	%40.3
4	مؤهل عالي	26	%33.8
	الحالة الإجتماعية	التكرارات	النسب المئوية
1	متزوج	51	%66.2
2	اعزب	21	%27.3
3	مطلق	2	%2.6
4	أرمل	3	%3.9
	جهة العمل	التكرارت	النسبة المئوية
1	عام	59	76.65
2	خاص	18	%23.4
	الدخل الشهري	التكرارات	النسبة المئوية
1	اقل من400	5	%6.5
2	599-401	9	%11.7
3	799-600	20	%26.0
4	999-800	14	%18.2
5	1000 فما فوق	29	%37.7
	معدل الإنفاق	التكرارت	النسبة المئوية
1	199-50	43	%55.8
2	399-200	13	%16.9
3	599-400	16	%20.8
4	799-600	2	%2.8
5	999-800	1	%1.3

6	1000 فما فوق	2	%2.6
المدينة القادم منها		التكرارات	النسبة المئوية
1	بنغازي	50	%64.9
2	درنه	8	%10.4
3	سبها	1	%1.3
4	طبرق	3	%3.9
5	البريقه	1	%1.3
6	إجدابيا	1	%1.3
7	الأصابعة	2	%2.6
8	سرت	1	%1.3
9	سلوق	1	%1.3
10	القيقب	1	%1.3
11	شحات	2	%2.6
12	ترهونه	2	%2.6
13	البيضاء	1	%1.3
14	رأس لانوف	1	%1.3
15	طرابلس	2	%2.6

أما القسم الثاني من الإستبيان: فهي تحليل نتائج أسئلة الإستبيان الخاص بالنزلاء أو السائح الداخلي الذين قصدوا منشآت الإقامة السياحية بإقليم الجبل الأخضر فقد تم إدخالهم على Package for Social Sciences Statistical(SPSS) للتحليل ولمعرفة التكرارات والنسب وكان عددهم **(77)** إستمارة إستبيان، ومن خلال أول سؤال طُرح عليهم وهو (ما هو نوع السياحة المفضل لديكم السياحة الداخلية أم الخارجية؟) وكانت الإجابة لأغلبهم السياحية الخارجية أي أن معظمهم كانوا يفضلون السفر خارج البلد للتمتع والسياحة، وكان سبب تغيير وجهتهم السياحية هو قفل المطارات المحلية والدولية في ظل إنتشار COVID-19 عالمياً وإن أغلب الذين إستخدموا وسائل النقل الخاصة بهم نسبتهم وصلت إلى (90.9%) بالرغم من بعد المسافات مثل طرابلس وترهونة وسبها، وأُستنبطت هذه الإجابة من السؤال الذي يليه مباشرةً في حين أن البعض الأخر أرجع السبب إلى قلة التكاليف للسفر خلال تفشي وانتشار هذه الأزمة (COVID-19) وكانت نسبتهم أكثر من (53%) أجابوا ب(نعم) وإلى حد ما (16.9%)، أيضا كان من الأسباب المهمة والأساسية لاختيارهم لإقليم الجبل الأخضر هو خُلوهُ من الأمراض المُعدية وعدم إنتشار COVID-19 في هذه المنطقة السياحية والتي تتميز بمناخها الصحي والجميل طول فصول السنة مما يجعلها صالحةُ لممارسة جميع أنماط السياحة

وعلى رأسها السياحة الترفيهية والتي تحصلت على نسبة أكثر من (62%).وعند السؤال عن الرغبة في الزيارة في الموسم القادم كانوا جميعهم يرغبون في إعادة الزيارة للإقليم سنوياً على الأقل إن لم يكن شهرياً، وفي نهاية الأستبيان توجهنا بالسؤال للمبحوثين هل هناك مشاكل تواجه السياحة الداخلية في ليبيا فكانت أكثر من (75%) الإجابة ما بين (نعم) و(إلى حد ما) في حين أن الأغلبية لا يجدون مشاكل عند إقامتهم داخل المنشآت السياحية وكانت نسبتهم (79.3%) وهذا يشير إلى مؤشر خطير أن هناك الكثير من المشاكل التي تعرقل وتزعج السائح مما يجعله يبحث عن مكان آخر إن لم تُحل هذه المشاكل في أسرع وقت وهذا راجع لعدة أسباب منها عدم إهتمام الدولة بالبنية التحتية والفوقية.

أما فيما يخص نتائج الأستبيان الخاص بالموظفين العاملين داخل نفس منشآت الإقامة السياحية التي اقام بها النزلاء (السائح الداخلي) والذين تم جمع العينات منهم لغرض التعرف على معرفة حركة السياحة الداخلية بمنشآت الإقامة السياحية بمطقة الدراسة، ولقد تم التطرق إلى شرح وتفسير للبيانات الشخصية الخاصة بالموظفين من خلال الجدول رقم (2)، ثم قمنا بعرض بسيط وتفسير بعض الأسئلة الخاصة بالدراسة الحالية وبدئنا الأسئلة بالتركيز على أهم الأنماط السياحية وأهم مقومات الجذب السياحي التي ستنهض بالسياحة بصفة عامة والسياحة الداخلية بصفة خاصة بمنطقة الدراسة حيث كان اغلبهم وبنسبة 92.9% يرون ان إقليم الجبل الأخضر يمتلك ثروة ضخمة من مقومات الجذب السياحي سواء طبيعية أو بشرية وتحصلنا على نسب متفاوتة ومرتفعة على بعض من الأنماط السياحية مثل السياحة الترفيهية أكثر من (57%)، والسياحة البيئية بنسبة (50%)، والسياحة الثقافية أكثر(71%) والسياحة العلاجية (78.6%)، وعند السؤال على جنسية السائح فكان الرد من خلال الإستبيان أن اغلب النزلاء من العائلات الليبية داخل هذه المنشآت السياحة وكان اغلب الموظفين اجابوا (بنعم) وبنسبة(78.6%)، ومن هنا توجهنا للسؤال الذي يليه وهو (هل هناك طلب متزايد للحجز في الأيام القادمة؟) فكانت إجابة الأغلبية تشير إلى (نعم)ويعني حصولهم على حجز مؤكد و(إلى حد ما) ويعني الحجز لم يؤكد بعد، أي نستطيع الحصول على نسبة (71.4%) وهذه النسبة تشير إلى أن هناك طلب على الحجز للقيام بالسياحة الداخلية في ظل

هذه الظروف الحرجة وإنتشار COVID-19 في العالم وسبب إختيارهم لاقليم الجبل الأخضر هو أنه يمتاز بوضع صحي ممتاز حيث كانت نسبة (85.7%) من المشاركين في الإستبيان عن باقي مناطق العالم وهذا سينشط حركة السياحة داخليا وعند فتح المطارات دولياً إذا قُدمت الخدمات بالمستوى المطلوب وفي الوقت المناسب, وقد أشار أكثر من (57%) من الموظفين إلى أن COVID19 له تأثيرات إيجابية على إيرادات المنشآت السياحية بمنطقة الدراسة على الرغم من أنهم يعانون من قلة وعي السائح الداخلي أو النزيل بالمؤسسة من ناحية السلامة الصحية والرُقي في المعاملة، وأشار أغلبهم وبنسبة(64.3%) إلى أن هناك بعض من المعوقات التي تواجه السياحة الداخلية في إقليم الجبل الأخضر.

<u>الهدف الثاني:</u> التعرف على مستوى إقبال السواح المحليين على السياحة في إقليم الجبل الأخضر في ظل COVID19 من وجهة نظر النزلاء (اختبار T لعينة واحدة).

جدول (4) يبين نتائج اختبار (T) لعينة واحدة لمعرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في COVID19 من وجهة نظر السائح الداخلي (النزلاء).

المتغير	الحسابي الفعلي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	قيمة T	القيمة الاحتمالية
الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر النزلاء.	9.2078	2.18450	8	4.852	0.000**

**الفرق دال عند مستوى 0.01

ويوضح الجدول السابق (4) التعرف على مستوى إقبال السائح الداخلي على السياحة الداخلية في إقليم الجبل الأخضر في ظل COVID-19 من وجهة نظر النزلاء وقام الباحثون باختبار (T) لعينة واحدة، حيث أن المتوسط الحسابي الفعلي بلغ (9.20) لدرجات النزلاء على متغير الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 وهذا يدل على أنه **مرتفع** بدلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.01)عن المتوسط الفرضي الذي بلغ(8). مما يشير إلى أن مستوى الاقبال على السياحة

الداخلية في ظل COVID-19 كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي **مرتفع** من وجهة نظر عينة النزلاء المستخدمة في البحث الحالي.

الهدف الثالث: -التعرف على مستوى إقبال السائحين على السياحة الداخلية في إقليم الجبل الأخضر في ظل COVID19 من وجهة نظر موظفي منشآت الإقامة السياحية. (اختبار ت لعينة واحدة).

جدول (5) يبين نتائج اختبار (T) لعينة واحدة لمعرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين

المتغير	الحسابي الفعلي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	قيمة T	القيمة الاحتمالية
الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين.	8.2143	2.15	8	0.372	0.716

**الفرق دال عند مستوى 0.01

أما جدول (5) فيبين الهدف الثالث للدراسة وهو التعرف على مستوى إقبال السائح الداخلي على السياحة الداخلية في إقليم الجبل الأخضر في ظل COVID-19 من وجهة نظر كوادر العمل في مجال السياحة داخل منشآت الإقامة السياحية بإقليم الجبل الأخضر وقام الباحثون باختبار (T) لعينة واحدة. ونرى من خلال هذا الجدول أن المتوسط الحسابي الفعلي بلغ (8.21) لدرجات الموظفين على متغير الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19. بينما بلغ المتوسط الفرضي (8). وهذا الفرق بين المتوسطين **غير دال احصائياً** لأن القيمة الاحتمالية (0.71) أكبر من مستوى الدلالة (0.01) مما يشير إلى أن مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي كان في **المستوى المتوسط** من وجهة نظر عينة الموظفين المستخدمة في البحث الحالي وهذه النتيجة كانت متوقعه لقلة عدد (الاستبيانات) التي وزعت على الموظفين.

الهدف الرابع: معرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسواح معاً (اختبار لعينه واحدة).

جدول (6) يبين نتائج اختبار (T) لعينة واحدة لمعرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسائح الداخلي (النزلاء).

المتغير	الحسابي الفعلي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	قيمة T	القيمة الاحتمالية
الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والنزلاء	**9.0549**	**2.19779**	**8**	**4.579**	**.000**

****الفرق دال عند مستوى 0.01**

ويوضح جدول(6) تحليل وتفسير الهدف الرابع وهو معرفة مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 من وجهة نظر الموظفين والسائحين وأستخدم الباحثون في هذا التحليل إختبار(T) لعينه واحدة للإثنين معاً، حيث أن المتوسط الحسابي الفعلي بلغ (**9.05**) لدرجات العينة ككل (الموظفين والنزلاء) على متغير الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 **مرتفع** بدلالة احصائية عند مستوى دلالة (0.01) عن المتوسط الفرضي الذي بلغ (8) مما يشير إلى أن مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل الجائحة كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي **مرتفع** من وجهة نظر العينة ككل المستخدمة في البحث الحالي.

<u>الهدف الخامس:</u> معرفة مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسائح المحلي (إختبار لعينتين مستقلتين).

جدول (7) يبين نتائج إختبار (T) لعينتين مستقلتين لمعرفة مستوى الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 من وجهة نظر الموظفين والسائح الداخلي.

المتغير	المتوسط الحسابي		الانحراف المعياري		قيمة T	القيمة الاحتمالية
	النزلاء	الموظفين	النزلاء	الموظفين		
الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19من وجهة نظر الموظفين والنزلاء	**9.2078**	**8.2143**	**2.18450**	**8.2143**	**1.568**	**0.12**

*الفرق دال عند مستوى 0.05 - **الفرق دال عند مستوى 0.01

والجدول السابق (7) وهو الهدف الخامس يوضح مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 من وجهة نظر الموظفين والسائح الداخلي، ولقد استخدم البُحاث إختبار (T) لعينتين مستقلتين، وتبين في التحليل أن المتوسط الحسابي للعينة لدرجات النزلاء على متغير مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID19 بلغ (9.20) بينما المتوسط الحسابي للموظفين بلغ (8.21) درجات على متغير الاقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 وهذا الفرق بين المتوسطين **غير دال احصائيا** لأن القيمة الاحتمالية (0.12) أكبر من مستوى الدلالة (0.05) وهذا يشير إلى أن هناك **عدم الإختلاف بين الموظفين والنزلاء في تقييمهم لزيادة حركة السياحة الداخلية في ظل COVID-19** اي بمعنى أخر لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسط درجات النزلاء ومتوسط درجات الموظفين في مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل انتشار COVID-19.

نموذج الدراسة (Research Model):

ونستنتج من نتائج الدراسة الحالية أن هناك إقبال على السياحة الداخلية من المواطنين المحليين بمنطقة الدراسة وهي الجبل الأخضر بليبيا في ظل COVID-19 بالرغم من انتشاره عالمياً وهذه الدراسة تتفق مع الدراسات السابقة والتي تتحدث عن الأزمات في أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث استخدمت (حسنين، 2006، 182- 212) شكل معين في دراستها على الأزمة في الولايات المتحدة الامريكية وهو دراسة الآثار المباشرة (قصيرة الأجل) وآثار طويلة الأجل على المقصد السياحي والذي نتج عنه إرتفاع نسبة السياحة الداخلية في دول الأزمة وهي الولايات المتحده، وأيضاً في كثير من الدول المجاورة الأخرى.

وهذه الأزمة والمتمثلة في COVID-19 من المفترض أن تجعلها ليبيا فرصة للترويج لمناطقها السياحية محلياً ودولياً بما يتماشى مع منظمة السياحة العالمية ومنظمة الصحة العالمية.

وبناءً على ذلك تم تصميم نموذج توضيحي لدراستنا بعد تحديثه وتطويره من نموذج سابق لدراسة(حسنين، 2006 كما في الشكل التالي رقم(3):

شكل (3) نموذج يبين الأثار المباشر والأثار الغير مباشرة من أزمة COVID-19 على السياحة الداخلية.

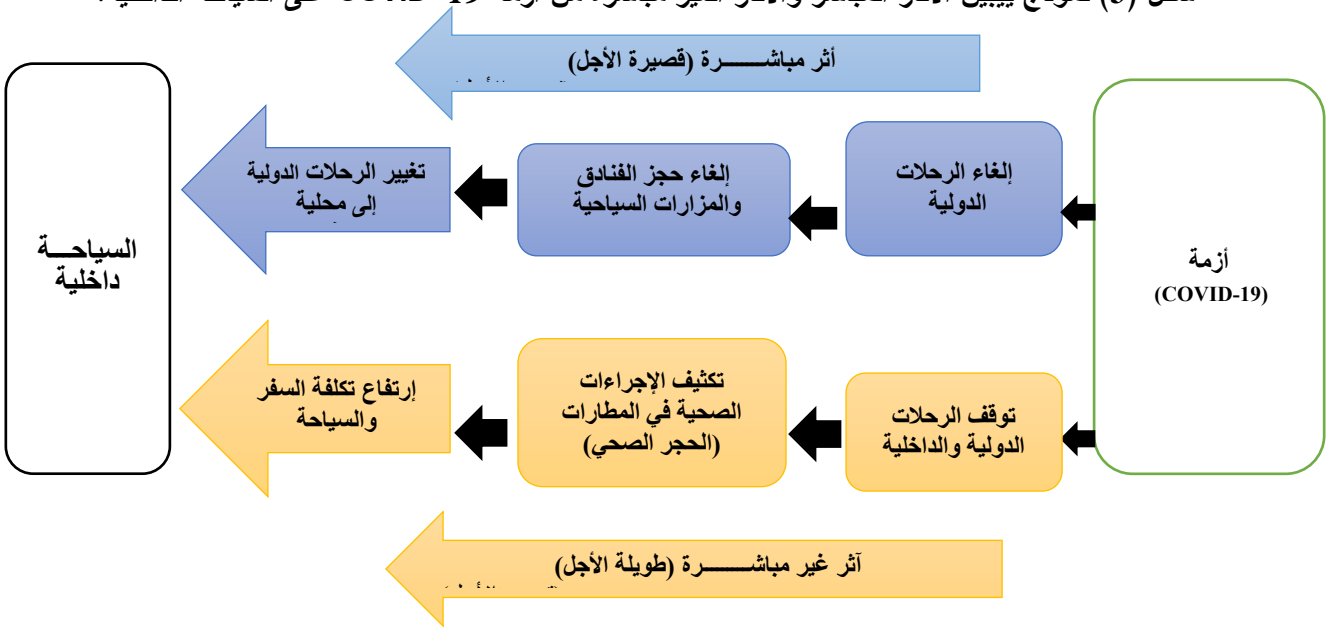

المصدر: (من إعداد الباحثون بالاعتماد على المراجع والمصادر والدراسات السابقة المتوفرة)

ومن الشكل السابق قام الباحثون بدراسة حول الأزمة والمتمثلة في (COVID-19) وما له من آثار مباشرة على السياحة الداخلية والمتمثلة في إلغاء الرحلات الدولية والذي بدوره ادى إلى إلغاء حجز الفنادق والمزارات السياحية وبالتالي سيؤدي إلى تغيير رحلاتهم الدولية إلى رحلات محلية مما ينتج عنه زيادة في حركة السياحة الداخلية.

أما الآثار الغير مباشرة الناتجة عن قفل المطارات الدولية والمحلية أدى ذلك أيضاً إلى إرتفاع تكلفة السفر الناتج عن تكثيف الإجراءات الصحية مثل تقرير طبي عن(COVID-19) ويسمى **PCR** لا يزيد72ساعة، والحجر الصحي إسبوعين في الدولة المضيفه، وإرتفاع التأمين الطبي في التأشيرة كل ذلك سيؤدي إلى البحث عن مكان قريب وآمن داخل بلده وبالتالي سيساعد على نشاط حركة السياحة الداخلية.

وهناك بعض المشاكل التي تحدث عنها كل من الموظفين والنزلاء ونذكر منها:

1- على الرغم من توفر عناصر الجذب السياحية الطبيعية والبشرية بإقليم الجبل الأخضرإلا ان الدولة لاتهتم بقطاع السياحة كمورد رئيسي هام مثله مثل النفط.

2- عدم وجود الوعي السياحي لدى سكان المناطق السياحية كما نراه في مصرولذلك نلاحظ الإعتداء على الغطاء النباتي من قبل سكان هذه المناطق من غير الرجوع للفجهزة المسؤولة في الدولة.

3- عدم الإهتمام بالبنية التحتية وهذا سيتعارض مع التنمية السياحية المستدامة وسيكون له آثار سلبية على منطقة الدراسة في المستقبل.

4- عدم الإهتمام بالموانى البحرية كقناة أساسية لتنشيط حركة السياحة الداخلية والخارجية بإقليم الجبل الأخضر.

5- عدم وجود الخبره الكافية لدى الموظفين في مجال الضيافة داخل المنشآت السياحية، أي انهم تنقصهم الخبرة وبعض الدورات التي تاهلهم للإبداع في رضا النزلاء.

6- أغلب المنشآت السياحية بمنطقة الدراسة لاتتعامل بوسائل الحجزالإكترونية(واتس- الإيميل...ألخ) ولاالدفع الإكترونية(خدمة إدفع لي- موبي كاش- يسرباي...ألأخ) أي يتم الحجز فيها عن طرق الحضور الشخصي أو احد الأقارب أو الأصدقاء وأيضاً الدفع التقليدي(الكاش) مقدم وهذا لايتماشى مع التنمية السياحية.

وفي نهاية الإستبيان ومن خلال تجميع مقترحات النزلاء الذين وزعت عليهم الإستبيان كان الأغلبية قد أشار إلى تشجيع المشاريع السياحية الإستثمارية الخاصة وإجراء مسح تفصيلي لمواقع الجذب السياحى بمنطقة الدراسة، كذلك تنمية البنية التحتية بالمناطق السياحية، والإهتمام بالأمن السياحي وتطويره، والاعتماد على السياحة كمورد أساسي للدولة بديل عن النفط، والتكثيف من الدورات لتأهيل موظفي القطاع السياحي، مع الإهتمام بإنشاء المرافق السياحية الهامة مثل ملاهي الأطفال، واخيراً الاهتمام بالدعاية والإعلام للترويج للقطاع السياحي في ليبيا لشجيع حركة السياحة الداخلية انطلاقاً من أن نطاق المنافسة الذي يتحرك فيه القطاع السياحي يمتد إلى خارج النطاق

الإقليمي للدولة الواحدة، لهذا فهو أيضا يتأثر بالتغيرات التي تطرأ على البيئة العالمية، كل هذه المقترحات من اجل تنمية قطاع السياحة في ليبيا.

اما بالنسبة لمقترحات الموظفين المقدمة من الإستبيان والمتمثلة في تنشيط حركة السياحة الداخلية لتهيئة المواقع السياحية بالمرافق اللازمة لتكون مؤهلة لمواكبة الطلب السياحى وذلك بتطوير البنية التحتية وتزويد المرافق السياحية (ألعاب الأطفال وأحواض السباحة..) ومنح القروض السياحية لتشجيع الإستثمار السياحي، مراعاة تخفيض الأسعار بما يتناسب مع معدل إنفاق السائح الداخلي، زيادة الوعي السياحي بين المواطنين المحليين، كذلك تشغيل الموانى البحرية لغرض السياحة، الإهتمام بالأمن السياحي داخل المناطق السياحية، فتح مؤسسات تدريبية استثمارية في المجال السياحي وذلك لتغطية احتياجات المشروعات السياحية، والفندقية القائمة، والمتوقعة من العمالة المؤهلة، كيفية التعامل مع السائح. تخصيص المبالغ اللازمة للدعاية وإصدار المطبوعات السياحية والمشاركة في المعارض (وذلك تنفيذاً لما ورد باللائحة التنفيذية للقانون رقم 7 لسنة 2004م بشأن السياحة).

الخاتمة

- إن مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي كان **مرتفع** من وجهة نظر عينة النزلاء (السائح الداخلي). بينما مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 كان متوسط كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي من وجهة نظرالموظفين.
- في حين أن مستوى الإقبال على السياحة الداخلية في ظل COVID-19 كما يمثله المتوسط الحسابي الفعلي **مرتفع** من وجهة نظر الموظفين والسائح الداخلي. وهذا يشير إلى أن هناك **عدم الاختلاف** بين الموظفين والنزلاء في تقييمهم **لتزايد** حركة السياحة الداخلية في ظل COVID-19 بإقليم الجبل الأخضر.
- ومن خلال النتائج السابقة نستنتج انه كان مستوى الإقبال على السياحة الداخلية بإقليم الجبل الأخضر في ظل COVID-19 بين المتوسط والمرتفع من قبل السكان المحليين من جميع

أنحاء ليبيا غرباً وشرقاً وجنوباً والذي أثبتته الدراسة الحالية على الرغم من ضعف الإمكانيات السياحية الخدمية، وهذا يشير إلى أن إقليم الجبل الأخضر هو احد المواقع المهمة ذات الطابع السياحي الطبيعي والبشري والتي تصلح لأن تكون مقصداً سياحياً سواءً كان على الصعيد المحلي وتسمى بالسياحة الداخلية أو على الصعيد الدولي ويطلق عليه السياحة الدولية.

وبناءً على ما سبق هناك بعض التوصيات الهامة التي يوصي بها الباحثون منها الإهتمام بالمواقع السياحية بإقليم الجبل الأخضر وتطوير المرافق السياحية اللازمة لزيادة الطلب السياحى عليها بما يتماشى مع رغبات السائح الداخلي والخارجي، بالإضافة إلى منح القروض السياحية لتشجيع الإستثمار السياحي ومتابعتها من قبل الهيئة العامة للسياحة حتى تكون مشاريع صديقة للبيئة وعدم الضرر بالمناطق الطبيعية ذات الطابع السياحي وأيضا المحافظة على المعالم التاريخية والأثرية بالمنطقة، ومن اهم التوصيات أيضاً هو زيادة الوعي السياحي بين المواطنين المحليين وهذا بدوره يساعد الجهات ذات الإختصاص مثل الشرطة السياحية بالمحافظة على البيئة السياحية، ومن أهم توصيات الباحثون، الإهتمام بالموانى البحرية لغرض تنشيط حركة السياحة الداخلية والدولية وهذا بدوره سيعود بالنفع على الدولة والمجتمع.

أما بالنسبة للدراسات المستقبلية والمتمثلة في دراسة واقع السياحة الداخلية في ليبيا بإستخدام المقابلات الشخصية لموظفي المنشآت السياحية والمتمثلة في أماكن الإقامة السياحية في جميع أنحاء ليبيا والمؤسسات السياحية المتمثلة في الهيئة العامة للسياحة ومكاتبها وهذه ستعطي نتائج ادق وعميقة تزيد من نشاط حركة السياحة الداخلية في ليبيا وبالتالي تعود بالنفع على المواطن و الدولة.

المـــراجـــــــــــــــع

1- الرحبي, سمر رفقي. (2014). *الإدارة السياحية الحديثة* (الإصدار الأولى). عمان، الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع.

2- السيد , ريهام يسري. (2020). *أسس صناعة السياحة* (الإصدار الأولى). الأردن: دار غيداء لنشر والتوزيع.

3- السيسي, ماهر عبد الخالق. (2016). *مبادئ السياحة* (الإصدار الثانية). القاهرة، مصر: مجموعة النيل العربية للنشر والتوزيع.

4- العسالي, علاء إبراهيم. (2015). *السياحة في الوطن العربي* (الإصدار الأولى). عمان: دار أمجد للتوزيع.

5- القزيري, سعد خليل. (2002). *السياحة في ليبيا: الإمكانيات والمعوقات*. الزاوية، ليبيا: دار أساريا للطباعة والنشر.

6- الهنداوي, عادل صالح. (2021). *الرشاقة الإستراتيجية في إدارة الزمات* (الإصدار الأولى). عمان، الأردن: دار إبصار.

7- حسنين, جليلة حسن. (2006). *دراسات في التنمية الإقتصادية*. الإسكندرية، مصر: الدار الجامعية.

8- درادكه, حمزه; أبورحمه, مروان; العلوان, حمزه; كافي, مصطفى يوسف. (2014). *مبادئ السياحة* (الإصدار الأولى). عمان، الأردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.

9- رواشده, أكرم عاطف. (2009). *السياحة البيئية الأسس والمرتكزات*. الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع.

10- عبوي, زيد منير. (2008). *إدارة المنشآت السياحية والفندقية* (الإصدار الأولى). عمان، الأردن: دار الراية للنشر والتوزيع.

11- عوض, أمباركه صالح. (2018). المقومات الجغرافية في إقليم الجبل الأخضر–ليبيا. *مجلة البحث العلمي في الآداب*، 2.

12- كافي, مصطفى يوسف. (2009). *صناعة السياحة والأمن السياحي* (الإصدار الأولى). دمشق، سوريا: دار مؤسسةرسلان للطباعة والنشروالتوزيع.

13- نائل موسى سرحان. (2011). *مبادئ إدارة الفنادق* (الإصدار الأولى). عمان، الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع.

14- هاني عاطف. (2017). *مبادئ صناعة الضيافة*. مصر: دار الكتب والوثائق القومية.

15- مخطط التنميةالسياحية. (2005). *مسح سياحي لشعبية الجبل الأخضر*. الجبل الأخضر: اللجنة الشعبية العامة للسياحة.

16- Adeloye, D., & Brown, L. (2017). Terrorism and domestic tourist risk. *Journal of Tourism and Cultural Change,*. doi:DOI: 10.1080/14766825.2017.1304399

17- World Health Organization -WHO. (2019). *COVID-19*. Retrieved from https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus

18- World Tourism Organization-WTO. (2020). *Impact assessment of the COVID-19 outbreak on international tourism.* Madred-Spain: UNWTO. Retrieved from https://webunwto.s3.eu-west-1.amazonaws.com/s3fs-public/2020-03/UNWTO-Impact-Assessment-COVID19.pdf

19- World Tourism Organization-WTO. (2020). *The UNWTO World Tourism Barometer.* Madrid-Spain: Poeta Joan Maragall. Retrieved from https://www.e-unwto.org/doi/epdf/10.18111/wtobarometereng.2020.18.1.7

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 39 (1): 354-376، 2021

Research Article

Open Access

مثيولوجيا المولد والخلود (أوديسة الرافدين)

صفاء آدم عبد الكريم
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/h93t2k07

المستخلص: تكمن أهمية الموضوع في أن الملاحم إرث للإنسانية جمعاء، تأسس عليها الوعي الطفولي، ثم ما لبث أن تطور العقل فتحول نحو التجريب والتفلسف، حاول فيها الإنسان تجاوز أبعاد الواقع والبحث عن ماهية الوجود والخلود، ومحاولة فهم الصراع بين الموت وبين إرادة الإنسان المتشبثة بالبقاء. اتبعتُ الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهتم بوصف النصوص الادبية وصفاً دقيقاً، ودراستها دراسة معمقة، للوصول إلى النتائج المطلوبة، إضافة إلى أنه منهج قائم على التفسير والنقد والنقد للظواهر الادبية، فهو يضم كل العمليات اللازمة لبحث ودراسة الادب. وخلصت الدراسة إلى أن المثال الأعلى والمتفرد للإنسان والجوهر الفكري للملحمة حاول البحث عن سر الخلود ورغب في صياغة حياة جديدة، وظل هائماً باحثاً عن لغز الموت والحياة، ولكن النهاية التي آل إليها الصراع هي الإخفاق والعودة إلى نقطة البدء.

الكلمات المفتاحية: التفلسف، الوجود والخلود، الظواهر الادبية، الوعي الطفولي، إرادة الإنسان.

Mythology of Birth and Immortality (The Odyssey of the Two Rivers)

Safaa Adam Abdul Kareem
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The importance of the topic lies in the fact that epics are a heritage for all humanity, upon which childhood consciousness is founded. Then, as the mind evolved, it turned towards experimentation and philosophy, where humans attempted to transcend the dimensions of reality and search for the essence of existence and immortality. This was an attempt to understand the conflict between death and the human will clinging to survival. The study followed the descriptive analytical approach, which focuses on describing literary texts accurately and conducting in-depth analysis to reach the desired results. Additionally, it is a method based on interpretation, criticism, and critique of literary phenomena, encompassing all necessary processes for researching and studying literature. The study concluded that the supreme and distinctive example of humanity and the intellectual essence of the epic attempted to search for the secret of immortality and desired to formulate a new life, yet remained wandering, seeking the puzzle of death and life. However, the outcome of the struggle led to failure and a return to the starting point.

Keywords: Philosophy, Existence and Immortality, Literary Phenomena, Childhood Consciousness, Human Will.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

يرتبط الشعر الملحمي بتراث الأمم، يروي أمجادها وما جري علي أيدي أبطالها من بطولات، وتشكل الملاحم في الأدب العالمي جزءً مهماً منه، فهي تعبير عن حضارة المجتمع وتاريخه، وأيضاً تراثاً إنسانياً خالداً علي مر العصور.

والملحمة شعر قصصي يتناول بأسلوب روائي موضوع البطولة وسير الأبطال، ويغلب عليها الطابع الأسطوري، والقصص المتعلقة بأعمال البطولة والتي لا تخلو من المبالغة والتهويل.

أسباب اختيار الموضوع في بلاد الرافدين:

في بلاد الرافدين شيدت قصور خبأت في داخلها الآف الرُقَم التي سجل عليها فكر وثقافة شعب وتاريخه، استطاع من خلال نتاجه الفكري أن يؤثر في مختلف الثقافات الإنسانية، حيث نالت ملحمة جلجامش شهرة واسعة لأنها، (دالي، 1997، ص: 65) ((لأنها أطول وأعظم الأعمال الأدبية التي كتبت بالأكادية والمسمارية)). وهي أهم (كريمر، ص: 302) ((إبداع أدبي في جميع آداب مابين النهرين القديمة إلي الآن)).

أهمية الموضوع وأهدافه:

وتكمن أهمية الموضوع في كون الإبداعات الملحمية إرث للإنسانية تأسس عليها الوعي الطفولي للبشرية ثم غادر الوعي البشري الحدود الأسطورية، إلي عصور التوحيد والتفلسف، كما إنها تعبير عن القيمة الحضارية والثقافية للشعوب، ويهدف البحث إلى التدليل على فكرة إن لا أمل في الخلود الجسدي وإنما الخلود هو خلود الفكر، حيث إن المقدمات الأسطورية في العالم القديم هي التي أمدت الأخيلة البشرية الحديثة في التعامل مع سطح الأرض وباطنها.

المنهج المتبع:

المنهج الوصفي التحليلي الذي يتطرق إلى وصف دقيق لأسطورة المولد والخلود للوصول إلى التفسيرات والبراهين التي غذت هذه الفكرة للوقوف على أهم مظاهر التميز و الإبداع فيها.

الدراسات السابقة.

تعددت الدراسات حول موضوع المثيولوجيا والخلود، وخصوصاً في أساطير الشرق القديم وملاحمه.

نائل حنون (1986) عقائد ما بعد الموت، حيث تحدث عن موت الآلهة، وعن تعذر الخلود للبشر، كما تطرق إلى الحديث عن الروح والعقاب والثواب (فكرة القيامة) وعن العالم الاسفل وآلهته، وكذلك الدفن والشعائر الجنائزية.

خزعل الماجدي (2002) مثيولوجيا الخلود (دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة) يحاول معالجة الخلود قبل الموت وبعده في اساطير وادي الرافدين والنيل، كما يتحدث عن ميثولوجيا الجنس والتكاثر وميثولوجيا الطب والشفاء لترسيخ فكرة الخلود وتطرق إلى قوى السحر والعرافه من جانبهما الطبي والشفائي.

خزعل الماجدي (1998) متون سومر، حيث قدم عرضاً واسعاً عن الحضارة السومرية من ناحية التاريخ والمثيولوجيا و اللاهوت والطقوس والشعائر.

موتكارت (1985) تموز عقيدة التقمص والخلود، تحدث عن الخلود بفكرة الصراع بين الإله تموز والموت، ويركز الحديث عن المقابر وطقوس الدفن والزواج المقدس والخلود الآلهة، ليرسخ فكرة الصراع السرمدي بين إله الخير وإله الموت، بين الخصب والجذب، والنماء والجفاف والنور والظلام.

المبحث الأول: وثيقة البحث عن الخلود (أوديسة الرافدين):

ملحمة الرافدين جلجامش أطول ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى القديم وهي برغم قدمها ذات جاذبية إنسانية عامة في جميع الأزمان والأمكنة، لأن القضية التي تعالجها هذه الملحمة لاتزال تشغل بال الإنسان وتؤثر في حياته، فقد عالجت هذه الملحمة قضايا إنسانية عامة كمشكلة الحياة والخلود، والصراع بين الموت وبين إدارة الإنسان المتشبثة بالبقاء.

والملحمة نص شعري مكتوب بالأكادية المسمارية، ومع أن الملحمة ترجع في مادتها الأساسية إلي أصول سومرية إلا أنها في شكلها البابلي تعد نتاجا أدبيا بابليا، وأصولها عبارة عن نصوص سومرية تدور موضوعاتها حول جلجامش وهي:

. جلجامش وأرض الأحياء.

. جلجامش وثور السماء.

. جلجامش وشجرة الحلبو.

. جلجامش وإنكيدو والعالم الأسفل.

. جلجامش والملك أجا.

. موت جلجامش.

وأحدث نسخ لنصوص الملحمة(باقر مقدمة في أدب العراق القديم، 1979، ص103) كانت في ((مكتبة آشور بانيبال في نينوي (668-626ق.م) ، والمرجح أن هذه الصيغة تعزي إلي جامع الملحمة (سين ليفي أوننني))).

تقوم الملحمة علي السرد في بدايتها، كما تخضع لنظام خاص من التأليف، وتتميز بظاهرة الإعادة والتكرار (علي، 1999، ص68) ((والراجح أن ذلك يعزي إلي أن الشعر في مراحله الأولي كان يردد شفاها، فالشاعر يعيد البيت مرة وأخري ليهئ متسعا من الوقت، ليستذكر خلاله البيت التالي من القصيدة التي ينشدها، وعلي أية حال فالتكرار كما هو معروف يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة، وبقدر ما يتعلق الأمر بالشعر السومري فالملاحظ أن الشاعر يكرر أحيانا بيتين متتاليين، والعبارات نفسها والغرض من هذا التكرار هو توكيد المعني)).

فهو يلجأ -في بعض الأحيان- إلي التكرار لتصوير مشهد ما وأحداثه، لإضفاء الحيوية علي المشهد ولإعطائه تأثيرات نفسية وحركية معينة، ليشعرنا وكأننا نخوض التجربة ونعيش الأحداث نفسها، وقد يلجأ إليه أيضا في الحديث مثلا عن بطل الملحمة (جلجامش)، أو استخدام لفظ (هو) من أجل تنبيه المتلقي علي أهمية الدور الذي ستلعبه هذه الشخصية في الملحمة، والأحداث التي ستساهم في صنعها ومن وجهة أخري التأكيد علي أن الملحمة سيكون محورها شخص واحد والحديث عن بطولاته.

وتتميز الملحمة باستباق الحوادث أو استباق ما ستتمخض عنه القصة أي النهاية فهي (باقر، ملحمة جلجامش، 1990، ص7) ((تبدأ بمقدمة أو ديباجة في تعر يف بطل الرواية والتغني بأمجاده وما يتفرد به من الحكمة، والمقدمة ونهايتها شبيهة ببدايتها، أو بعبارة أخري تنتهي بخاتمة تماثل الديباجة التي بدأت بها)).

وتزخر الملحمة بمواضيع إنسانية نلاحظها حين نتصفحها، كالصداقة (صداقة إنكيدو وجلجامش) والحب (حب عشتار و جلجامش) والرثاء (رثاء جلجامش لصديقه)، والبطولة والحرب (مغامرات جلجامش و إنكيدو)، وكذلك التطور البشري من طور البداوة إلي الحضارة (شخصية إنكيدو) كما أنها تعطينا صورة عامة لعقائد سكان وادي الرافدين الدينية وأفكارهم وأحوالهم الاجتماعية.

وتعد الملحمة في مجملها عالما بذاته، مأهول بمخلوقات بشرية وإلهية وخرافية، وهي مزاج من المغامرة والأخلاق والمأساة، تروي صراع البطل الأسطوري ضد الفناء، والبحث عن المعرفة والحكمة والخلود، وتمثل ثورة البشر ضد قوانين الموت، ففيها قصة صراع الموت والحياة، والممكن والمستحيل، والحياة العابرة والدائمة، عبرت عن آمال البشر وقدمت لهم النصح للوصول إلي أسمى الغايات.

1. بطلها:

اشتهر بطل الملحمة (جلجامش) في أدب وادي الرافدين لكونه من أبطال الملاحم، حيث صارت أعماله ومغامراته مادة لملاحم وقصص سومرية: مثل جلجامش والملك أجا، وعلاوة علي ذلك كان شخصية تاريخية واقعية، فقد ورد اسمه (باقر، الملحمة، 1990، ص 81) في ((إثبات الملوك السومريين من سلالة الوركاء الأولي، حيث يأتي ترتيب حكمه خامس ملك، حكم 126 عاما. وذكر جلجامش في أخبار بعض الملوك أنه هو الذي شيد أسوار الوركاء كما تخبرنا بذلك نصوص الملحمة، وفي كتاب (أور . نمو) أن جلجامش صار ملكا وقاضيا في العالم الأسفل، وذكر بهذه الصفة في (تعويذة دينية) باسم الإله جلجامش)).

كما تحدثنا جداول الملوك (كريمر، ص 254) ((أن الملوكية هبطت من السماء بعد الطوفان وحلت في مدينة كيش (تل الأحيمر) ثم انتقلت إلي مدينة (الوركاء) وتذكر من ملوكها جلجامش.

ولعل أقدم كتابة ذكرت اسم جلجامش، ولوكال بندا بصفتها اسمين مؤلهين (الألواح الصورية التي وجدت في فأرة (شروباك القديمة) ويرجع زمنها علي الأرجح إلي أواخر عهد جمدة نصر 3200ق.م))، وموجز القول يبدو من جماع الأدلة الكتابية والأثرية (باقر، الملحمة، 1990، ص 18) ((أن جلجامش كان أحد حكام دول المدن السومرية في مطلع العصر المسمي بعصر فجر السلالات 3000. 2400ق.م)).

2. سبب تأليفها:

أما عن سبب تأليف هذه الملحمة، فلا يوجد ما يشير إلي أن هذه الملحمة قد عرضت علي مسرح أو أنه تم تلاوتها كجزء من طقوس دينية، لكن ربما (دالي، 1997، ص: 65) ((كان السبب في وجودها أو وجود القصص المكونة لها في التراث الروائي الشفهي، قد يكون لمجرد الترفية، إما في بلاطات الملوك أو حول نار المخيم لقوافل الصحراء أو الرحلات البحرية الطويلة بين الهندوس ورأس الخليج العربي)).

ويقول هاري ساغز (ساغز، 2003، ص424) ((يمكن أن نخمن أن هذه الملحمة كانت تتلي أثناء الحفلات في القصور الملكية))، ولكن ليس هناك شاهد يؤيد هذين الرأيين حتي الآن.

3. قصة الملحمة :

تجري أحداث الملحمة في مدينة أوروك السومرية(الوركاء)، حيث كان جلجامش ابنا للآلهة ننسون من ملك أوروك (لوجال بندا) فجاء ثلثه إنسان وثلثاه إله، حكم أوروك فتجبر علي أهلها فطلبوا العون من الآلهة لخلق ند لجلجامش يعادله قوة وجبروتا، حتي يدخلا في تنافس دائم ويترك جلجامش رعيته وشأنها، فقامت الآلهة (آرورو)، المعروفة في الأساطير الرافدية بأنها خالقة الجنس البشري، بخلق (إنكيدو) من قبضة طين رمتها في الفلاة.

نشأ إنكيدو في البراري مع الوحوش وقطعان الغزلان، وفي أحد الأيام رآه صياد فهرع إلي أبيه يحدثه بذلك، فنقلا الخبر إلي الملك، فأهتم جلجامش بالأمر ورغب بإحضار إنكيدو، فأمر كاهنة من معبد عشتار أن تذهب مع الفتي وتحاول استمالة ذلك الرجل.

كمنت المرأة والفتي عند النبع الذي يرده إنكيدو للشرب مع القطعان، وبعد ثلاثة أيام من الانتظار ظهر إنكيدو، واقترب من الكاهنة وبقي في صحبتها ثلاثة أيام، وعندما حاول القيام ليلحق بالقطعان، تسمرت قدماه وعجزت عن الركض كالسابق، فرجع للكاهنة التي حدثته عن جلجامش وعن مدينته فتاق إنكيدو للقاء الملك، وألبسته المرأة من ثيابها وعلمته أسلوب الحياة المدنية، وبعد فترة ذهب إلي المدينة وابتهج الناس لرؤيته، لأنه أصبح في نظرهم ندا لجلجامش، التقي الاثنان ودخلا في صراع كانت الغلبة فيه لجلجامش، بعد ذلك أصبح إنكيدو صديقا لجلجامش وناصحا له، وبعد لقائهما تغير سلوك الملك في الحكم والإدارة.

بعد ذلك بدأ جلجامش يتطلع إلى مغامرات تخلد ذكراه، وتهدف للوصول إلى غابة الأحياء وقتل وحشها، مضى الاثنان إلى الغابة وحققا انتصارات بمساعدة الإله (شمش)، مما جعل الآلهة (عشتار) تقع في غرام جلجامش عارضة عليه الزواج معددة الهدايا والأعطيات، لكن جلجامش رفض عرضها مهينا لها، فطلبت ثور السماء من كبير الآلهة (آنو) ليقض على جلجامش ويعيث فسادا في المدينة، ولكن جلجامش وبمساعدة إنكيدو يفلحا في صرع الثور السماوي وقدماه قربانا لشمش.

ونتيجة لتجاوز إرادة الآلهة يقرر الآلهة موت أحد البطلين، حيث زلزل موت إنكيدو جلجامش، فارتحل تاركا كل شئ، وقرر أن يمضي إلى البشر المخلد عله يستطيع حل معضلة الموت، وبعد

مغامرات أسطورية استهلكت نصف الملحمة، وصل جلجامش إلى البشر المخلد ووقف على سبب خلوده، فاقتنع بأن البحث عما هو فوق قدرات البشر عبث.

وأخيرا يتوصل جلجامش إلى أن الخلود الذي ينشده أمر آخر غير الحياة الأبدية، فالخلود المعنوي هو أسمى أنواع الخلود.

المبحث الثاني: ملامح مثيولوجيا المولد والخلود

أولاً: (الشخصيات المثيولوجية):

شغلت شخصية البطل (جلجامش) الحيز الأكبر في الملحمة، حيث رسمت له شخصية تميزت بثنائية الخلق، فقسم منه إله والقسم الآخر بشري، وهو يمثل امتزاج الحكمة مع البطولة، حاز القوة والعظمة والعزة والكمال، (باقر، 1990، ص:35):

هو الذي رأى كل شيء، فغني بذكره يا بلادي

وهو الذي خبر جميع الأشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شئ

لقد أبصر الأسرار وعرف الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء الأيام مما قبل الطوفان

وهو متفرد مخلوق بصفات خاصة يجمع صفات الإله والإنسان معا (باقر، 1990، ص:42):

جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة

كان طوله أحد عشر ذراعا

وعرض صدره تسعة أشبار

ثلثان منه إله، وثلثه الباقي بشر

وهيئة جسمه لا نظير لها

وفتك سلاحه لايصده شئ

وفي بداية الملحمة نلاحظ احتفائه بقوت وجبروته، حيث تبدو نظرته للموت نظرة متأمل يبحث عن معني الحياة فيجدها في الأعمال الجليلة التي تخلد اسم صاحبها، نقرأ في النص (السواح، 1996، ص:42):

لسوف أدخل أرض الأحياء وأخلد لنفسي هناك ذكرا

في الأماكن التي رفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي

وفي الأماكن التي لم ترفع فيها الأسماء سأرفع اسم الآلهة.

علي أن فكرة الخلود تبدأ بالإلحاح عليه حينما يفجع بموت صديقه إنكيدو، أي أن جلجامش قابل الموت وجها لوجه بعيدا عن زخارف البطولة والمجد (السواح، 1996، ص:42):

فانتابني هلع الموت

حتي همت في البراري

يثقل صدري خطب أخي

أهيم في البراري كل حد وصوب

يثقل صدري خطب أخي

مالي من هدأه ومالي من سكون.

فهذا الملك يظهر في بداية الملحمة قويا متهورا، ثم ماتلبث بطولته أن تصقل أولا مع صداقته لإنكيدو ثم بعد موت إنكيدو، أي أن شخصيته تتطور من البطولة الصرفة إلي تعلم الألفة إلي الحكمة الحقيقة فيصبح نموذجا للبطل الحكيم، ونلاحظ الالتزام الأخلاقي في شخصية جلجامش في مجمل أحداث الملحمة، إذا أن هناك تحولا من الأنا الفردية إلي الكل، وكذلك القيام بالأعمال المجيدة التي تخلد اسمه، ومن التسلط إلي التطهر، ومن الذعر من الموت إلي الإيمان به، والإيمان بأن الخلود المعنوي هو أسمي أنواع الخلود.

ونلتقي بشخصية صديق البطل إنكيدو الرجل الوحش الذي خلق في الفلاة من قبضة طين رمتها الآلهة أرورو، آلهة الخلق السومرية . وتصفه الملحمة بصفات مادية (السواح، 1996، ص:42):

يكسو الشعر جسده وشعر رأسه كامرأة

خصلات شعره تندفع سنابل قمح

لا يعرف الناس ولا البلدان، عليه ثياب كسوموقان

يرعي الكلأ مع الغزلان

ويرد الماء مع الحيوان

وبعد لقائه بفتاة المعبد التي قادته إلي درب التمدن، أصبح يمثل رمزا للمراحل التي وصلت البشرية عن طريقها إلي حياه المدنية، حيث تمثل شخصيته (دياكونوف، ترافيموف، 1973، ص:76) ((الإنسان النموذجي الذي يرمز للشعوب وهي تخضع للتطور)).

وقد نشأت بينه وبين جلجامش صداقة قوية، استطاعت أواصر هذه الصداقة أن تقوم بتوجيه طاقة جلجامش المتخبطة نحو أهداف نبيلة، ويشير بعض الباحثين إلي وجود علاقة مثلية بينهما مستندين علي بعض النصوص الواردة في الملحمة والتي تشير إلي هذه العلاقة (باقر، 1992، ص:123):

في أوروك المنيعة فأس مطروحة تجمعوا عليها

.....

وضعتها عند قدميك

ملت عليها كما أميل علي امرأة.

وفي قصص سومرية أخري حديث عن هبوط إنكيدو للعالم الأسفل وظهور شبحه لجلجامش (السواح، 1996، ص:59):

إن جسمي الذي عانقته وقلبك مبتهج

تنهشه الحشرات كخرقه بالية

إن جسمي الذي عانقته وقلبك مبتهج

جثة مليئة بالتراب.

ولكن من المستبعد التسليم بوجود علاقة مثلية، والسبب أنه لا يوجد ما يؤكد وجود هذه العلاقة بالفعل، ويمكن تأويل النص إلى ما هو أبعد من هذا المعنى القريب، حيث في انجذاب جلجامش لإنكيدو كانجذابه إلى النساء إنما يتنبأ بصداقة مقبلة وعميقة لا تنفصم بين الطرفين، أما المعانقة التي يتحدث عنها النص فتشير إلى أن الذي عانقه جلجامش، إنما هي روح إنكيدو التي ظهرت له من العالم الأسفل.

وهناك شخصية الإنسان المخلد أوتنابشتيم الذى لعب دورا كبيرا في إبراز الحقيقة لجلجامش حينما قال له (السواح، 1996، ص:215-216):

هل نشيد بيوتا لايدركها الفنا

وهل ينعقد ميثاقا لايصبه البلى

وهل يقتسم الإخوة ميراثهم ليبقى دهرا

.....

فمنذ القدم لاتظهر الأمور ثباتا

النائم للميت توأما

ألا تفشي صورة الموت كلاهما

(ألايتساوي الأمير والفقير في حضرة الردى) .

وثمة شخصية الصياد ووالده الذين لعبا دورا مهما في لقاء إنكيدو بجلجامش، وكذلك شخصية نوتي سفينة أوتنابشتيم الذي ساعد في نقل جلجامش في قاربه إلى مكان البشر الخالد.

وتلعب الشخصية الأنثوية دورا كبيرا في أحداث الملحمة، سواء أكانت بشرا أم آلهة. مثل آرورو آلهة الخلق التى خلقت إنكيدو، وكذلك ننسون أم جلجامش التي تمثل الجانب الإلهي في تكوين جلجامش، والتي لجأ إليها لتبارك رحلته إلى غابة الأرز وتدعو الإله شمش لحمايته. والآلهة عشتار التي رأت جلجامش وقد جللته هيبة الانتصار حينما عاد من أرض الأحياء، فوقعت في حبه وعرضت عليه الزواج (السواح، 1996، ص:163، 164):

تعال ياجلجامش وكن عريسي

هبني ثمارك هدية

كن زوجا لي وأنا زوجا لك

لكن جلجامش وقف في وجهها مهددا لها، رافضا عرضها ومعددا خياناتها (السواح، 1996، ص: 165) :

[ماهو نصيبي منك] لو تزوجتك

[مأأنت إلا موقد تخمد ناره] وقت البرد

باب خلفي لا يحمي من ريح أو عاصفة

.....

قار يلوث حامله

قربة ماء تبلل حاملها.

فالآلهة تعرضت للإهانة من جلجامش لذا طلبت ثور السماء من آنو كبير الآلهة لمقاتلة جلجامش، ولكن جلجامش ينجح في صرع الثور السماوي بمساعدة إنكيدو.

إن وظيفة الأنثى في الملحمة ليست الأمومة والولادة والخصوبة، كأم جلجامش ننسون أو آرورو آلهة الخلق، أو عشتار التي أثارت الناحية البيولوجية والجنسية عندما نادت جلجامش (كن عريسي، وامنحني ثمرتك هدية) بل تجلي دورها في صيرورة الإنسان إلي التمدن، فعلاقة إنكيدو بفتاة المعبد

تبين لنا دور المرأة القديم في المجتمعات الأولي (دياكونوف، ترافيموف، 1973، ص:76) ((ولأول مرة في مجمل الأدب العالمي نلتقي بفكرة نشوء الإنسان من عالم الحيوان، مع فكرة حضارة الجنس البشري، حيث تلعب البغي دور حاملة البداية الحضارية كما أوردتها الملحمة، فعلمته الحرف الحضارية واستهلاك الخبز، وشرب الخمر وارتداء الملابس)).

حيث استطاعت فتاة المعبد أن تستميل الرجل الوحش فوجد إنكيدو مضمونا ومعني لحياته وحريته (السواح، 1996، ص: 126 – 129):

قسمت ثوبها نصفين

بنصف كسته

وبنصف الثوب الآخر

كست نفسها

.....

فتحت كاهنة الحب فمها

قائلة لإنكيدو

كل الخبز يا إنكيدو

عماد الحياة (هو)

وخذ الشراب القوي فهو عادة البلاد.

ويظهر دور المرأة كناصحة تسعي لتوصيل المعني الحقيقي للحياة (كشخصية سيد وري) فتاة الحانة التي لقيها جلجامش أثناء سفره إلي أوتنابشتيم في رحلته للبحث عن الخلود (السواح، 1996، ص: 201):

إلي أين تمضي ياجلجامش

الحياة التي تبحث عنها لن تجدها

فالآلهة لما خلقت البشر

جعلت لهم الموت نصيبا

وحسبت في أيديها الحياة.

وكذلك شخصية زوجة البشر الخالد التي أشارت علي زوجها أن يكافئ جلجامش الذي قطع المسافات والأهوال بحثا عن الخلود (بالنبتة السحرية) التي تجدد الشباب (السواح، 1996، ص: 232):

لقد أتعب جلجامش نفسه وأضناها في الوصول إلينا

فما عساك تعطيه (يحمله) عائدا إلي بلاده ؟.

أما الشخصيات الإلهية في الملحمة فتتميز بصفة الخلود، وتظهر متمثلة في مجموعة الآلهة التي تحكم الكون وتقرر مصير البشر(السواح، 1996، ص: 141):

الآلهة هم الخالدون في مرتع شمش

أما البشر فأيامهم معدودات.

فهناك آنو أبو الآلهة . وشمش إله الشمس وإنليل إله الحرب، وحدد إله الرعد و آلهة العالم الأسفل (أريشكيجال ونرجال)، وإيا إله الحكمة وإيرا إله الطاعون، حيث يطغي علي الملحمة مبدأ تعدد الآلهة وتخصص كل إله في مجال معين، لأن الرافدي اعتبر أن السماء (باقر، أدب العراق القديم، 1979، ص: 43) ((وكأنها دولة أو مملكة تحكم فيها الآلهة بمراتب ودرجات متفاوتة ويجتمعون في مجالس الشوري ويتخذون فيها القرارات علي غرار المجتمع البشري في بلاد الرافدين، كما أن مبدأ التشبيه الذي تتصف به ألهتهم مشتق من هذا النمط في التفكير)).

فآنو هو الذي منح عشتار ثور السماء وهو ضمن الآلهة التي حكمت علي إنكيدو بالموت عقابا له، وشمش الإله الحامي لجلجامش الذي أرسل معونته له في صراعه مع خمبابا (السواح، 1996، ص: 161):

سمع شمش السماوي صلاة جلجامش

فهبت في وجه حواوا رياح عاتية.

وإنليل إله الحرب الذي أوكل لخمبابا حماية غابة الأرز (السواح، 1996، ص: 218):

بحماية غابة الأرز

أوكله إنليل وجعله مخيفا.

وأريشكجال وزوجها نرجال آلهة العالم الأسفل، فنرجال هو الذي فتح ثقبا في العالم الأسفل، ليخرج شبح إنكيدو ويخاطب جلجامش ويحدثه عن أهوال العالم الأسفل(السواح، 1996، ص: 59):

نرجال أيها البطل المحارب، بابن بيليت إيلي

أفتح الآن ثقبا في العالم الأسفل

تتسلل منه روح إنكيدو فيشرح لأخيه مسالك العالم الأسفل.

ويبدو الدور الذي تلعبه الآلهة في الملحمة أنها صاحبة القرار تخلق وتدمر وتقرر مصير الإنسان، فللآلهة علاقة بالإنسان في الملحمة فهي توجهه وتقرر مصيره، علي أن وجود الآلهة في الملحمة لم يعطها صفة الملحمة الدينية فهي ملحمة إنسانية تجلي الحكمة الإنسانية، وتحاول تفسير الحدث.

وتمثل الكائنات الأسطورية دورا أساسيا في سير الحدث الملحمي، فتعد طرفا في الصراع الذي يخوضه جلجامش في ملحمته البطولية، مثل خمبابا (حواوا) وحش غابة الأرز (السواح، 1996، ص: 45):

لذلك الجبار أسنان كأسنان التنين

ووجه يشبه وجه الأسد

انقضاضه أشبه بسيل عرم

ومن جبهته التي تلتهم القصب والشجر لا ينجو أحد.

وثور السماء، والبشر العقارب الذين يسكنون أرض الظلام، والذين قابلهم جلجامش أثناء بحثه عن البشر المخلد (السواح، 1996، ص: 193) :

كان اسم الجبل ماشو

.....

يحمي مداخله البشر العقارب

لهم ألق مخيف وفي نظراتهم الموت السريع.

ولا يفوتنا الإشارة إلى الآلة السحرية البكو والمكو اللتين بسببهما دخل إنكيدو إلي العالم الأسفل، ويبدو أن هاتين الآلتين اللتين تخصان جلجامش (الماجدي، انجيل سومر، 1998، ص: 225) ((كانتا تثيران نشوة خاصة، ربما كانت إحساسا بالعظمة أو قوة غريزية)).

تزخر ملحمة جلجامش بالعديد من الرموز التي تقدمها الشخصيات، والتي تحمل طاقة تخييلية عظيمة، جعلت الملحمة أعظم وأكثر عمقا في التأثير على المتلقي فهي ترسم صورة رائعة للملحمة في أذهاننا.

فجلجامش وإنكيدو يمثلان رمزا للقوة والصداقة، وننسون وسيدوري تمثلان رمزا للحكمة البالغة، وعشتار تمثل رمزا للفتنة والحياة الدنيا، وكأن جلجامش حينما يتحدث معها إنما يتحدث مع الحياة الدنيا التي تركها طالبا الخلود، وذلك حينما يصفها ب (الباب الخلفي الذي لايحمي من الريح . قصر يسحق الأبطال . حفرة يخفي غطاؤها كل غدر) :

أما الكائنات الأسطورية فتمثل رمزا للفتنة والخراب والشر الذي يريد أن يمحوه من على وجه الأرض.

ثانياً: الحدث المثيولوجي (الأسطوري):

يبدأ الصراع الملحمي في الملحمة جلجامش بما يعانيه أهل المدينة من هذا الملك الذي يسخر الناس لخدمته، فأرسلوا شكواهم إلي الآلهة لادراكهم بأن على ملكهم تأديه مهام أسمي وأهم مما يفعله، وترمز هذه الشكوي إلي الخطوة الأولي في تغير حياة جلجامش، ثم يأتي بعد ذلك صراع جلجامش مع إنكيدو حيث التقيا عند المعبد في احتفال الزواج المقدس، والتحما في مصارعة عنيفة كانت الغلبة فيها لجلجامش (السواح، 1996، ص: 134 – 135):

امسك كل منهما الآخر

يخوران خوار الثيران

حطما دعائم البوابة

وارتجت (لهول الصراع) الجدران

(أخيرا) مال جلجامش فوق خصمه

وقدمه (ثابتة) في الأرض.

ويبدو أن هذا الصراع كان فاتحه صداقة بينهما (الماجدي، انجيل بابل، 1998، ص: 204)، ((ويمثل هذا الصراع صراعا بين قوتين في الإنسان عليا وسفلي، وكادت القوة العليا في الإنسان (جلجامش) أن تنتصر، ولكنها قبلت بالصلح مع القوة السفلى (إنكيدو) وصار ترابطهما دافعا للبحث عن الأعمال الكبيرة)).

بظهور إنكيدو يتغير حال جلجامش وتوجهاته فبدأ يتطلع إلي محاربة الشر في غابة الأحياء، ليحفر لنفسه اسما خالدا، حيث خرج برفقة إنكيدو بعد أن تجهزا بالأسلحة الضخمة وقدما القرابين للآلهة.

حيث اقتحم الاثنان غابة الأرز مقر عرش (عشتار)، وهذا تجاوز لحدود الآلهة وفي الوقت نفسه امتحان لقوة البطلين في مقابل قوة الآلهة، ويبدأ النزال مع خمبايا الرهيب حينما يباشر جلجامش بقطع شجر الأرز فتثور ثائرة الوحش (السواح، 1996، ص: 160):

من الذي أتي

يعكر صفو أشجاري التي نمت في جبالي

من الذي قطع شجر الأرز.

وبمساعدة الإله شمش الذي أرسل الرياح العاتية لتشتيت عزم خمبايا حواوا خارت قوة الوحش أمام جلجامش فصاح متضرعا عارضا الهبات علي جلجامش (السواح، 1996، ص: 161):

فهبت في وجه حواوا رياح عاتية

.....

ضربت عيني حواوا

لم يعد قادرا علي التقدم

لم يعد قادرا علي التقهقر

وهكذا أعلن الاستلام.

وهكذا يفلح الاثنان في صراع الوحش وقدماه قربانا للإله إنليل.

إن اجتياز البطلين للغابة هي في الحقيقة رمزا لرحلتنا في الحياة، وقتالهما لهذا الوحش هو رمزلكل أشكال الخوف التي تواجهنا، و انتصارهما هو انتصارنا علي أنفسنا.

ذاعت شهرة إنكيدو وجلجامش في الآفاق بعد صرع وحش غابة الأرز فتعجب الآلهة عشتار ببطولاته وتدعوه للزواج منها، فيرفض جلجامش عرضها معددا مثالبها، فتثور ثائرتها وتطلب ثور السماء من كبير الآلهة (السواح، 1996، ص: 169):

أبتاه اجعل لي ثور السماء أهلك به جلجامش

فإن لم تجعل لي ثور السماء

أحطم بوابة العالم الأسفل، انزع رتاجها

.....

وأجعل (الموتي يصعدون ويأكلون مثل الأحياء).

وينزل ثور السماء ناشراً الفتنة والقتل (السواح، 1996، ص: 170):

في خواره الأول قتل مائة رجل

مائتين أيضا

[..... ثلاثمائة] رجل

في خواره الثاني [قتل مائة. .....]

مائتي رجل. ..... ثلاثمائة رجل.

وبمجرد أن خار خواره الثالث انقض علي إنكيدو الذي أحبط هجوم الثور عليه وأمسك بقرينه، ولكن في حركة التفاف لطم الثور إنكيدو بذيله، وسرعان ما نادي إنكيدو جلجامش لمساعدة (السواح، 1996، ص: 171):

لاحق إنكيدو. ... ثور السماء

قبض علي جذر ذيله

.....

وجلجامش كمصارع ثيران مدرب

بجبروت و.....

بين مؤخرة الرأس والقرنين غيب نصله

بعد قتلهما ثور السماء انتزعا قلبه

ووضعاه أمام شمش قربانا.

ومع الانتصار الباهر على ثور السماء تبلغ مرحلة البطولة والانجازات قمتها، فلقد حفرا لنفسيهما اسما خالدا من قبل في صراعهما مع وحش غابة الأرز.،وبسبب ما أحدثه الصديقين من بطولات تجاوزت حد إرادة الآلهة، يقرر الآلهة موت أحدهما وهو إنكيدو، حيث تربط الملحمة موت خمبايا وثور السماء بموت إنكيدو، فقد كان سقوط خمبايا أول خطوة للتأكيد على موت إنكيدو، وجاء موت الثور السماوي الخطوة الثانية (السواح، 1996، ص: 175):

فقال آنو لإنليل

لأنهما قتلا ثور السماء وصرعا حواوا

واحد منهما يجب أن يموت

من جرد جبل الأرز يموت

فقال إنليل سيموت إنكيدو.

حيث تتبأ إنكيدو بقرب نهايته من حلم رآه، حيث قاده شيطان الموت للعالم الأسفل (السواح، 1996، ص: 181 – 183):

نظر إلي وقادني إلي بيت الظلام

إلى دار لايرجع منها داخل إليها

.....

إلى مكان لا يرى أهله نورا

فالتراب لهم طعام والطين معاش.

لم يصدق جلجامش موت إنكيدو، وبقي إلى جانبه ستة أيام لم يسلمه للدفن حتى وقع الدود من أنفه، وهنا تنهار حياة جلجامش برمتها ويبدأ في رحلته الكبرى للبحث عن سر الخلود، بكي جلجامش صديقه وراح يستعطف الآلهة التي أمرت نرجال بإخراج روح إنكيدو، فتعانقا وحدثه عن العالم الأسفل.

ويرحل جلجامش عن مدينته أوروك بعد وفاة إنكيدو، وتبدو رحلته هذه وصراعاته فيها خارج حدود الزمان والمكان، منقطعا عن عواطفه البشرية مدفوعا بهاجس مسيطر واحد وهو البحث عن سر الخلود، فجاب بلدان وقطع مسافات وساعات مضاعفات في زمن مقدس، لا وجود له علي خرائط تلك العصور، وفي طريقه إلي مسالك الجبال صادف الأسود، ولأنه مسكون بفكرة الموت ودونما سبب انقض عليها ذبحا وتقتيلا وفتك بها، وكأنه ينتقم من كل سعادة لا يجدها داخله (السواح، 1996، ص: 191 – 192):

(كانت الأسود) تلهو منتشية بالحياة

أمسك بلطته بيده

وأستل سيفه من حزامه

وكسهم (مارق) هبط إليها

فضربها ومزقها إربا.

ويصل إلى الجبل الذي يحرسه البشر العقارب، ويصر جلجامش على أن يقطع هذا الجبل رغم تحذيرات حراسه من مغبة هذا السفر المجهول، فلم يسبق لأحد أن سافر من هذا الجبل فلا نور ولا ضياء، وفُتحت له البوابة ومضى جلجامش في سفر طويل، متتبعا رحلة الشمس قاطعا مسافات وساعات مضاعفات، والتي تعطينا بعدا رمزيا يشعرنا بحجم المشقة والتعب والوحشة التي عانى

منها جلجامش، فهو يسير في درب الشمس السفلي قاطعا الكون من مغرب الشمس إلى مشرقها، وبعد قطعه المسافات ظهر له ضوء الشمس، (السواح، 1996، ص: 179):

ظلام دامس وما من شعاع

لايرى من أمامه ولا من خلفه

.....

بعد أن قطع إحدى عشرة ساعة مضاعفة

تخايل شفق الشمس.

وصل جلجامش للجانب الآخر حيث حديقة الشمس فتعرض له الإله شمس بالنصح مقدما له الإشارة الأولى لما ستفضي إليه هذه الرحلة (السواح، 1996، ص: 199):

إلى أين تمضي ياجلجامش

إلى أين تسعى بك قدماك

إن الحياة التي تبحث عنها لن تجدها.

ويصل إلى حافة الأوقيانوس المحيط بالكون، ويقابل فتاة الحانة سيدوري وتسأله عن سبب هيامه ويجيب على تساؤلها مستعيدا انجازاته مع إنكيدو، فموت صديقه فهيامه على وجهه باحثا عن الخلود (السواح، 1996، ص: 207):

صديقي الذي أحببته، ومضى معي عبر المهالك

.....

أدركه مصير البشر

.....

أهيم في البراري كل حدب وصوب

يثقل صدري خطب أخي.

وتقدم سيدوري الإشارة الثانية لما ستفضي إليه رحلة جلجامش، حينما تقول (السواح، 1996، ص: 202) :

فالآلهة لما خلقت البشر

جعلت الموت لهم نصيبا

وحبست في أيديها الحياة

ولكن نفس جلجامش المتشتتة لم تع إشارات الرحلة الأولى والثانية، بل أصر على موقفه، ويبدو أن سيدوري قد دلت جلجامش على نوتي أوتنابشتيم الذي صادف وجوده في تلك الأثناء يحتطب في الغابة، فأسرع إليه وفي غمرة انفعاله كسر الصور الحجرية التي بواسطتها يمكن عبور المياه، وطلب منه أن يحضر أعمدة طويلة للتجديف من الغابة مطلية المقابض بالقار، حتى يمنع وصول المياه إلى جلجامش، وكلما استعمل واحدا يتركه في الماء (السواح، 1996، ص: 212) :

لاتلمس يدك مياه الموت

خذ ياجلجامش مجدافا ثانيا وثالثا ورابعا

.....

خذ ياجلجامش مجدافا حادي عشر وثاني عشر

مع الدفعة العشرين بعد المائة، استنفذ جلجامش مجاديفه

وصل أخيرا إلى البشر الخالد، ويجيب جلجامش على أسئلة أوتنابشتيم مكررا اللازمة نفسها.

ثالثاً: نشدان الخلود وخاتمة الحدث:

التقى جلجامش بالبشر الخالد الذي حدثه عن سر الخلود، وحادثة الطوفان الذي نشأ بسبب غضب الآلهة على البشر، فاتخذت قرارا بتدمير البشرية، وقد طلب الإله (إيا) منه عن طريق الحلم بناء سفينة يحمل فيها بذرة كل مخلوق حي (السواح، 1996، ص: 218):

رجل شوريباك، يابن أوبارا توتو

قوض بيتك وابن سفينة

اترك مملكتك، وأنقذ حياتك

اهجر متاعك، وأنقذ نفسك

احمل في السفينة بذرة كل مخلوق حي

وأنزلت الآلهة الطوفان وأتت الأمطار والعواصف علي البشر، واستمر الطوفان ستة أيام وست ليال، ثم اهتدى أوتنابشتيم إلى اليابسة، فأقام الطقوس وذبح الأضحية للآلهة، حيث أخذ الإله إنليل بيد أوتنابشتيم وزوجته ووهبهما صفة الخلود.

كان هدف أوتنابشتيم من رواية قصة الطوفان أن يقر في نفس جلجامش عدم جدوى بحثه، ولكن نفس جلجامش العنيدة تنشد البحث عن الخلود، فكان لابد من وضعه موضع الاختبار، الذى

كان الهدف منه معرفة ما إذا كان باستطاعة جلجامش أن يصل إلى مستوى الآلهة الذين لاينامون، وكذلك ليبين له مدى ضعفه الإنساني أمام تحدي الموت الأصغر وهو النوم.

لكن جلجامش لم يستطع مقاومة النوم، وفي أثناء نومه خبزت له زوجة البشر المخلد أرغفة بعدد كل يوم ينامه، ومن خلال الأرغفة عرف جلجامش مدى ضعفه الإنساني، وأن لا مفر من مواجهة قدره، (السواح، 1996، ص: 230):

أواه يا أوتنابشتيم، ماذا أفعل، أين أسير

لقد تسلل البلى إلى أطرافي

وسكنت المنية حجرة نومي

وحيثما قلبت وجهي أجد الموت.

ولكي لا تذهب جهود جلجامش سدى، قدم له أوتنابشتيم أملا يتمثل في الوصول إلى النبتة السحرية التي تجدد شباب من يأكلها، (السواح، 1996، ص: 232، 233):

هناك نبتة تشبه الشوك

تخز يدك أشواكها كما الورد

فإذا جنت يداك تلك النبتة، وجدت حياة متجددة

فلما سمع جلجامش هذا فتح [القناة]

ربط إلى قدميه حجرا ثقيلا

جذبه غائصا إلى الآبسو هناك رأى النبتة

اجتثها وخزت يديه.

شرع جلجامش في رحلة العودة ومعه أورشنابي، حيث وصلا إلى بركة ماء، فأراد جلجامش أن يستحم، وإذ بحية تخطف النبتة، فخسر جلجامش النبتة وخسر الأمل لتجديد شبابه بعد خسران أمل الخلود، وهذه هي(الإشارة الثالثة) التي تؤكد لجلجامش حقيقة الموت وانتهاء هاجس الخلود، وها هو جلجامش يحدثنا عن إشارة رابعة أزاحت الغمام عن بصيرته وأدرك الحقيقة كاملة، وهي إشارة وضعها له إله الحكمة (السواح، 1996، ص: 335):

لم أجن لنفسي نعمة ما

بل لحية التراب جنيت النعمة

بعد حملي لها المسافات جاء من خطفها

عندما دخلت المجرى وفتحت القناة

وجدت شارة وضعت لي، وإني أعلن انسحابي.

تميزت رحلة العودة بجوها الواقعي فلا نجد جلجامش يقطع بحارا مميتة، ولا يقابل كائنات غريبة، لأن هذه الرحلة ترمز إلى رحلة عودة جلجامش من البحث عن المستحيل إلى الواقع.

وصل جلجامش إلى أوروك، وطلب من أورشنابي أن يفحص سورها وصنعة آجره، وبذلك تنتهي الملحمة بالديباجة التي بدأت بها (السواح، 1996، ص: 336):

أي أورشنابي، اعل سور أوروك امش عليه

المس قاعدته، تفحص صنعة آجره

أليست لبناته من آجر مشوي

والحكماء السبعة من أرسى له الأساس.

إن هذه الرحلة التي قام بها جلجامش تروي في مضمونها رسالة سرمدية موجهة إلى بني البشر، وهي أنه يجب التسليم بحتمية الموت.

وأخيرا: يعود جلجامش إلى أوروك بالمعرفة والحكمة التي مؤداها أن الخلود المعنوي هو خلود الذكر والانجازات، وقد فهم معنى الحياة وغايتها، وقبل الموت وبقبوله للموت عرف معنى الحياة.

أما موت جلجامش (باقر، 1990، ص: 10) ((فهي قصة عثرعليها في ثلاثة ألواح في مدينة نفر يرجع زمنها إلى مطلع الألف الثاني ق.م، وهي من ضمن قصص سومرية تدور حول جلجامش، ويبدو لنا من قراءة نصها، أن الإله إنليل قدر لجلجامش نهايته، بعد أن حاز الملوكية والحكمة والسلطان والقوة، أما الخلود فلم يقدر له، ومن الشذرات الواضحة في النص نعرف أن جلجامش رحل مع رحيل كل أمل للخلود)).

نقرأ في النص هذا الرثاء المهيب (ساندرز، 1970، ص: 95 – 96):

لقد رقد الملك، ولن يقوم ثانية

سيد قولاب، لن يقوم ثانية

لقد قهر الشر ولن يقوم ثانية

رغم قوة ساعده، لن يقوم ثانية

كان حكيما وسيم الوجه، لكنه لن يأتي ثانية

لقد ذهب إلى الجبل، ولن يأتي ثانية

إنه ينام على سرير القدر، ولن يقوم ثانية.

الخاتمة

1. ملحمة الرافدين (أوديسة العراق) البابلية أقدم ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى القديم، وهي تمثل الشعر الملحمي الأصيل، القائم على تقنية تتجلى في عدة جوانب أهمها الحبكة القائمة على وحدة الموضوع، والجو النفسي العام مهما وقع من تكرار أو استطراد، وقد عالجت قضية إنسانية عامة هي الموت والخلود، وقدمت لنا روئ جديدة عن معنى الحياة، وكان الإنسان هو الشاغل لمركز الملحمة وهو الذي يطغى على الحوادث والحركة فيها.

2. لعبت الشخصيات دورا بارزا في أحداث الملحمة , فجلجامش هو المثال الأعلى والمتفرد للإنسان والجوهر الفكري للملحمة، ويمثل إنكيدو شخصية رفيق البطل وصداقتهما تعد رمزا للتضحية والفداء، أما الشخصيات الأخرى فتكمل الإطار الملحمي، وتجتمع لترسم صورة رائعة للملحمة من خلال الرموز التي تقدمها.

3. الحدث الملحمي في الملحمة هو بحث جلجامش عن سر الخلود، فالبطل جلجامش المحمي من الآلهة والراغب في صياغة حياة جديدة، قادر على اتخاذ القرارات الصعبة والمضي قدما في مغامراته، حيث صارع وحش غابة الأرز وثور السماء وانتصر عليهما بمساعدة إنكيدو، ثم مالبث أن رحل إنكيدو الذي صارع الموت في العالم الأسفل، وظل جلجامش من بعده هائما على وجهه باحثا عن لغز الموت والحياة.

4. في النهاية مهد الطريق لجلجامش للسير قدما من أجل تحقيق الهدف، لكن النهاية التي آل إليها الصراع كانت هي الإخفاق والعودة إلى نقطة البدء، لكن هذا الإخفاق أدى إلى إدراك جلجامش بحقيقة الأمر، وهذا ما جعل جلجامش لايرى في الموت نهاية الحياة.

مصـــــادر البحــث ومراجــعــه

باقر، طه. (1979) –مقدمة في أدب العراق القديم– ط جامعة بغداد. بغداد، العراق.

باقر، طه. (1990) –ملحمة جلجامش– ط جامعة بغداد. بغداد، العراق.

دالي، ستيفاني. م. (1997) –أساطير من بلاد ما بين النهرين– (الطوفان– الخليقة–جلجامش). (ترجمة) نجوى نصر. ط1، بيروت، لبنان: دار بيسان.

دياكونوف، م م. ترافيموف، ب س. (1973) –جماليات ملحمة جلجامش– (ترجمة) عزيز حداد. ط، بغداد، العراق: منشورات مكتبة الصياد.

ساغز، هاري. (2003) –عظمة آشور– (ترجمة) خالد أسعد و أحمد سبانو. ط1. دمشق، سورية: دار علاء الدين.

ساندرز، ن.ك. (1970) –ملحمة جلجامش– (ترجمة) نبيل نوفل و فاروق القاضي. ط. القاهرة، مصر: دار المعارف.

السواح، فراس. (1996) –ملحمة جلجامش– ط1. دمشق، سورية: دار علاء الدين.

علي، فاضل عبدالواحد. (1999) –سومر أسطورة وملحمة– ط1. دمشق، سورية: الأهالي للطباعة.

كريمر، صموئيل نوح –من ألواح سومر– ترجمة: طه باقر: مؤسسة فرانكلين.

الماجدي، خزعل. (1998) –إنجيل بابل– ط1. بيروت، لبنان: شركة الطبع اللبنانية.

الماجدي، خزعل. (1998) –إنجيل سومر– ط1. بيروت، لبنان: شركة الطبع اللبنانية.

الماجدي، خزعل. (1998) متون سومر– ط1. بيروت، لبنان: شركة الطبع اللبنانية.

الماجدي، خزعل. (1998) ميثولوجيا الخلود (دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة)– ط1. عمان، الأردن: الأهلية للنشر.

موتكارت (1985). تموز عقيدة التقمص والخلود، (ترجمة) توفيق سليمان، ط1، دمشق، سوريا: دار المجد.

حنون، نائل (1986). عقائد ما بعد الموت. بغداد، العراق: دائرة الشؤون العراقية.